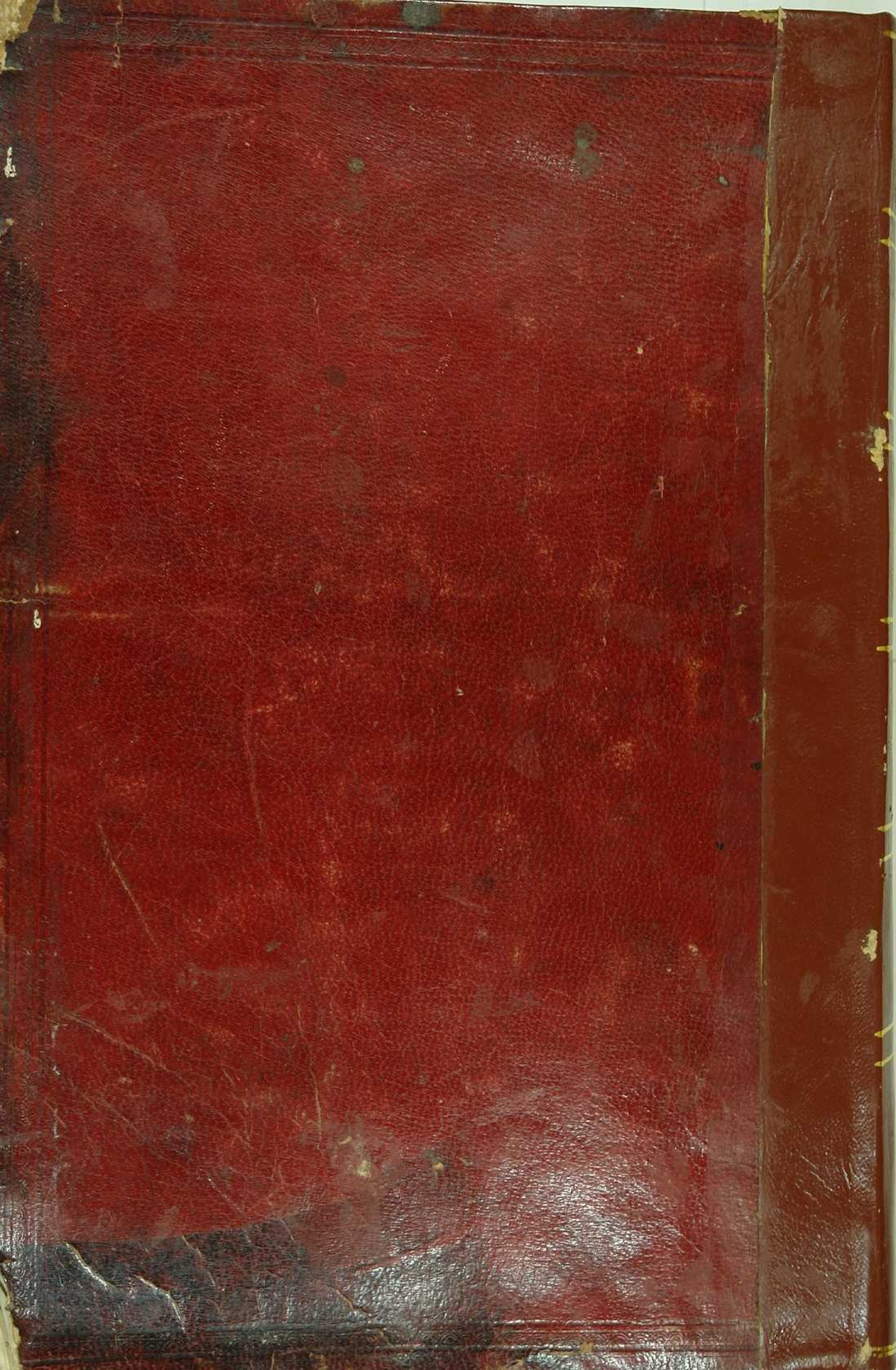


الكشاف

٣

بجار الله الزمخشري

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف الزمخشري، محمود بن عمر ــ ٥٣٨هـ.
كتبه ابراهيم الريدى، في القرن الثاني عشر الهجرى تقديرا .

ج ١، ٢، ٣ في ٣ مج (٢١١، ١٩٩، ٢١٨ق) ، ٤٥، ٤١ س ، ٥ر٢٩x ٨ر١٩ سم .

نسخة جيدة ، خطها نسخ بعضه جيد وبعضه حسن، بها خروم واسماء السور والآيات بالحمرة ، طبع .
الاعلام ٨ : ٥٥ ، معجم المطبوعات ١ : ٩٧٤

١ ـ التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ ـ المؤلف
ب ـ الناسخ جـ ـ تاريخ النسخ د ـ تفسير الكشاف
هـ ـ تفسير الزمخشرى .

سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة ما في السموات
والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثني عليه من اجله ولما قال الحمد
لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود علي نعم الدنيا
كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده علي كسوته وحملانه ولما
قال وله الحمد في الاخرة علم انه المحمود علي نعم الاخرة وهي الثواب فان قلت
ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه علي نعمة متفضل
بها وهو الطريق الي تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب واما الحمد في الاخرة فليس
بواجب لانه علي نعمة واجبة الايصال الي مستحقها انما هو تتمة سرور المومنين
وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم
الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كاين يكون ثم ذكر مما يحيط
به علما فقال يعلم ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن
الكنوز والدفاين والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
وماء العيون والفلز وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد
والصواعق والارزاق والملايكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء
رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد وهو مع
كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها
وقرا علي بن ابي طالب ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة قولهم لا تاتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجي الساعة او استبطاء
لما وعدوه من قيامها علي سبيل الهزء والسخرية كقولهم متي هذا الوعد قل
بلي وربي لتاتينكم النفي ببلي علي معني ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه
موكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل
ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الي قوله
ليجزي لان عظمة حال المقسم به توذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته
واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد علي الامر وكلما كان المستشهد به اعلي كعبا
وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوي واكد والمستشهد به اثبت
وارسخ فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص
بهذا المعني قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب
وادخلها في الخفية واولها مسارعة الي القلب اذا قيل عالم الغيب فحين
اقسم باسمه علي اثبات قيام الساعة وانه كاين لا محالة ثم وصف بما يرجع الي
علم الغيب وانه لا يفوت علمه شي من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت
قيام الساعة فجاء ما تطلبه علي وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت
الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان
واقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر علي الله كذبا كيف تكون
مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر علي اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة
والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرايز
وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسي لا بد له من عقاب وقوله ليجزي
متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له قري لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء
ان يكون ضميره للساعة بمعني اليوم او يسند الي عالم الغيب اي لياتينكم امره
كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي ربك وقال او ياتي امر ربك

اوجب

١

عالم الغيب وقري عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب
وعالم الغيوب بالرفع علي المدح ولا يعزب عنه بالضم والكسر من العزوب وهو
البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
ذلك اشارة الي مثقال ذرة وقري ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع علي اصل
الابتداء وبالفتح علي نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب
وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع علي مثقال
ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد
النفي وعطف المفتوح علي ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه
قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت
ياتي ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب
اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب
علي معني انه لا ينفصل عن الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا في اياتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم وقري معجزين واليم
بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويري الذين اوتوا العلم الذي
انزل اليك من ربك الحق ويهدي الي صراط العزيز الحميد ويري في موضع
الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله ومن يطا اعقابهم من امته
او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل
اليك الحق وهما مفعولان ليري وهو فصل ومن قرا بالرفع جعله مبتدا والحق
خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يري في موضع النصب معطوف
علي ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجي الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه
في الايقان ويحتجوا به علي الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم
يومن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا قريش
قال بعضهم لبعض هل ندلكم علي رجل يعنون محمدا صلي الله عليه وسلم
ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب
انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم
البلي كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد افتري اهو مفتر علي
الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه
علي لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافترا والجنون في شي وهو مبرا
منهما بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد بل هولاء
القايلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يوديهم اليه من
الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا
علي عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كاينان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه
وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد بن علي رضي الله عنه
ينبيكم فان قلت فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا

فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون
الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته
الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه

في الراي

هو



انكم لفي خلق جديد و قد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعني فاعل
ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعني فاعل تقول جد فهو جديد
كحد فهو حديد و قل فهو قليل وعند الكوفيين بمعني مفعول من جده اذا قطعه
و قالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون و لهذا قالوا
ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان
قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افتري دون قوله السحر وكلتاهما همزة
وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الي ترك اسقاطها في نحو
السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة
الاستفهام فان قلت ما معني وصف الضلال بالبعد قلت
هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما
ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
مشهورا علما في قريش وكان انباوه بالبعث شايعا عندهم فما معني قولهم
هل ندلكم علي رجل ينبيكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما تدل علي
مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية
فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجي بها للضحك والتلهي متجاهلين
به وبامره افلم يروا الي ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشاء
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اعموا فلم ينظروا الي
السماء والارض وانهما حيث ما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان
بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت
الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك
النظر الي السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لاية
ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الي ربه المطيع له لان المنيب لا يخلوا
من النظر في ايات الله علي انه قادر علي كل شي من البعث ومن عقاب
من يكفر به قري يشاء ويخسف ويسقط بالياء لقوله افتري علي الله كذبا
وبالنون لقوله ولقد اتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرا الكسائي نخسف
بهم بالادغام وليست بقوية ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي
معه والطير يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من اتينا بتقدير
قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقري اوبي واوبي من التاويب والاوب
اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه
فقد رجع فيه ومعني تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام
في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح
علي ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده علي نوحه باصدايها والطير
باصواتها وقري والطير رفعا ونصبا عطفا علي لفظ الجبال ومحلها وجوزوا
ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف علي فضلا بمعني وسخرنا له الطير
فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال واتينا داود منا
فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا تري الي ما فيه
من الفخامة التي لا تخفي ومن الدلالة علي عزة الربوبية وكبرياء الالوهية
حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا
واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد
وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع علي ارادته •

والنا

والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده
كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي
من شدة القوة ان اعمل سابغات وقري صابغات وهي الدروع الواسعة
الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفايح وقيل كان يبيع
الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق علي الفقرا وقيل
كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم
ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فساله
علي عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله فقال لولا انه
يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن
بيت المال فعلمه صنعة الدروع ۷ واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير •

۷ وقدر في السرد وقدر لا تجعل المسامير
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق
والسرد نسج الدروع صح

الضمير لداود واهله ولسليمان الريح وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان
الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة
مسيرة شهر ورواحها وجريها بالعشي كذلك وقري غدوتها وروحتها وعن
الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكي
ان بعضهم راي مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان
نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن
رايحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله واسلنا له عين القطر القطر
النحاس المذاب من القطران فان قلت ماذا اراد بعين القطر قلت
اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع
الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر
خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه بامر ربه ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من
طاعة سليمان وقري يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير وعذاب
السعير عذاب الاخرة وعن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده
سوط من نار كلما استعصي عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب
لانه يحامي عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملايكة
والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج
ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت كيف
استجاز سليمان عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرايع
لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن
اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار
وغيرها لان التمثال كل ما صور علي مثل صورة غيره من حيوان وغير
حيوان او تصور محذوفة الروس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسد ان له ذراعيهما
واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال
تروح علي ال المحلق جفنة ❁ كجابية الشيخ العراقي تفهق
لان الماء يجبي فيها اي يجمع فيها جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات
الغالبة كالدابة قيل كان يقعد علي الجفنة الف رجل وقري
بحذف الياء اكتفا بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات

علي لانا في لاتنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
حكاية ما قيل لال داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه
على وجه الشكر لنعمايه وفيه دليل على ان العبادة تجب ان تؤدى على طريق
الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى
اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا
به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على
طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل
به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن
عباس من يشكر على الاحوال كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل
من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله
فلم يكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من ال داود قايم يصلي
وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال
عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فانا ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته قرئ فلما قضي
عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة
والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة
وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل
كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه
ينسأ بها اي يطرد ويوخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي
ومنسأته على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي من طرف
عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة
وقرئ اكلت منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين تبينت الجن من تبين الشي اذا ظهر وتجلى
وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور
له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم
الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان
كبارهم يصدقون في ادعايهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم
عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما
اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك
هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن
على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي
قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعادفت وتعالمت
والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس
ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة
ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان
من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما
دنا اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسالها لاي
شي انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فراى الخروبة فسالها فقالت
نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على

احوال خ

وجهك

٧

وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له وقال
اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون
السمع ويموهون على الانسان انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا
امرت بي فاعلمني فقال امرت بك فقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض
روحه وهو متكي وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن
شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم
رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد
اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات
منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا
الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى
سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمي عليهم
موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون
جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد
بعد ان يدنوا منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا بناء بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال
قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن
كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف
تقديره الاية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرا جنتين
بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما اية قلت لم يجعل
الجنتين في انفسهما اية وانما جعل قصتهما وان اهلها اعرضوا عن شكر الله
عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا
فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما
اية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره
فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبا ورب قرية من قريات
العراق يحتف بها من الجنان ما شيت قلت لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم
واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما
قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من
رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني
هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت اخصب البلاد
واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر
فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل

الانس خ

عليه

وجعلهما اية

لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقري بلدة
طيبة ورب غفور بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد
فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم العرم الجرذ الذي نقب عليهم
السكر ضربت لهم بلقيس الملكة تسد ما بين الجبلين بالصخر والقار تحقنت
به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون
اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا
يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله
نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي
عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد
وقري العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى
ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل
وشي من سدر قليل وقري اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة
والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال
الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه
شجر الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل
اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط
كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط
في معنى البرير فكانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على
الاكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقري واثلا وشيا بالنصب عطفا
على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم
وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا كذلك جزيناهم بما كفروا
وهل يجازي الا الكفور وقري وهل يجازى وهل نجازي بالنون
وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزا
لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المومن تكفر سياته
بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازي بجميع ما يفعله من السوء ووجه
اخر وهو ان الجزا عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة والاخرى
في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا
بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازي الا الكفور بمعنى او هل
يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقايل ان يقول لم قيل وهل يجازي
الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزا والجزا عام للكافر والمومن لانه لم
يرد الجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم
وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازي
الا الكافر والمومن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السوال
مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها
فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد
عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي
منهم يقيل في قرية والرايح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف
جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها

من اسفله

عمله صح

هي

ليالي

ليالي واياما امنين وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير
وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت ما معنى
قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شيتم بالليل وان شيتم بالنهار
فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان
تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم وايامكم
مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن قالوا ربنا باعد
بين اسفارنا قري ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا
النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب
بنو اسرايل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا
ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز
ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقري ربنا
بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه
به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقري ربنا باعد بين
اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول
وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم
كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم
تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي
سبا قال كثير ✿ ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ✿ فلم يحل بالعينين بعدك منظر ✿
لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك
لايات لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين قري صدق بالتشديد والتخفيف ورفع
ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن
خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك
وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن
خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواهم يقولون صدقك
ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قري بالتشديد
مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه
انه حين وجد ادم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته
اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل
ظن ذلك عند اخبار الله الملايكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير
في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني ادم وقلل المومنين بقوله الا فريقا
لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد
اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان واستيلا بالوسوسة والاستغواء
الا لغرض صحيح وحكمة بينة الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك
وذلك ان يتميز المومن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد
ما تعلق به العلم وقري ليعلم على البناء للمفعول وربك على كل شي حفيظ
محافظ عليه وفعيل ومفاعل متاخيان قل ادعوا الذين زعمتم من
دون الله قل لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام
والملايكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجيوا اليهم فيما يعروكم
كما تلتجيون اليه وانتظروا استجابتهم لدعايكم ورحمتهم كما تنتظرون

ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عليهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر او نفع او ضر في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما وما لهم من هذين
الجنسين من شرك من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق
السموات والارض وما له منهم من ظهير من عون يعينه على تدبير خلقه يريد
انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان
يُدعوا كما يدعا ويرجوا كما يرجي فان قلت اين مفعولا زعم قلت
احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان
يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من
دون الله ولا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف
يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان
يكون محذوفا تقديره زعمتموهم الهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول
كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف
الهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة
الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين
مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له تقول الشفاعة لزيد على
معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول
القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون
على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من الشافعين
ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن
للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هولاء شفعاونا
عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شي وقعت
حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا
وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يوذن لهم او لا يوذن لهم
وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه
الحال دل عليه قوله عز من قايل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن
لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين
حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم
بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم
بعضا قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن
ان يشفع فزعته الشفاعة وقري اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء
للمفعول وقرا الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقري فزع على البناء للفاعل
وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنهم وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق
منه شي ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد
اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفي عنها وفني
ثم حذف الفاعل واسند الى الجار المجرور وقري افرنقع عن قلوبهم بمعنى
انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما
افاق قال ما لكم تكاكاتم على تكاكوكم على جنتا فرنقعوا عني والكلمة مركبة
من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع

زيادة

زيادة الراء وقري الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبريا
ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم
من السموات والارض قل الله امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان
يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون
به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد
وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم
ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم
وتوثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا تري الى قوله قل من يرزقكم من السما
والارض ام من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد
الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتعلثمون عنادا
وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات
والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم
لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد
الفريقين من الذين يتوحدون الرزاق من السموات والارض بالعبادة ومن
الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن
خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير
البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال
المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة
مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد
علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان ∴
∴ اتهجوه ولست له بكفو ∴ فشركما لخيركما الفدا ∴
فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال
قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث
شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه
وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسالون
عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول
حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام
الصغاير والزلات التي لا يخلو منها مومن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام
قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وفتح الله بينهم
وهو حكمه وفصله انه يدخل هولاء الجنة واوليك النار قل اروني الذين
الحقتم به شركاء فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم
قلت اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركاء
بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة
القياس اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال
المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم
وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله بل
هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد وما
ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانهم اذا

ولا في

الله رسولا

خ
النضل

شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك
جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا
ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما
عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور
على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل
اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطا الاول الا بالخطاء الثاني فلا بد له من
ارتكاب الخطائين بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
قرى ميعاد يوم وميعادٌ يوم وميعادٌ يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان
وهو هاهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعادٌ يومٌ فابدل منه اليوم فان
قلت فما تاويل من اضاف الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة
تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار
فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان
يكون الرافع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
قلت ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب
على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصد ونزليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه وقال
الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه الذي بين يديه ما نزل
قبل القران من كتب الله يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم
انهم يجدون صفته رسول الله في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع
ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم
القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله او ان تكون لما دل عليه من
الاعادة للجزا حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم وما لهم في الاخرة فقال لرسوله
عليه السلام او للمخاطب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا
مومنين ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرايت العجيب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون
الروس المقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى اولى الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم
الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم
اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا نحن اجبرناكم وحلينا بينكم وبين كونكم
ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحة
نياتكم في اختياره بل كنتم مجرمين بل انتم منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال
على الهدى واطعتم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم
لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف الملازمة للظرفية فلم وقعت
اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها
الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ
وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
لما انكر المستكبرون واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم
كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم

٧
بقولهم نحن صددناكم ان يكونوا هم السبب
في كفر المستضعفين صح

باضرابهم

باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دايبا ليلا ٦
ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم
في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه
او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرى بل مكرُ الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرّ الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون
الاغواء مكرا دايبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب
قلت هو مبتدا او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت
او مكركم
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف
العاطف على طريقة الاستيناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف
على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا الندامة
لما راوا العذاب قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالتصريح للتنويه بذمهم
وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون وعن
قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من
الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين هذه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على
المومنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله
اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة
عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان
المومنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين
ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل
الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من
المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما
وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقدر الرزق تضييقه قال
الله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرى يقدّر بالتشديد والتخفيف
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
الا من امن وعمل صالحا اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم
وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سوا في حكم التانيث ويجوز
ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم
بتلك الموضوعة للتقريب وقرا الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرى
بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة
ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من امن
استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن

الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير
ونفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة فاولئك لهم جزاء الضعف
من اضافة المصدر الي المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف
ثم جزاء الضعف ومعني جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة
عشرا وقري جزاء الضعف علي فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف
علي ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء
بما عملوا وهم في الغرفات امنون قري في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها
وفي الغرفة والذين يسعون في اياتنا معاجزين اوليك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شي
فهو يخلفه فهو يعوضه ولا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي
كنز لا ينفد واما اجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان
عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم
له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقي طول عمره في فقر
ولا يتاولن وما انفقتم من شي فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعني الاية
ما كان من خلف فهو منه وهو خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق
غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله
فهو من رزق الله اجراه علي ايدي هولاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب
التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني
ممن يشتهي وكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم نحشرهم جميعا ثم
نقول للملايكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم هذا الكلام خطاب للملايكة وتقريع للكفار وارد علي المثل السائر
اياك اعني واسمعي يا جاره ونحوه قوله عز وعلا ءانت قلت اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملايكة وعيسي منزهين
براء مما وجه عليهم من السوال الوارد علي طريق التقرير والغرض ان يقول
ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم
وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزجرا لمن اقتص عليه
والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي
مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدو وهو البعد
والولي يقع علي الموالي والموالي جميعا والمعني انت الذي نواليه من دونهم
اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان علي هذه الصفة كانت حاله منافية
لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة
غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه
صور الملايكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا
عبدت فيعبدون بعبادتها وقري نحشرهم ونقول بالنون والياء
اكثرهم بهم يومنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا الامر
في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار
دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف
حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلي بينهم يتضارون ويتنافعون
والمراد انه لا ضار ولا نافع يوميذ الا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون معطوفا

علي

علي لا يملك واذا تتلي عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان ٧
يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا الا افك مفتري وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولي الي رسول الله
والثانية الي القران والثالثة الي الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما
هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم
وما في اللامين من الاشارة الي القايلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة
بالكفر دليل علي صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من
امرهم بليغ كانه قال وقال اوليك الكفرة المتمردون بجراتهم علي الله
ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا
القضاء بانه سحر ثم بتوه علي انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما
اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وما اتيناهم
كتبا يدرسونها فيها برهان علي صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم
بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم
عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم
به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول اهل
الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرايع ومستندون الي رسل من
رسل الله ثم توعدهم علي تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم وكذب
الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم
وما بلغ هولاء بعض ما اتينا اوليك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير
والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هولاء
وقري يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس
الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع
وهما العشر والربع فان قلت ما معني فكذبوا رسلي وهو مستغني عنه
بقوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم قلت لما كان
معني قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه
جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القايل اقدم فلان علي الكفر
فكفر بمحمد صلي الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف علي قوله ما بلغوا كقولك
ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين
الاولين فليحذروا من مثله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثني و
فرادي بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا علي انه عطف
بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم
عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول علي القدمين ولكن الانتصاب في الامر
والنهوض فيه بالهمة والمعني انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم
تتفكروا في امر محمد وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما
محصول فكره علي صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل
بهما اتباع هوي ولا ينبض لهما عرق عصبية حتي يهجم بهما الفكر الصالح
والنظر الصحيح علي جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل
ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره علي عقله وذهنه وما استقر

عنده من عادات العقلاء و مجاري احوالهم والذي اوجب تفريقهم مثنى وفرادى
ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصاير و يمنع من الروية ويخلط القول
ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع
الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم
الذي تحته ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما
مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح
وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا
لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته و برهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى
شي لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش
عقلا وارزنهم واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا
واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير
وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق
قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة
النظر في امر رسول الله ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة قل
ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فهو لكم جزاء الشرط الذي هو
قوله ما سالتكم من اجر تقديره اي شي سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله
للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسالته الاجر اسا كما يقول الرجل
لصاحبه ان اعطيتني شيا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيا ولكنه يريد
البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل
ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا و في قوله لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم
وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم وهو على كل شي شهيد
حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعايكم اليه الا منه ولا اطمع
منكم في شي قل ان ربي يقذف بالحق القذف والرمي تزجية السهم ونحوه
بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى
وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق
يلقيه وينزله الى انبيايه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب
رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف
وقري بالنصب صفة لربي او على المدح وقري الغيوب بالحركات الثلاث
فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي
جدا قل جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد الحي اما ان يبدي فعلا او يعيده
فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا
في الهلاك ومنه قول عبيد
اقفر من اهله عبيد ∴ فاليوم لا يبدي ولا يعيد
والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن
مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثماية
وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد والحق القران
وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما ينشي

واذا نعلمتم ذلك لمنا لكم ان تطالبوه
بان يأتيكم باية فاذا اتى بها تبين
انه نذير مبين صح

خلقا ولا يعيده المنشي والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدي لاهله خيرا
ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج اي شي ينشي ابليس
ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب قري ضللت
اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو
ظللت اظل وظللت اظل وقري اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت
اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم
ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى
لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها
وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه
وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا
دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شي ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب جوابه محذوف يعني لرايت امرا عظيما
وحالا هايلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها
للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان
ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت
الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان
ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت
فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقري فلا فوت والاخذ من مكان قريب
من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء
بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف قوله
واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت
لهم وعلى لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقري واخذ
وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا
امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة
وانى لهم التناوش من مكان بعيد والتناول والتناوش اخوان
الا ان التناوش تناول سهل لشي قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه
القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم
ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المومنين ايمانهم
مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشي من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس
ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقري التناؤش همزت الواو المضمومة
كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد قولهم
7
من نأشت اذا ابطات وتاخرت ومنه البيت
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني ∴ وقد حدثت بعد الامور امور
اي اخيرا وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب معطوف على قد كفروا
على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من
مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم

بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب
من جهة بعيدة من حاله لانه ابعد شي مما جاء به الشعر والسحر وابعد شي من عادته
التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على
البناء للمفعول اي تاتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه
بقوله قالوا امنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا
بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيا من مكان بعيد
لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب
الشي الغايب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب
شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام
الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر
الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة
بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا
كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن
كان مذهبه مذهبهم من قبل انهم كانوا في شك مريب مريب اما من اراب الرجل اذا
اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما
مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا
من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك
كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا
لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملايكة وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض فاطر السموات مبتديها ومبدعها وعن
مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي
اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وقرئ الذي فطر
السموات والارض وجعل الملايكة وقرئ جاعل الملايكة بالرفع على المدح
رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو
كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث
ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت
عن الفاظ الاعداد عن صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة (الصيغ)
وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة
والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج
عليها والمعنى ان من الملايكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد
منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة
يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته
وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على
الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من
الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل
الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران
فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملايكة لهم ستة اجنحة فجناحان
يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان

مرخيان

مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبريل صلوات الله
عليه ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل
فخرج رسول الله في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله
ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين
كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيا من الخلق هكذا فقال جبريل
فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب
وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع
وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول
كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في
البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراة في القلب وسماحة في النفس
وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تان في مزاولة الامور وما اشبه
ذلك مما لا يحيط به الوصف ان الله على كل شي قدير ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له استعير الفتح للاطلاق
والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان فلا فاتح له يعني اي شي يطلق (من بعد)
الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف
نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من
اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي
شي يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا
ثم ذكر اخرا وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت
هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى
الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة
فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت
يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان
يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني
للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر
الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق
فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنه ان قاله فمقبول وان اراد
انه ان شاء الله ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله
تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد
امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من
بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك
الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه يا ايها
الناس اذكروا نعمة الله عليكم ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط
ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها
والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي
عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع
لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة

اذكر وانعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا
والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون
له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار
يرزقكم او فعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدا بعد قوله هل
من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على
غير الله عز وجل قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدا وهو الوجه
الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير
فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف
يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض
النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث
ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من
خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من
خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي
بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور وسلى رسوله بان له في الانبياء
قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة
المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان
قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا
سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك
فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن
المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت ما معنى التنكير
في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولوا
ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا
اسلى له واحث على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق وعد الله
الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها
عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم
اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور
الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك
او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير اخبرنا عز وجل
ان الشيطان لنا عدو واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم صلوات
الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن
على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل
بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقايدكم وافعالكم ولا
يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم

لحض سرايره وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته
هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء
وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان
والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين امنوا قال لنبيه افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا افمن زين له عمله من هذين الفريقين كمن لم تزين له
فكأن رسول الله قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون
العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله
وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق امر النهي ويعتنق طاعة
الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد
تحت قول ابي نواس ∴ اسقني حتى تراني ∴ حسنا عندي القبيح ∴
واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم
ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم
وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب
لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان
للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته ويجوز
ان تكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير
∴ مشق الهواجر لحمهن مع السرى ∴ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا ∴
يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله
∴ فعلى اثرهم تساقط نفسي ∴ حسرات وذكرهم لي سقام ∴
وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء
صنيعهم والله الذي يرسل الرياح وقرئ ارسل الريح فتثير سحابا فسقناه الى
بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فان قلت
لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت لتحكي الحال التي
تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على
القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب
او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا
∴ باني قد لقيت الغول تهوي ∴ بسهب كالصحيفة صحصحان ∴
∴ فاضربها بلا دهش فخرت ∴ صريعا لليدين وللجران ∴
لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول
كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جراته على كل
هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء
الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلايل على القدرة الباهرة قيل فسقنا
فاحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه
والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات روي انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه
فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم
فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق
بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد

العزة فلله العزة جميعا كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة
قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون
المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله
ولاوليايه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين والمعني فليطلبها عند الله
فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغنا به عنه لدلالته عليه لان الشي لا يطلب
الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها
عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعني فلله العزة جميعا ان العزة كلها
مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان
والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم
الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الي
السما فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين
الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل
الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الكلم الطيب
كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراة قران ودعا واستغفار وغير ذلك وعن
النبي صلي الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الي السما فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل
صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل الله قولا وعملا
الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا
عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقري اليه يصعد الكلم الطيب
علي البنا للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب علي تسمية الفاعل من اصعد والمصعد
هو الرجل اي يصعد الي الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب
وقري والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل والذين
يمكرون السيات لهم عذاب شديد فان قلت مكر فعل غير متعد
لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيات قلت هذه صفة للمصدر
او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السي الا باهله اصله والذين مكروا المكرات
السيات او اضاف المكر السيات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار
الندوة وتداوروا الراي في احدي ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلي
الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكي الله سبحانه عنهم واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اوليك هو يبور يعني
ومكر اوليك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد
ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب
بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السي الا باهله والله خلقكم من تراب ثم
من نطفة ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم
ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا وما تحمل من انثي ولا تضع
الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك علي الله يسير
بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معني قوله وما
يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو
صاير اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر
اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح

وقيل الرافع هو الكلم والمرفوع العمل

قوله

قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه
ثقة في تاويله في افهام السامعين واتكالا علي تسديدهم معناه بعقولهم وانه
لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض
يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته
الا قل فيه ثواي وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب
وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا
فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم
يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليها
اشار رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران
الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان
عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا جا اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض
علي الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد
بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب
يوم ذهب يومان حتي ياتي علي اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة
والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس
ويجوز ان يراد بكتاب علم الله او صحيفة الانسان وقري ولا ينقص علي
تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمومن
والكافر ثم قال علي سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطاياه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك
وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللولو والمرجان وتري الفلك فيه
في كل مواخر شواق تجريها يقال مخرت السفينة الما ويقال للسحاب بنات
مخر لانها تمخر الهوا والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر
لانها تسفن الما كانها تقشره كما تمخره لتبتغوا من فضله من فضل الله
ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعني
عليه وحرف الرجا مستعار بمعني الارادة الا تري كيف سلك به مسلك
لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسايغ
المري السهل الانحدار لعذوبته وقري سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف
وملح علي فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج علي الكافر بانه قد
شارك العذب في منافع من السمك واللولو وجري الفلك فيه والكافر
خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالي ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمي ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدا والله ربكم له الملك اخبار
مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم
الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر
لولا ان المعني ياباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة

ولعلكم تشكرون

عليها ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم
جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون
لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي
يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال
الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقري تدعون بالياء والتاء يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فان قلت لم عرف
الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس
الفقراء وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر
مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه
على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم
من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء
بالغني فما فايدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني
نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم ان يشاء
يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا
غضب عليهم لاتخاذهم اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به
شيا ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر والوقر اخوان ووزر الشي اذا حمله
والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها
الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي
والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس كما تاخذ وزر اخرى
ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن
واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق
بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت
تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال
ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شي من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم
الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شي فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي قلت
الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني
في ان لا غياث يوميذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها
لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض
قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى
قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم
ترك المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام ذكر
اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم
الكاين على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى
على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن

ملامة للنا قصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل
منه شي وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتيم ولو قلت ولو وجد
ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتيامه على ان ههنا ما ساغ ان
يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب حال من الفاعل والمفعول اي يخشون ربهم غايبين عن عذابه او يخشون
عذابه غايبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول
الله من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلاة
وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هولاء وتحذيرهم
من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرى ومن ازكى فانما
يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي
فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت
كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشاء
يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره
الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير مثل للكافر والمومن كما
ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا
الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والظلمات والنور والظل
والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء
والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر
والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل
بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت خاصه
الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه
الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور يعني انه قد علم من
يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه
ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك
على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ
وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك
ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم
على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت
فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير بالحق حال من احد الضميرين
يعني محقا ومحقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة
لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة
الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر
امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث
اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت
كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت
اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين

اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان
قلت كيف اكتفي بذكر النذير عن البشير في آخر الاية بعد ذكرهما قلت
لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لاسيما وقد
اشتملت الاية على ذكرها وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات بالزبر وبالصحف وبالكتاب
المنير نحو التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشيا في جنسهم اسند المجي بها
اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعض
وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان
نكير الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود الوانها اجناسها من الرمان
والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيأتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرايق قال لبيد ؞
؞ اومذهب جدد على الواحه ؞ ؞ ويقال جدة الحمار للخطة
السودا على ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل
ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة
هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود
غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب
ومن حق التاكيد ان يتبع الموكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك
قلت وجهه ان يضمر الموكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول
النابغة ؞ والمومن العايذات الطير ؞ وانما يفعل ذلك الزيادة التوكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير
حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض
وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات
مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم
بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي
الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفاين وقد فسر بها
قول ابي ذويب ؞ جون السراة له جدايد اربع ؞ وروي عنه جدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح المفسر وضعه موضع الطرايق والخطوط الواضحة
المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف
قراة من قرا ولا الضالين لان كل منهما فرار من التقا الساكنين فحرك ذاك اولهما
وحذف هذا اخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال انما يخشى
الله من عباده العلماء والمراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده
وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته
ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان امن وفي الحديث
اعلمكم بالله اشدكم خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي
الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية
حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا
الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت
العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون
غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله

وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره صح

وحد

كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت
ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم
ان الله انزل من السما ما وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعته
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته
اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على
صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا
ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراة من قرا
انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة ؞
قلت الخشية في هذه القراة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما
يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة
والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي اية
القرا وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به
وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطا
هم المومنون واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور يرجون
خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة
ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي
ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت
جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع
ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض
وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر
مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين
يديه الكتاب القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا
حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه
من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فراك
اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب
فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان
احدهما انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه
او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا
من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى
يوم القيمة لان الله اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهدا على الناس واختصهم بكرامة الانتما الى افضل رسل الله
وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم
وهو المرجا لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيا وسابق
من السابقين فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله ذلك هو الفضل الكبير والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل
امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاوهم بالبينات والزبر والكتاب
المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين
بشرايعه من بين المكذبين بها من ساير الامم واعترض بقوله والذي اوحينا

اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهله الملة الحنفية
فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو
السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب
نزلت منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي
اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الاخرين
ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا
وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم
وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القران بذلك في مواضع
من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق
ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد
ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين
قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على
الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار
فعل الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول يفسر
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ويحلون من حليت
المراة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض
اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق
المسورون بغيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولوا بتخفيف
الهمزة الاولى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من سوء العاقبة كقوله تعالى خوف
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن
عباس حزن الافات والاعراض وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس
ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى
قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا
حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني انظر باهل
لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم خ رؤسهم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن . وذكر الشكور دليل على ان
القوم كثير الحسنات الذي احلنا دار المقامة المقامة بمعنى الاقامة يقال
اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم
لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل
لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع لا يمسنا فيها
نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب
منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر
كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت فان قلت ما الفرق بين
النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب
المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب
النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما

يحدث

يحدث منه من الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان
وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم
الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء ثلا
نجزي وقرئ يجازي ويجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها يتصارخون بالنون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال
كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها سنفها واستعمل في الاغاثة لجهد المستغيث
صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فان قلت
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة خـ
غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا غير الصالح الذي عملوه يؤذن
قلت فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف
به واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا
يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير اولم
نعمركم توبيخ من الله تعالى يعني فنقول له وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام
وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ
في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى
ابن ادم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل
ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم
النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى
اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل
قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم
بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون
فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث
ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن بنت خارجة جارية وقوله
لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من
الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء
الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي
معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض
فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع
خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد
التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد
والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع
عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة
الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه
مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب
لمن بعث اليهم رسول الله اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورات وشاهدت
فيمن سلف ما ينبغي ان يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت
الله وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون

من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام
اتيناهم كتابا فهم على بينة منه اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني
كانه قال اخبروني عن هولاء الشركا وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني
اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة
في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركا وهم على حجة
وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله تعالى
ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون
بعضهم وهم الروسا بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هولاء
شفعاونا عند الله وقري بينات ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة
ان تزولا او يمنعها من ان تزولا لان الامساك منع ولين زالتا ان امسكهما
من احد من بعده انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكها
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات
ينفطرن منه وتنشق الارض وقري ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم
في ولين زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية
للابتدا من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام
من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات
على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه
الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن من احدى الامم
بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا
رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لين
اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله كذبوه
وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم
من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها هي
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان
زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان
نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال يعني مستكبرين وماكرين برسول
الله والمومنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فان
قلت ما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله وان مكروا المكر السيء
اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقري ولا يحيق المكر
السيء اي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء
الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم
وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التورية من حفر مغواة وقع فيها
قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية وفي امثال العرب من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله
الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة
ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا فهل ينظرون الا سنة
الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الامم قبلهم وجعل

استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي
الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لها لا محالة واستشهد
عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق
واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم فقال فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه
ليسبقه ويفوته من شي في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يواخذ
الله الناس بما كسبوا بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم ما ترك على ظهرها على
ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني ادم وقيل ما ترك بني ادم
وغيرهم من ساير الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
كاد الجعل في جحره يعذب بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان
الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن ادم وقيل يحبس المطر فيهلك
كل شي ولكن يوخرهم الى اجل مسمى الى يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله
كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الملايكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شيت

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس يا سين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على
الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت اللام واميلت
وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه
ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره
كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله والقران الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل
ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة
اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت
ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن
غيره ممن ليس على صفته فانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة
فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق
ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة
على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقري تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على
انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القران
لتنذر قوما ما انذر اباوهم قوما غير منذر اباوهم على الوصف ونحوه قوله
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد
فسر ما انذر اباوهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية
لتنذر قوما انذار ابايهم او موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر
قوما ما انذره اباوهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت
اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على
الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم
هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك
الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون
منذرين غير منذرين لمناقضة هذا في الاي الاخر قلت لا مناقضة

لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابايهم وآباوهم القدماء من ولد
اسماعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان اباءهم
لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد اباوهم الادنون دون
الاباعد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون القول قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب
لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل
الى ارعوايهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين
لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم
متعامون عن النظر في ايات الله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهم مقمحون فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت
معناه فان الاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق
الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها
راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطاطي راسه ويوطي
قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح
البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع
رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان
قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا
لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي
قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى
كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي
لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب
من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي
يجفوا عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس
مسعود في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين
ان يجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار
المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وقرئ سدا بالفتح والضم
وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم
فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي
وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من
العشا فهم لا يبصرون وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا
جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي انا اقتله بهذا الحجر
فذهب فاعمى الله بصره ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يومنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر
كريم فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار
ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار
منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود
الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي

عنقه

الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير
هولاء المتذرين وهم المتبعون للذكر وهو القران او الوعظ الخاشون
ربهم انا نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياوهم ان
نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه
في امام مبين ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه
من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من
مسجد ورباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام
على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان
وملاه وكذلك كل حسنة او سيئة سنة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبوا
الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل
هي اثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع
حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة
بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد
لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله
مغفلا شيا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ
ويكتب ما قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب
لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من
هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى
واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة
اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب
القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها
بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من
المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسالهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص
وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفي
على ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا
قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس
وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر
حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به
فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا
بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين
فوضعاها في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت
لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف فقال ليس
لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان
شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه
منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات
من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار

فيلظ

خالية

جاءها المرسلون

وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن
الوجه يشفع لهولا الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب
الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم
يومن صاح عليهم جبريل فهلكوا اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا فقوينا
يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرى بالتخفيف
من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم
مرسلون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض
ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل
الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه
اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض
المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض
النفي فلا يبقي لما المشبهة بليس شبه فلا يبقي له عمل فان قلت لم قيل
انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون اخرا قلت لان الاول ابتدا
اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد
وكذا قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على
طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر
المكشوف بالايات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق
فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم
ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شي مالوا اليه واشتهوه
واثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم
نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشوم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن
قتادة ان اصابنا شي كان من اجلكم قالوا طائركم معكم وقرى طيركم اي سبب
شومكم معكم وهو كفرهم او اسباب شومكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم
وقرا الحسن اطيركم اي تطيركم وقرا ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف
الشرط وآئن ذكرتم بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرى ا ان
بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرى ان وان
بغير استفهام بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرى اين
ذكرتم على التخفيف اي شومكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شيم المكان
بذكرهم كان بحلولهم فيه اشام بل انتم قوم مسرفون في العصيان
فمن ثم اتاكم الشوم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم قوم مسرفون
في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من
رسل وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى هو حبيب بن اسرايل النجار وكان
ينحت الاصنام وهو ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستماية
سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يومن
بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر
الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا اوانت تخالف

عليه السلام صيحة

لان ذكرهم

دينننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه
من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق
انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن
ابي طالب وصاحب ياسين ومومن ال فرعون قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم
اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير
الدنيا وخير الاخرة ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد
مناصحتهم ليتلطف لهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث
لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله ومالي لا اعبد الذي فطرني
مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون
ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيا
ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين ولولا انه قصد ذلك لقال الذي
فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني امنت بربكم
فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي
لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما
ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشيا ان ارادكم
هو بضر وشفع لكم هولاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء
عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب
لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل
لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم
اني امنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي وقرى ان
يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر
قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو
فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت
كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستيناف
لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قايلا قال كيف
كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة الدين والتسخي لوجهه بروحه
فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول
وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سوال سايل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم
وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في اكتساب مثلها
لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين
باهلها الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه
عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل
نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه
والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير
لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى
ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا عظيم في امره وانه على صواب ونصيحة

وشفقة وان عدا ونهم لم تكسبه الا خيرا ولم تعقبه الا سعادة لان
في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقري
المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت
المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون معهم
استفهامية يعني باي شي غفر لي ربي يريد به ما كان منه من المصابرة
لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان
اثباتها جايزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت وما انزلنا على اي باي شي صنعت
قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة
واحدة المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من
جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله
وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك
قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم
على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته
المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت
فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق وقال فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها بالف من الملايكة مردفين بثلاثة الاف من الملايكة منزلين
بخمسة الاف من الملايكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد
فقد اهلكت مداين قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شي على كبار الانبياء
واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة
والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار
بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظايم الامور التي
لا يوهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت
الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة
اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى
ما وقع شي الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل
الفعل ومثلها قراة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة
وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا ابن مسعود
ان كانت الا زقية من زقا الطاير يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل اثقل
من الزواقي فاذا هم خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من
احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزايهم بالرسل والمعنى
انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون
او هم متحسر عليهم من جهة الملايكة والمومنين من الثقلين ويجوز ان يكون
من الله عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم
ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراة من قرا يا حسرتا تعضد
هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقري يا حسرة العباد على الاضافة اليهم
لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على
اجراء الوصل مجرى الوقف ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون الم

يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل ١٨
في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها
الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا
لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على
المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم
غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر انه على الاستيناف وفي قراة ابن مسعود
الم يروا من اهلكنا وانهم يدل على هذه القراة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول
اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث
قبل يوم القيمة فقال بيس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان
كل لما جميع لدينا محضرون قري لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد
وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى
الا كالتي في مسيلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين
في كل هو الذي يقع عوضا عن المضاف اليه كقولك مررت بكل قايما والمعنى
ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل
محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما
واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت
منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول
يقال حي جميع وجاوا جميعا واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا
منها حبا فمنه ياكلون القراة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان
واحييناها استيناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز
ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض
وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه
ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون
بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشي الذي يتعلق به معظم العيش
ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا
فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون
وقرا وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
وقري ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى
لياكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي
والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان
الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما
قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز طريقة علم
ان يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانها في حكم النخيل
فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال
رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له
فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم
تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقري على الوجه الاول وما عملت
من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الازواج الاجناس
والاصناف كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ومما لا يعلمون

ومن انعراج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الي معرفتها بطريق من طرق
العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالي من الخلايق الحيوان والجماد مالم يجعل
للبشر طريقا الي العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الي ذلك العلم ولو
كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون
وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر علي قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده
ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام
بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل علي عظم قدرته واتساع ملكه
وايه لهم الليل نسلخ منه النهار سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه
سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقي ظله
فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما يقال اعتمنا وادجينا
والشمس تجري لمستقر لها لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من
فلكها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهي لها من
المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتي تبلغ
اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من
مسيرها كل يوم في مراي عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها
الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة وقيل
الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقري الي مستقر لها
وقرا ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقري لا مستقر لها
علي ان لا بمعني ليس ذلك الجري علي ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي
تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه تقدير العزيز العليم
اي ما هو الا تقدير الغالب بقدرته علي كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر
قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم قري والقمر رفعا علي الابتداء او
عطفا علي الليل يريد ومن اياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد
في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معني لتقدير نفس القمر منازل
والمعني قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه علي تقدير مستو لا يتفاوت
يسير فيها من ليلة المستهل الي الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة
اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب
الانواء المستمطرة وهي ∴ الشرطان ∴ البطين ∴ الثريا ∴ الدبران ∴ الهقعة ∴
الهنعة ∴ الذراع ∴ النثرة ∴ الطرف ∴ الجبهة ∴ الزبرة ∴ الصرفة ∴ العواء ∴
السماك ∴ الغفر ∴ الزباني ∴ الاكليل ∴ القلب ∴ الشولة ∴ النعايم ∴ البلدة ∴
سعد الذابح ∴ سعد بلع ∴ سعد السعود ∴ سعد الاخبية ∴ فرغ الدلو المقدم ∴
فرغ الدلو المؤخر ∴ الرشاء ∴ فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون
القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الي منبته من النخلة وقال
الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقري العرجون بوزن
الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم
دق وانحني واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف
بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك
في وصيته عتق منهم من مضي له حول او اكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقري سابق

النهار

النهار علي الاصل والمعني ان الله تعالي قسم لكل واحد من الليل والنهار ١٩
وايتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما علي التعاقب
فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير علي
المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان علي حياله ان تدرك
القمر فتجتمع معه في وقت واحد فتداخله في سلطانه فتطمس نوره
ولا يسبق الليل النهار يعني اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال
ولا يزال الامر علي هذا الترتيب الي ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض
ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت
لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس
لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس
جديرة بان توصف بالادراك لتباطوء سيرها عن سير القمر والقمر
خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من
المضاف اليه والمعني وكلهم والضمير للشموس والاقمار علي ما سبق ذكره
واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ذريتهم اولادهم ومن يهمهم
حمله وقيل اسم الذرية يقع علي النساء لانهن مزارعها وفي الحديث
انه نهي عن قتل الذراري يعني النساء وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح
عليه السلام ومعني حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين
وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان
عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الي يوم القيمة في سفينة
نوح ومن مثله ومن مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق
وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم لا صريخ لا مغيث او لا اغاثة يقال
اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة
الا لرحمة منا ومتاعا ولتمتيع بالحيوة الي حين الي اجل يموتون فيه
لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ∴ ∴
∴ ولم اسلم لكي ابقي ولكن ∴ سلمت من الحمام الي الحمام ∴
وقرا الحسن نغرقهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله
افلم يروا الي ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد
ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقايع
التي خلت يعني من مثل الوقايع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها
وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا علي رجاء رحمة الله وجواب
اذا محذوف مدلول عليه بقوله وما تاتيهم من اية الا كانوا عنها معرضين كانه قال
واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل اية وموعظة
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه كانت الزنادقة منهم يسمعون المومنين يعلقون
افعال الله بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغني فلانا ولو شاء لاعز ولو
شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا يقولونه
من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول
بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغني والفقر من الله لانهم معطلة
لا يومنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة
علي المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون

ان الله تعالي لما كان قادرا علي اطعامه ولايشاء اطعامه فنحن احق
بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلي
الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون
قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء
الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم
صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون ان
انتم الا في ضلال قول الله لهم او حكاية قول المومنين لهم او هو من جملة جوابهم
للمومنين قري وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها
واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون علي الاصل ويخصمون من خصمه والمعني
انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم
في متاجرهم ومعاملاتهم وساير ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعني
يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون
في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية ولا الي اهلهم يرجعون
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الي ربهم ينسلون لا يستطيعون
ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون علي الرجوع الي
منازلهم واهاليهم بل يموتون بحيث تفجوهم الصيحة قري الصور
بسكون الواو وهو القرن وجمع صورة كانها بعضهم والاجداث
القبور وقري بالفاء وينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة
الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون قري يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا
انتبه واهبه غيره وقري من هبنا بمعني اهبنا وعن بعضهم اراد هب
بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقري من بعثنا ومن هبنا علي من الجارة
والمصدر وهذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز
ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد
الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق
عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل
القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملايكة عن ابن عباس
وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه
من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت
اذا جعلت ما مصدرية كان المعني هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين
علي تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله
وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي
وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعني والذي صدق فيه المرسلون
من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان
قلت من بعثنا من مرقدنا سوال عن الباعث فكيف طابقه
ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباءكم
به الرسل الا انه جيء به علي طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم
وذكر واكفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانهم قيل لهم
ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النايم من مرقده حتي يهمكم السوال
عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده
الله في كتبه المنزلة علي السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة

واحدة

واحدة فويت منصوبة ومرفوعة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم
نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
فاليوم لا تظلم نفس شيا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم
في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس
وترغيب في الحرص عليه وعلي ما يثمره في شغل اي في اي شغل وفي شغل لا يوصف
وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الي نيل تلك
الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله
للمرتضين من عباده ثوابا لهم علي اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة
والتفصي من مشاق التكاليف ومضايق التقوي والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز
الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس
في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل
في ضيافة الله تعالي وعن الحسن رحمه الله شغلهم عما فيه اهل النار التنعم
بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم
ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقري في شغل بضمتين وضمة
وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة
لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقري فاكهون وفكهون بكسر
الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقري فاكهين وفكهين
علي انه حال والظرف مستقر هم وازواجهم في ظلال علي الارايك متكئون
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير
في شغل وفي فاكهون علي ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء
علي الارايك تحت الظلال وقري في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل
الفراش فيها وقري ابن مسعود متكين يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون
به لانفسهم كقولك اشتوي واجتمل لنفسه قال لبيد
فاشتوي ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعني يتداعونه
كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شيت بمعني تمنه
علي وفلان في خير ما ادعي اي في خير ما تمني قال الزجاج وهو من الدعاء اي
ما يدعو اهل الجنة ياتيهم سلام قولا من رب رحيم وسلام بدل مما يدعون
كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعني ان الله يسلم عليهم
بواسطة الملايكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم
ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنه والملايكة يدخلون عليهم بالتحية
من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وخبره سلام بمعني ولهم
ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب علي الاختصاص
وهو من مجازه وقري سلم بمعني السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما
علي الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم ايها المجرمون وامتازوا وانفردوا
عن المومنين وكونوا علي حدة وذلك حين يحشر المومنون ويسار بهم الي الجنة
ونحوه قوله تعالي ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الاية
يقال لهم فامتازوا وامتاز وعن قتادة رحمه الله اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يري ولا يري ومعناه ان بعضهم يمتاز
من بعض الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه

اذا شوي وجمل

ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر موكد لقوله تعالي ولهم

وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلايل السمع
وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقري اعهد بكسر
الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في اليا، واعهد بكسر الها،
وقد جوز الزجاج ان يكون من باب ضرب يضرب ونعم ينعم واحهد بالحا، واحد
وهي لغة بني تميم ومنه قولهم دحا محا اي دعها معها هذا اشارة الي ما عهد
اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير
فيه ما في قول كثير ∴ لين كان يهدي برد انيابها العلي ∴
∴ لا فقر مني انني لفقير ∴ اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان
اوصف به لكمال شرايطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت وكذلك في قوله هذا صراط
مستقيم يريد صراط بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه
ويجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي
عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يودي الى الضلالة والتهلكة
كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اعظم الطرق ان تعتقد فيه كما يعتقد
في الطريق الذي لا يضل سالكه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي
ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصايحه
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقري جُبُلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين
وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات
في معنى الخلق وقري جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراة علي رضي الله عنه
جيلا واحد الاجيال افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد
عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينيذ يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني
لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقري يختم على افواههم وقري ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب
على معنى ولذلك نختم على افواههم وقري ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام
الامر والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة الطمس تعفية شق عينيه
حتى تعود ممسوحة ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فاستبقوا
الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا
الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا
اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا
الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصد هم
المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم
موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا
جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا
مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء
لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه ليعجزوا
ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد
دون ما وراءه من ساير الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون
فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها فانى يبصرون ولو نشاء

وتتكلم ايديهم

لمسخناهم

٢١

لمسخناهم على مكانتهم وقري مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام
اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون لا يقدرون
ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس
رضي الله عنه لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم
على ارجلهم وازمناهم وقري مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي
والعتي والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على
عكس ما خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل
وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان
يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وعليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق
فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة
عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد
الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة
على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل
الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه
قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد
وقري بكسر الكاف وننكسه وننكسه لمن التنكيس والانكاس افلا يعقلون
بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي ان
القايل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم
القران الشعر على معنى ان القران ليس بشعر وما هو من الشعر في شي واين
هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على المعنى فاين الوزن
واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم
عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم
الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له وما يتطلب
لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل كما
جعلناه اميا لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان
لا يتاتى له فان قلت ∴ فقوله ∴ ∴ ∴
∴ انا النبي لا كذب ∴ انا ابن عبد المطلب ∴ ∴
وقوله ∴ ∴ هل انت الا اصبع دميت ∴ وفي سبيل الله ما لقيت ∴
قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة
من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا
التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس
في خطبهم ورسايلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا
يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو
ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد
المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران من جنس الشعر قال ان هو
الا ذكر وقران مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن
كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرا في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم
بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القران او الرسول
وقري لتنذر بالتاء ولينذر بالياء من نذر به اذا علمه من كان حيا اي

عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يومن فيحيي بالايمان
ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع
منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه
ولم يقدر على توليته غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التي
لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل اليد استعارة من عمل من يعملون بالايدي
انعاما فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون
فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون
قاهرون من قوله ⁂ اصبحت لا احمل السلاح ولا ⁂ املك راس البعير ان نفرا ⁂
اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله
وتسخيره لها كما قال القايل ⁂ ⁂ ⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ يصرفه الصبي بكل وجه ⁂ ويحبسه على الخسف الجرير ⁂ ⁂
⁂ ⁂ وتضربه الوليدة بالهراوي ⁂ فلا غير لديه ولا نكير ⁂ ⁂
ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وذللناها لهم فمنها ركوبهم وقري ركوبهم
وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقري
ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع
من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة
وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب
جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب افلا يشكرون واتخذوا من
دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
اتخذوا الالهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس
ما قدروا حيث هم جند لالهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون
عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم
لينصروا وهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون قري فلا يحزنك بفتح الياء
وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاهم فانا
عالمون بما يسرون لك من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك
ان يتسلي بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الاخرة
حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن
يقول ان قرا قاري انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه
من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير في القران والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى
الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة
لك كسرا بوحنيفة وفتح الشافعي رحمهما الله وكلاهما تعليل والثاني ان
يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
وهذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان
تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها
وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر على معنى التعليل
ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر
معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب

ذلك

ذلك القايل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون
الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليبيل النهي عن ذلك ما يوجب شيئا الا ترى الى قوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين قبح الله عز وجل
انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان
وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة
حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة
المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان
يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته
لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت
بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه
منشا من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح
وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل
والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون
الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى
الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء
مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح
كما قال او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فان قلت لم سمي قوله
من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة
شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه
لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى
فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله
بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين
بالقدرة عليه والرميم اسم ما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبرا للمونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل
او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحيوة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يوثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما
اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون
ان الحيوة لا تحلها فلا يوثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام
في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس قل
يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق
لا يتعاظمه شيء من خلق المنشات والمعادات ومن اجناسها وانواعها
وجلايلها ودقايقها ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر
مع مضادة النار الماء وانطفايها به فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها
في المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع
الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل

وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات
القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من
شجرة من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم من قدر على خلق السموات
والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم
يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض
او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات
العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه
داعي حكمته الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقيف
فيكون فيحدث اي فهو كاين موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله
ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من
المكونات وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فان
قلت ما وجه القراتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من
مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول
له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز
على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدر واستعمال
الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر
العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور
حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب
من ان يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شيء وهو مالك كل شيء والمتصرف
فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء والمعنى
واحد واليه ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في
فضايل ياسين وقراتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القران يس من قرا يس
يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي له من الاجر كانما قرا القران اثنى وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف
منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون
له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة وهو على فراشه
فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج
الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى
الله عليه وسلم ان في القران سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق اقسم سبحانه بطوايف
الملايكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة من قوله وانا لنحن
الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات
السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها

وقيل

وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل
ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم
بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وساير الصلوات وصفوف
الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله الدارسات
شرايعها او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف
وتزجر الخيل للجهاد وتتلوا الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما
يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت
عاطفة في الصفات قلت اما ان يدل على ترتب معانيها في الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب
كانه قال الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها في التفاوت من بعض
الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب
موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه
القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت
فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته
فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه
الاوصاف على الملايكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها
في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس
وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف
والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني
ان طوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات
كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلوا الذكر فان الموصوفات
مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات
خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثماية وستون مشرقا
وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب
فلا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فما اراد بقوله
رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء
ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة
واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله
بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان
زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي
بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها في انفسها
واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان
اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة
مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب
وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها
المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها
وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على
الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا
من كل شيطان مارد وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا

الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان
زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس
منها لا يسمعون الى الملاء الاعلا ويقذفون من كل جانب الضمير في لا يسمعون
لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرى بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون
والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون
ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون
كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة
لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سايلا لو سال لم تحفظ من الشياطين
فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او
يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف
خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب
فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت
في قولك جيتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما
قال القايل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين
غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن
مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث
وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه
يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملاء الاعلى الملايكة
لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملاء الاسفل لانهم سكان الارض وعن
ابن عباس هم الملايكة وعنه اشراف الملايكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي
جهة صعد للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد
او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل
يدحرون قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على
انه قد جا مجي القبول والولوع ولهم عذاب واصب والواصب الدايم وصب الامر
وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من
العذاب دايم غير منقطع الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان
الذي خطف الخطفة وقرى خطف بكسر الطا وتشديدها وخطف وخطف
بفتح الخا وكسر الطا وتشديدها واصلها اختطف وقرى فاتبعه فاتبعه
الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل
فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي
مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته
ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات والارض والكواكب
والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب ولي العقل على غيرهم فقال من
خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشيا فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من
خلقنا بالفا المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفا ببيان
ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم
اشد خلقا ام الذي خلقنا من ذلك وتقطع به قراءة من قرا ام من عددنا

بالتخفيف

بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي
خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة
الاخرى فان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها
كان خلق البشر عليه اهون انا خلقناهم من طين لازب وخلقهم من طين لازب
اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف
بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه
تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا اءذا كنا ترابا
وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من
الامم الماضية وليس هذا القول بملايم وقرى لازم ولاتب والمعنى واحد
والثاقب لشدة الاضاءة بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلايق العظيمة
وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرة الله او من انكارهم
البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرى بضم التا اي بلغ من عظم اياتي
وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهولاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون
ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله وانما هو
روعة تعتري الانسان عند استعظام الشي والله عز وجل لا يجوز عليه
الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني
ان يتخيل العجب ويفرض وقد جا في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم
وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شي
وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد
الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرا بالضم وقيل معناه قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون ودابهم انهم اذا وعظوا بشي لا يتعظون
به واذا راوا اية من ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون
يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا
الا سحر مبين اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون اواباؤنا
الاولون واباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون
والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا
اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرى
او اباؤنا قل نعم وقرى نعم بكسر العين وهما لغتان وقرى قال نعم اي الله
والرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما هي زجرة
واحدة فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة
وهي لا ترجع الى شي انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة
زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي
الابل والغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه قوله زجر ابي عروة السباع
اذا اشفق ان تختلط بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احياء بصراء
ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به
تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله فاهدوهم الى صراط الجحيم يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله
احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملايكة
لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من
كلام الملايكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه اي نجازي

باعمالنا ويوم الفصل يوم القضا والفرق بين فرق الهدي والضلالة
احشروا الخطاب لله للملايكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباهم
عن النبي صلي الله عليه وسلم وهم نظراوهم واشباههم من العصاة اهل
الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناوهم من
الشياطين وقيل نساوهم اللتي علي دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق
النار حتي يسلكوها وقفوهم انهم مسئولون مالكم اليوم لاتناصرون
هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ماكانوا علي خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد استسلم بعضهم بعضا وخذله
عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقري لاتتناصرون ولاتناصرون بالادغام
واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اليمين
لما كانت اشرف العضوين وامتنها وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون
ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك
سموها الشومي كما سموا اختها اليمني وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح
وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور
باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب التيامن في كل
شي وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيات ووعد المحسن
ان يوتي كتابه بيمينه والمسيء ان يوتي كتابه بشماله استعيرت لجانب الخير
وناحيته فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله
وجاءه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه (في بعض التفاسير جاده)
من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل
التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر
علي نفسه وعلي من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يود زكاة فان قلت
قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا
عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتي لحق بالحقايق وهذا
من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالقوة وبها يقع البطش والمعني انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدونا
عن السلطان والغلبة حتي تحملونا علي الضلال وتقسرونا عليه وهذا من
خطاب الاتباع لرؤسايهم والغواة لشياطينهم قالوا بل لم تكونوا مومنين
بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له علي الكفر غير ملجئين
وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم
قوما طاغين بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا
انا لذايقون يعني وعيد الله بانا ذايقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا
واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكي الوعيد كما هو لقال انكم لذايقون ولكنه
عدل به الي لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القايل
لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكي قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ
الحالف والتاء لاقبال المحلف علي المحلف فاغويناكم فدعوناكم الي الغي دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي علي الرشد انا كنا غاوين
فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ
يوم القيمة في العذاب مشتركون مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين
في الغواية انا كذلك نفعل بالمجرمين مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان

سبب

سبب لعقوبتهم هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها
وابوا الا الشرك ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون لشاعر مجنون يعني
محمد صلي الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد علي المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا
لما بين يديه انكم لذايقوا العذاب الاليم وقري لذايقوا العذاب بالنصب علي
تقدير التنوين كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقري علي الاصل
لذايقون العذاب وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل
سي الا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله علي الاستثناء المنقطع اولئك لهم
رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت
لحفظ الصحة يعني رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات
لانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه علي سبيل التلذذ ويجوز
ان يراد رزق معلوم منعوت بخصايص خلق عليها من طيب طعم ورايحة
ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات ياباه وقوله وهم مكرمون
هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب علي سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم
ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر
عنه نفوسهم هوانه اهل النار وصغارهم في جنات النعيم علي سرر متقابلين
التقابل اتم للسرور وانس وقيل لا ينظر بعضهم الي قفا بعض يطاف عليهم
بكاس يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمي الخمر نفسها كاسا قال
وكاس شربت علي لذة وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر
وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين
وهو الجاري علي وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه
يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالي وانهار من خمر بيضاء
صفة للكاس لذة للشاربين اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة
وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشي فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك
رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدي من خشية الحدثان
يريد النوم لا فيها غول الغول من غاله يغوله اذا اهلكه وافسده ومنه الغول (غول)
التي هي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم ولاهم عنها ينزفون
وينزفون علي البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال
للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه
كله ونزحت الركية حتي نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن
من المنزوف ضرطا وقري ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله
او شرابه قال
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبيس الندامي كنتم ال ابجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل
وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مطرف
ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعني لا فيها
نشاد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار
او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها
فافرده وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين قصرن ابصارهن
علي ازواجهن لا يمددن طرفا الي غيرهم كقوله تعالي عربا والعين النجل

العيون كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها
تشبه العرب النسا وتسميهن ببيضات الخدور فان قلت علام عطف
قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون
فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال
وما بقيت من اللذات الا محادثة الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتسالون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جي به
ماضيا على عادة الله في اخباره قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اانك
لمن المصدقين قري من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد
الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج
فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني
الله في الاخرة خيرا منه فقال اانك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا اعطيك شيا اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمدينون
لمجزيون من الدين وهو الجزا او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه
الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القايل هل انتم مطلعون
الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها
الى اهل النار وقيل القايل الله عز وجل وقيل بعض الملايكة يقول لاهل
الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقري مطلعون
فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا
فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا
ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوا فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت
الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من
اداب المجالسة ان لا يستبد بشي دون جلسايه فكانهم مطلعوه وقيل
الخطاب على هذا للملايكة وقري مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه وشبه اسم
الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع
الا في الشعر فراه في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي
وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي
قال تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل
على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء
الاهلاك وفي قراة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي وهي العصمة والتوفيق
في الاستمساك بعروة الاسلام والبراة من قرين السوء او انعام الله بالثواب
وكونه من اهل الجنة لكنت من المحضرين الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الذي
عطفت عليه الفا محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين
ولا معذبين وقري بمايتين والمعنى ان هذه حال المومنين وصفتهم وما قضى
الله به لهم للعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم
فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكما ما شر من الموت قال
الذي يتمنى فيه الموت يقوله المومن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع
من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا
ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي
ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم

وتصديقا

وتصديقا له وقري لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة لمثل
هذا فليعمل العاملون تمت قصة المومن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم
٢٦ فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل
الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشي
وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم
وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا
ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم
فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال
الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق
المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة
الزقوم ولكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون
ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك
انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا انها شجرة تخرج
وقري نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها طلعها كانه رءوس الشياطين والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من
شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برءوس الشياطين
دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع
الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة
كانه وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون جاوا بصورته
على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه
فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هايلة
جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى
ثمره رءوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر رءوس الشياطين الا قصدا
الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به
فانهم لاكلون منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون منها البطون فمالئون
بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون
بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق
او صديد ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم شوبه اي مزاجه من حميم يشوي
وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من
تسنيم وقري لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من
حميم وفي قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قلت في الاول وجهان
احدهما انهم يملاون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم
ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون
ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام
بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم
للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته
في الزيادة عليه ومعنى الثاني انه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان

لها صورة

يتملاذا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الي دركاتهم ومعني التراخي في ذلك
بين وقوي ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الي الجحيم انهم الفوا
اباءهم ضالين فهم علي اثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدايد
كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم علي الضلال وترك اتباع الدليل
والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة
ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبيا حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وحذروا
اي اهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا
لله دينهم او اخلصهم الله لدينه علي القراتين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون
لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر
نوح عليه السلام ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة علي نعم
جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم
المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعني انا اجبناه احسن الاجابة
واوصلنا الي مراده وبغيته من نصرته علي اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون
ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين هم الباقين
هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان
معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الي يوم القيمة قال
قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان لنوح ثلاثة اولاد سام
وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق
الي المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه في الاخرين هذه
الكلمة وهي سلام علي نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين يعني يسلمون
عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها
فان قلت فما معني قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت
هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله
التسليم علي نوح وادامه في الملايكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم
انه كان من عبادنا المومنين علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية
من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الي اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه
محسنا بانه كان عبدا مومنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصاري من
صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ثم اغرقنا
الاخرين وان من شيعته لابراهيم من شيعته ممن شايعه علي اصول الدين
وان اختلفت شرايعهما او شايعه علي التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشيا وعن ابن عباس من
اهل دينه وعلي سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح
وكان بين نوح وابراهيم الفان وستماية واربعون سنة فان قلت
بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معني المشايعة يعني وان ممن
شايعه علي دينه وتقواه اذ جاء ربه بقلب سليم حين جاء ربه بقلب سليم
لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع افات القلوب وقيل
من الشرك ولا معني للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولي من بعض
فيتناولها كلها فان قلت ما معني المجي بقلبه ربه قلت معناه
انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجي مثلا لذلك اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين

افكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول
علي الفعل للعناية وقدم المفعول له علي المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم
بانهم علي افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون به
افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله علي انها افك في نفسها ويجوز ان
يكون حالا يعني اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم بمن هو
الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتي
تركتم عبادته الي عبادة الاصنام والمعني انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد
عن عبادته الي عبادة الاصنام او فما ظنكم به اي شي هو من الاشيا حتي
جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد
عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن
بعض الملوك انه سيل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له
وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل باماره في علم النجوم
علي انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب
الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوي ليتفرقوا عنه فهربوا منه الي عيدهم
وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت
كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب
والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان
الكذب حرام الا اذا عرض وورّي والذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه
معاريض من الكلام وقد نوي به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل
كفي بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني فاذا السلامة داء

ومات رجل فجاة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي
اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الي
الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الي الهتهم الي اصنامهم
التي هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاي فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون
استهزاء بهم وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم
مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معني ضربهم او فراغ
عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعني ضاربا وقري صفقا وسفقا
ومعناهما الضرب ومعني ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين
اقوي الجارحتين وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف
وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون يسرعون من
زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله
علي الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون علي البناء للمفعول اي يحملون
علي الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا
حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا
وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتي
يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه
خيفة العدوي فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه
ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتي قيل لهم سمعنا ابراهيم
يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم
استدلوا بذمه علي انه هو الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون

وكان فتولوا عنه مدبرين

الذين ابصروه وزفوا اليه نفر منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور
والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوا عندها
لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا
بها لم ينم عليه اولئك النفر بنميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم
سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر
بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسوالهم
عن الكاسر وقولهم فاتوا به على اعين الناس قال اتعبدون ما
تنحتون والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه
من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر
الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم
حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار
الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه
الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها
الله وعاملو اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها
حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان تكون
ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة
قلت اقرب ما يبطل به هذا السوال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب
ان معنى الاية ياباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل
قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق
المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر
على ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن
محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء اخر وهو ان قوله ما تعملون
ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيه فلا
يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم
البيان ولا تبصر لنظم القران فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني
ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك
لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك
بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية فانك قاطع
بذلك الوصلة بين ما تعملون وبين ما تنحتون حيث تخالف بين المرادين
بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي
هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار
وجمر فوق جمر فهي جحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين والمعنى
ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان
يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر
فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى
حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين
سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى
عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له ساهديك
فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه

معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله
ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل رب هب لي من الصالحين هب بعض الصالحين يريد الولد
لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب
ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين
هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب فبشرناه بغلام
حليم وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ
اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل
ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده
ولقد نعت الله به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم
اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي فلما بلغ
ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق
قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح
تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر
لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد
الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص
الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء
فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث
عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان
فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية
العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي
في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما
يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج
من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله
يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح
امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى
راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة
حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد
السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه
المشاورة وقرئ ماذا تري من الرؤية اي ماذا تبصر من رايك وتبديه
وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي قال يا ابت
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ
ما تؤمر به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت
لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من

بلاء الله فيثبت قدمه ويصبر او يجزع وبامن عليه الزلل ان صبر وسلم
ولبعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقي البلاء وهو كالمستانس
به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المفاجاة بالذبح مما
يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور ادم الملائكة في اكله من
الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون التيقظ
قلت كما اري يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير
وحي الي ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام
وما سوي ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة علي كونهم صادقين
مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان
علي الصدق كان ذلك اقوي للدلالة من انفراد احدهما ستجدني ان شاء الله
من الصابرين فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد
وقد قري بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان
اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له
منقولان منه بالهمزة وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة
له خالصة وكذلك استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم
هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه علي شقه فوقع احد جبينيه
علي الارض تواضعا علي مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا
الشيطان وروي ان ذلك كان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع
المشرف علي مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان
قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما تنطق
به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله
وشكرهما علي ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا
في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان
الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتخويلهما ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا
لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز به المخلصون من غيرهم او
المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل
منه فكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل وعن الحسن فدي بوعل
اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة
وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي
وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها علي الصراط مطاياكم وقيل
لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي
انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه
لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر
فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح
انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الي
الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له
اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شي

تعنى

من دمي

من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع
امرارها علي حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرا
علي امي سلامي وان رايت ان ترد قميصي علي امي فافعل فانه عسى ان يكون
اسهل لها فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني علي امر الله ثم اقبل عليه
يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين علي حلقه فلم تعمل لان
الله ضرب صفيحة نحاس علي حلقه فلم تعمل فقال له كبني علي وجهي
فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين
امر الله ففعل ثم وضع السكين علي قفاه فانقلبت السكين ونودي يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا هو جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش
وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه
الي الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده
انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت
قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من
التابعين رضوان الله عليهم انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم علي عبد الله فمنعه اخواله
وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسماعيل
وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا
اللهم اله ابراهيم واسماعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني
اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسماعيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني
كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم
قط ولا خير بيني وبين شي قط الا اختارني واما اسماعيل فانه جاد بدم
نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل
عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد
بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسماعيل فقال ان هذا شي ما كنت
انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الي يهودي قد اسلم فساله فقال
ان يهود لتعلم انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه
ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسماعيل الي ان احترق
البيت وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي
اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة
وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل
وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسماعيل واليسع وذا الكفل
كل من الصابرين وهو صبره علي الذبح ووصفه بصدق الوعد
في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر علي الذبح
فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا
للموعد في يعقوب وعن علي وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة
وجماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق والحجة فيه ان الله
تعالى اخبر خليله ابراهيم حين هاجر الي الشام بانه استوهبه ولدا ثم
اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر

فضحكت

به ويدل عليه كتاب يعقوب الي يوسف من يعقوب اسرايل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فان قلت نداوحيا الي ابراهيم صلوات
الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا
وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه
وفعل ما يفعل الذابح من بطحه علي شقه وامرار الشفرة علي حلقه ولكن الله
سبحانه جاء بما يمنع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا
تري انه لا يسمي عاصيا ولا مفرطا بل يسمي مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة
وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ علي المامور به
قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شي كما يسبق الي بعض الاوهام حتي يشتغل
بالكلام فيه فان قلت الله تعالي هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح
فكيف يكون فاديا حتي قال وفديناه قلت الفادي هو ابراهيم
عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه
اسنادا للفدا الي السبب الذي هو الممكن بهبته فان قلت فاذا كان من الفداء
ما اتي به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معني الفداء
والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم بمنع الله ان
حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش
ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسماعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه حتى تحصل الحقيقة
فان قلت فاي فايدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها
بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفايدة
في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتي يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد
المامور به من كل وجه وتركنا عليه في الاخرين سلام علي ابراهيم كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين فان قلت لم قيل ههنا
كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد
سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بذكره مرة عن ذكره ثانية بطرح الفداء
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا حال مقدرة كقوله تعالي فادخلوها
خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك
ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معها فقدرت
مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت
وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية
والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد
النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا
حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به
فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعني
مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الي ان تكون موجودة
او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا
سوال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير
مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد
مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك ترجع
نظير قوله تعالي فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها علي
سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة
بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول

الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلق بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره
الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا
وباركنا عليه وعلي اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين
وقري وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله واتيناه اجره
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقيل وباركنا علي ابراهيم في اولاده
وعلي اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرايل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره
قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه علي ان الخبث والطيب
لا يجري امرهما علي العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا
مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلي ان الظلم وعلي ان الظلم في اعقابهما لم يعد
عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب علي
ما اجترحت يداه لا علي ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا علي موسي
وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان
فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ونصرناهم
الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما واتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدي ونور
وقال من جوز ان تكون التورية تشتق من وري الزند فوعلة منه علي عربية
ان التاء مبدلة من واو وهديناهما الصراط المستقيم اهل الاسلام وهو صراط
صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما
في الاخرين سلام علي موسي وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من
من عبادنا المومنين وان الياس قري الياس بكسر الهمزة والياس علي لفظ
الوصل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود وان
ادريس في موضع الياس وقري ادراس وقيل هو الياس بن ياسين
من ولد هرون اخي موسي لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون
بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من
ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه
حتي اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل
في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس
وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعني اتعبدون بعض
البعول وتتركون عبادة الله وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب
ابايكم الاولين قري بالرفع علي الابتدا وبالنصب علي البدل وكان حمزة
اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله
المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام علي ال ياسين انا كذلك نجزي
المحسنين وقري علي الياسين وادريسين وادراسين وادرسين بفتح
الراء علي انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية
معني وقري علي الياسين بالوصل علي انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم
الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حملت علي هذا الياسين
علي القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام
واما من قرا علي ال ياسين فعلي ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الال
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون

مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون عليهم نازلهم في متاجركم الي الشام ليلا
ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين وقري يونس
بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا علي طريقة المجاز
اذ ابق الي الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين والمساهمة المقارعة
يقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق
عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا
عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر
فاقترعوا فخرجت القرعة علي يونس فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لايم مليم اي يلوم غيره وهو احق
منه باللوم وقري مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب
مبنيا علي شيب ونحو مدعي بناء علي دعي فلولا انه كان من المسبحين من
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن
ابن عباس كل تسبيح في القران فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخا
قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكا
وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المومن من ذكره بما هو اهله واقباله
علي عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه
ذلك عنده في المضايق والشدايد للبث في بطنه الي يوم يبعثون الظاهر
لبثه فيه حيا الي يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الي يوم
القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحي الله الي الحوت اني جعلت بطنك له سجنا
ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن
الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن
لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيدا لوقت الذي التقم فيه وروي
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم
حتي بلغوا البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا وروي
ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء والعراء المكان
الخالي لا شجر فيه ولا شي يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد
بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه شجرة من يقطين واليقطين
كل ما ينسدح علي وجه الارض ولا يقوم علي ساق كالبطيخ والقثا والحنظل وهو
يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به وقيل هو الدبا وفايدة الدبا ان الذباب
لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال
اجل هي شجرة اخي يونس عليه السلام وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة
الموز تغطي بورقها واستظل باغصانها وافطر علي ثمارها وقيل كان يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان
علي الشجرة فيبست فبكي جزعا فاوحي اليه بكيت علي الشجرة ولا تبكي علي مائة الف
في يد الكافر فان قلت ما معني وانبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه
مظلة له كما يطنب البيت علي الانسان وارسلناه الي مائة الف المراد به
ما سبق من ارساله الي قومه وهم اهل نينوي وقيل هو ارسال ثان بعد
ما جري عليه الي الاولين او الي غيرهم وقيل سلموا فسالوه ان يرجع اليهم
فابي لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله
باعث اليكم نبيا او يزيدون في مراي الغبي اذا راها الراي قال هي

كشجرة البطيخ ح

الناظر ح

مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة فامنوا فمتعناهم الي حين الي اجل
مسمي وقري ويزيدون بالواو وحتي حين فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون فاستفتهم معطوف علي مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما
المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزي التي
قسموها حيث جعلوا الله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملايكة بنات
الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهن واستنكافهم من ذكرهن ولقد
ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة
بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم علي ربهم حين جعلوا له اوضع الجنسين له
وارفعهما لهم كما قال تعالي واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا وهو كظيم او من ينشوا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم
ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقابله جلد
النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه
الانواع كلها في كتابه مرات ودل علي فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض صح
سبحانه بديع السموات والارض اني يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وجعلوا له من عباده جزا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم
ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفي
البنات علي البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين وجعلوا
الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون
فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت
ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق
المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق
استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعني انهم يقولون ذلك كالقايل قولا
عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله وقري ولد الله اي الملايكة ولده والولد فعل
بمعني مفعول يقع علي الواحد والجمع والمذكر والمونث تقول هذه ولدي وهولاء
ولدي وانهم لكاذبون اصطفي البنات علي البنين ما لكم كيف تحكمون
افلا تذكرون فان قلت اصطفي البنات بفتح الهمزة استفهام علي
طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراة ابي جعفر بكسر الهمزة علي
الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد
قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراة وان كان محملها هذا فهي ضعيفة والذي
اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم
لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة
بين نسيبين وقري تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين اي حجة نزلت
عليكم من السماء وخبر بان الملايكة بنات الله فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين
فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع
واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة

بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء
وتهكم وتعجيب من ان يخطر بخاطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا
ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة وجعلوا
بين الله وبين الجنة واراد الملايكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى
وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة
له وللملايكة فان قلت لم سمي الملايكة جنة قلت قالوا الجنس واحد
ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك
وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم
بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم
ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من
صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب
من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه
ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا
المقام وقره وكناه ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون والضمير في انهم
لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملايكة وقد علم
الملايكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون
بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين
ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملايكة
وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن في
طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم
لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم
ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم سبحان
الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين
معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين
ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هولاء بذلك
ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين
الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا
بفاتنين على الله الا من هو صال الجحيم الا اصحاب النار الذين سبق في علمه
انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم
على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن
فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان
يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته
فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان
يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد
الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم
قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على
ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال
الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله
فانك والكتاب الي علي كدابغة وقد حلم الاديم
وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط
واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع

قوله

٢٢

قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه
والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في اية
واحدة والثاني ان يكون اصله صايل على القلب ثم يقال صال في صايل
كقولهم شاك في شايك والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب
على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشات باجراء
الاعراب على العين وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا … يكفي كان من ادمي البشر
مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه
كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه وانا لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نومر وقيل
نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمومنين وقيل ان المسلمين انما
اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل
الملل في صلواتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المنزهون او المصلون
والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام
الملايكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم
الملايكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا
سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبراوهم منه
وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله
احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون
مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء
بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته
وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين
خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام
معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه
مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون هم مشركوا
قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من الاولين من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة
لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد
الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم
من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك
انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت
في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرى كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم
على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم

الا له مقام معلوم

هم الذين

في الاخرة كما قال تعالي والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض
المشاهد وما جري عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة
وكفي بمشاهد رسول الله صلي الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذي
عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل
فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منهم الظفر والنصرة وان وقع
في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وفي قراة ابن مسعود
علي عبادنا علي تضمين سبقت معني حقت فتول عنهم فاعرض واغمض
علي اذاهم حتي حين الي مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي
الي يوم بدر وقيل الي الموت وقيل الي يوم القيمة وابصرهم فسوف
يبصرون وابصرهم وما يقضي عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة
فسوف يبصرونك وما يقضي لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة
والمراد بالامر بابصارهم علي الحال المنتظرة الموعودة الدلالة علي انها كاينة
واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس
عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين مثل العذاب النازل بهم بعد
ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا
الي انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتي اناخ
بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر
وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك
موردها علي نفسك وطبعك الا لمجيئها علي طريقة التمثيل وقرا ابن
مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم علي اسناده الي الجار
والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل علي ونزل العذاب والمعني فساء
صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان
ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتي رسول الله صلي الله
عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الي مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الي حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فتول عنهم حتي حين
وابصر فسوف يبصرون وانما ثني وتول عنهم ليكون تسلية علي تسلية
وتاكيدا لوقوع الميعاد الي تاكيد وفيه فايدة زايدة وهي اطلاق الفعلين
معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به
الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب
الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين اضيف الرب الي العزة لا
ختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه
بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا هو
ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة علي ذكر ما قاله المشركون
في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم
وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه

ذاته

ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم علي المرسلين والحمد لله رب العالمين
علي ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المومنين ان يقولوا ذلك
ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرانه المجيد
وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفي من الاجر يوم القيمة
فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الي اخر السورة عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبري من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين

سورة صاد مكية وهي ست وثمانون اية

وقيل ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص صاد علي الوقف وهي اعم القراة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين كذا
ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن
بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن
بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعني السورة وقد صرفها
من قرا صاد بالجر والتنوين علي تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسره هو
من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدي وهو ما يعارض
الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القران
بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله صاد والقران
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما
وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا
الحرف من حروف المعجم علي سبيل التحدي والتنبيه علي الاعجاز كما مر في اول
الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال
والقران ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتداء
محذوف علي انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي
اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور
بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذي الذكر
انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف
بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقران
ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها
ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل
الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف
والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكري والموعظة
او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرايع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد
والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة علي شدتهما وتفاقمهما وقرئ
في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق وكم اهلكنا من
قبلهم من قرن وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا ولات حين مناص
فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي
لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت في رب وثم للتوكيد
وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا علي الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها
اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل
وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت

بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص
لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا اري حين مناص
ويرتفع بالابتدا اي ولا حين مناص كاين لهم وعندهما ان النصب على ولات
الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص
حاصلا لهم وقري حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطاي ؞ ؞
؞ طلبوا صلحنا ولات اوان ؞ فاجبنا ان لات حين بقاء ؞ ؞
فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله
وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل
ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه
قايم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم
منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا
من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقري ولات
بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت
يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذي تتصل به تاء التانيث واما
الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المونثة واما قول ابي عبيد
ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين
في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس
الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص
طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسا ؞ ؞ ؞
؞ غمر الجراء اذا قصرت عنانه ؞ بيدي استناص ورام جري المسحل ؞
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب
منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب
عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون
في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اوليك هم الكافرون حقا وهل
ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا
من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل
الذي لا وجه لصحته وروي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المومنون
فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا
من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هولاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجيناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السوال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم
ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب اي بليغ في العجب
وقري عجاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره
كريم وكرام وكرام وقوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا
الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول
على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان

ذلك

ذلك في الفعل محال وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم
الملا اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم
رسول الله بالجواب العتيد قايلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا
حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الامر لشي يراد اي يريده الله تعالى ويحكم
بامضايه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا
الامر لشي من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشي
يراد اي يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين
عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم
فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع
في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا
كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاول كما قيل لها الغاشية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا
على عبادتها واتمسكوا بها حتى لا تزالوا عنها وقري وانطلق الملا منهم
امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملا منهم
يمشون ان اصبروا فاما سمعنا بهذا في الملة الاخرة في ملة عيسى التي هي
اخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش
التي ادركنا عليها اباءنا او ما سمعنا بهذا كاينا في الملة الاخرة على ان تجعل
في الملة الاخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى
انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد
الله ان هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب ءانزل عليه
الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم
وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد
على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري بل هم في شك
من القران يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق
كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا
عذاب بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينيذ يعني
انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام
عندهم خزاين رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزاين الرحمة حتى يصيبوا
بها من شاوا ويصرفوها عمن شاوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزاينها
العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها
الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة
ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي لا يختص
بها الا رب العزة والكبرياء ثم تهكم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون
لتدبير الخلايق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي
يميزون بها من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا
في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي
الى من يختارون ويستصوبون ثم خسا هم خساءة عن ذلك بقوله

جيش

جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين
على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما به
يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في امرئ القيس
وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء
وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول
العظيم من قوله لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده
قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود
في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب
بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد
ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
ويرسل عليها العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب
بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب
قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم
هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا
في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها
بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم
فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع
في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية
من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة
عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وما ينظر
هؤلاء الا صيحة واحدة هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع
الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة
النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق
وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستاخر
هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وعن ابن عباس رضي الله عنه ما لها من رجوع
وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر
الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه
ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر
بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته
كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل
لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها فان قلت
كيف تطابق قوله تعالى اصبر على ما يقولون وقوله تعالى واذكر عبدنا
داود حتى عطف احدهما على صاحبه قلت كانه تعالى وتقدس
قال لرسوله صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية

الله

٢٥

الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه
ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث
الله اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع
فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب
ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع
كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن
نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك
داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه
ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه
وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما
وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد
واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب تواب رجاع الى مرضاة الله فان
قلت ما دلك على ان الايد القوة في الدين قلت قوله تعالى
انه اواب لانه تعليل لذي الايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق والطير محشورة كل له اواب والاشراق ووقت الاشراق
وهو حين تشرق اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال
يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل
تجدون ذكر صلوة الضحى في القران قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام
وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة
الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق
وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس
اني لا اجد في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب
الله يعني هذه الاية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق
ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات
على الحال فان قلت هل من فرق بين مسبحات ويسبحن قلت
نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر
تلك الحال يسمعها يسبح ومثله قول الاعشى
الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا
وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح
من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك
انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا
بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة
ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال
واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير
محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي
لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع

النظر اليها

المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الي فعله
رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الي الله
وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه
وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح
مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال تعالي سنشد عضدك وقري
شددنا علي المبالغة وقيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم
يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة
ان رجلا ادعي عنده علي اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي الله اليه في المنام
ان اقتل المدعي عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل
فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة
فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه
واتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة
وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين
فصل بمعني المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه
لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من
بعض فمعني فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب
به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطي صاحبه مظان
الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة علي المستثني منه ولا يتلو
قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتي يصله
بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار و
الاظهار والحذف والتكرار وان شيت كان الفصل بمعني الفاصل
كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي
يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو
كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي
رضي الله عنه هو قوله البينة علي المدعي واليمين علي المدعا عليه وهو
من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله ~~داود~~
اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا
اراد ان يخرج الي الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله
اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار
مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلي الله عليه
وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب
اذ دخلوا علي داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغي بعضنا علي
بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الي سوا الصراط ان
هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم
بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم
عادة في المواساة بذلك وقد اعتادوها وقد روينا ان الانصار
كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت
علي امراة رجل يقال اوريا فاحبها فساله النزول له عنها فاستحيا
ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك ~~اثر~~ مع
عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسايك

بو

لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول بل كان
الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر علي ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب علي خطبة
اخيه المومن مع كثرة نسايه واما ما يذكر ان داود تمني منزلة ابايه ابراهيم
واسحق ويعقوب فقال يا رب ان ابايي قد ذهبوا بالخير كله فاوحي اليه
انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ولده اسحق
بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن علي يوسف فسال الابتلا
فاوحي اليه انك لمبتلي في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من
ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت
فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطي بدنها
وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الي ايوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه علي التابوت وكان من يتقدم علي
التابوت لا يحل له ان يرجع حتي يفتح الله علي يده او يستشهد ففتح الله علي
يده وسلم فامر برده مرة اخري وثالثة حتي قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن
كما كان يحزن علي الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث
به عن المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء
وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال من حدثكم بحديث داود علي ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وهو حد الفرية علي الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة علي
ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان
كانت علي ما ذكرت وكف الله عنها سترا علي نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال
عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل
الذي ضرب لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الي زوج المراة ان ينزل له عنها
فحسب فان قلت لم جات علي طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح
قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الي الشعور بالمعرض
به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه
وحيايه وادعي الي التنبيه علي الخطا فيه من ان يباده به صريحا مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة الا تري الي الحكما كيف اوصوا في سياسة
الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح
وان تحكي له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية
فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين
الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك علي
وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسوال
نعجتك الي نعاجه حتي يكون محجوجا بحكمه ومعترفا علي نفسه بظلمه
وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة علي انه من
الانبا العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفي علي احد والتشويق الي
استماعه والخصم الخصما وهو يقع علي الواحد والجمع كالضيف قال الله
تعالي حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول

ذكرنا

بعض

هذا جمع وقوله خصمان
خصم حصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت
تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل
عليه قراة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان
خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل
على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان
قلت فقد جا في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت
معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون فان
قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله
نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين
في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بما انتصب اذ قلت
لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه
باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا
بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله
عليهما وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب
بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب
بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاول تسوروا
المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحايط المرتفع ونظيره
في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان
الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه
فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر
الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عليه السلام
جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخواص
اموره ويوما يجمع بني اسرايل فيعظهم ويبكيهم فجاوه في غير يوم القضا
ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس
حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن
خصمان ولا تشطط ولا تجر وقري ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقري
ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي
الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه
اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة
او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطا وكل واحد من
هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقري تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع
ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت
يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب
مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي
غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقري وعازني من
المعازة وهي المغالبة وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا
للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست
فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه

تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيا من
كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود والاحتفاظ
بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة
واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة
خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ
مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطا وانما خص هذه القصة لما
فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما تستقيم طريقة
التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فاذا فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم تستقم
قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما
استعاروا لها الشاة في نحو قول عنترة
يا شاة ما قنص لمن حلت له ❊ فرميت غفلة عينه عن شاته
وشبهها بالنعجة الاعشى حيث قال ❊ كنعاج الملا تعسفن رملا ❊
لولا ان الخلطا تاباه الا ان يضرب داود الخلطا ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان
قلت الملايكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم
بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير
للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول
في تصوير المسايل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما
خلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد
وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فلنخلطها
وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراة
ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة
والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد
في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور
القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا تكاد تنغرف قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم لقد ظلمك جواب قسم محذوف
وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف
الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها
كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت
كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه
قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القران
لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة
فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف
الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا
وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه
والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة
وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على
حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة
مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما
شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم

واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد
عند واحد ففي اربعين بين خليطين لا شي عنده وفي مائة وعشرين بين
ثلاثه ثلاث شياة فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت
عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة
عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله لا شي عليه فان قلت
ما ذا اراد بذكر الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة
والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره
اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي
المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله ∴ ∴ ∴
∴ اضرب عنك الهموم طارقها ∴ ∴ وهو جواب قسم محذوف
وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه
تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول
امرء القيس ∴ وحديث ما على قصره ∴ ∴ وانظر هل بقي له
معنى قط وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا
له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب لما كان الظن الغالب يدانى
العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انا ابتليناه لا محالة
بامرأة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من
قوله ∴ لئن فتنتني لهي بالامس افتنت ∴ ∴ وفتناه وفتناه
على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع
كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان
الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن انه لا يكون ساجدا حتى يركع
ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة
فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن
الصلاة واناب ورجع الى التوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا
اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا
يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا
وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل
بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه
واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي
انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من
الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم
واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والثاني
كان معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما
عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا
انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسئلته يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض
كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه
قوله خلفاء الله في ارضه لمن يستخلفه او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت
على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ

كنت

٢٨

كنت خليفته ولا تتبع الهوى ولا تتبع هوى النفس في قضايك وغيره
مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا
لضلالك عن سبيل الله عن دلايله التي نصبها في العقول وعن شرايعه
التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب ويوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم
يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو
ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد
العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة
لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المومنين الخلفاء
افضل ام الانبياء افضل ثم تلا هذه الاية وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين
عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا
هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث
واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا واودعناها العقل
والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة
بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان
قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما
بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت
لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان
خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو
الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد
جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق
وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره وكان اقراره بكونه
خالقا كلا اقرار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام
فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت
عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان
سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا ولتدبروا على ولتدبروا
على الخطاب وتدبر الايات التفكر فيها والتامل الذي يودي الى
معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة
لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل
لقحة درور لا يحتلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن
قد قرا هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه
وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات
القران فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى
للقران عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة

حدوده والله ماهؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لاكثر الله في الناس مثل
هولاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقري نعم العبد على
الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا
اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافن الذي في قوله الف
الصفوف لم يزل كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم
على طرف سنبك يد او رجل هو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين
يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم الناس
له صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان
قلت ما معنى وصفها بالصفوف قلت الصفون لا يكاد
يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها
بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية
يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت سراعا
خفافا في جريها فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق وروي
ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف
فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل
خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه
واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر
او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم
لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس
من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح
تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر
ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه
قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ~~قلت~~ او جعلت حب الخير
مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير
لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمي الخيل خيرا كانها نفس الخير
لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم
ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد
الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق
فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت
الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك
او المخباة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي
ولا بد للضمير من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات
اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان
الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه
فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها

يعني

يعني يقطعها يقال مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب
اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عواقيبها وضرب اعناقها
اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن
قاله بالشين المعجمة مصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا
بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف
تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال
فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسوال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال
نبي من الانبياء بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرى بالسؤوق
بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس
واما من قرا بالسؤق فقد جعل الضمة بالسين كانها في الواو للتلاصق
كما قيل موسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرى بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك
بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين
ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه
في السحابة فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل
فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد
في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله
فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس
به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت
سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون وهي
مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه
بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل
ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها
لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين
فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليه وتروح
مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك
فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس
عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل
للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه
يوما عندها واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على
الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال
يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير
والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته
وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت
يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى
السماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا
عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم
الشيطان فسال اصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها

ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شي الا فيهن ثم طار
الشيطان وقذف الخاتم في البحر وابتلعته سمكة و وقعت السمكة في يد
سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه
ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد
والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده
لا يتماسك فيها فقال له اصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقر في يدك
فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل
اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم
على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا
بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان يختلف فيه الشرايع الا ترى الى
قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان
باذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب قدم الاستغفار
على الاستيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم
امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي
دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة
ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان عليه السلام
ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه
معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة خارقة للعادة
بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم
ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد ولا يحافظ
على حدود الله فيه كما قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه
مقامي كما ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم
مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه
وامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه
لا يضبطه عليها الا هو وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا
عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك
وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان
للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل
له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي وهذا من جراته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب
من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال الله ما استطعتم واطلق
طاعتنا فقال واولي الامر منكم فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد قرئ الريح
والرياح رخاء لينة طيبة لا تتزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه
حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب
الصواب فاخطا الجواب وعن روية ان رجلين من اهل اللغة قصداه
ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه

طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل
من الشياطين واخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل
كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول
من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود
والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم
مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه
قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القايل
غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال
ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين
الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده هذا عطاونا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب اي هذا
الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاونا بغير حساب يعني
جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي
فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فامنن او امسك عطاونا بغير حساب او هذا التسخير عطاونا فامنن
على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير
حساب اي لا حساب عليك في ذلك واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني
مسني الشيطان بنصب وعذاب ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال
منه اني مسني باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال
بانه مسه لانه غايب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد
وبفتحها وضمها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر
والنصب بتثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب
الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر
في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه
الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم
وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في
القران انه لا سلطان الا الوسوسة فقط قلت لما كانت وسوسته
اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب
نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعايه مع
انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه
من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله في ان
يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي
انه كان يعوده ثلاثة من المومنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى
اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه
ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كان مواشيه في ناحية ملك
كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية
ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية
فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما يغتسل
به وتشرب منه فتبرا باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل
نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من
ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين

حار فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب رحمة منا وذكرى مفعول لهما
والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما
انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل
الله بهم وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وخذ معطوف على اركض
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والريحان او غير ذلك وعن ابن عباس
قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برئ فحلل الله
يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه
الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج من خبث بامة
فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود
صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج
صدره وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل
قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك
فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب
اذا شرب الخمر برا فعرضت له بذلك وقيل سالته ان يقرب للشيطان
بعناق انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وجدناه صابرا علمناه صابرا
فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكى اليه ما به واسترحمه قلت
الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو
بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس
على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية
وطلب الشفا فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج
ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفا خيفة على
قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه
انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ
امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد
علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني
ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جايع او عريان فكشف الله
عنه واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب ابراهيم واسحق ويعقوب
عطف بيان لعبادنا ومن قرا عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم
عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك
ابراهيم واسماعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت
فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتى فيه المباشرة بالايدي
او كان الاعمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله اولي الايدي والابصار
يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون
في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى
الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم
وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ
على تركه المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع
وفي قراءة ابن مسعود اولي على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايدي
من التاييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة

بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار
بالخلوص والصفا وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما
خلص من ذكرى الدار لا يشوبون ذكرى الدار بهم اخر انما همهم ذكرى الدار لا غير
ومعنى ذكرى ذكراهم الاخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم
الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء وديدنهم
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم
فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم
بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف
بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم وانهم عندنا لمن
المصطفين الاخيار المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار
جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسماعيل
واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار واليسع كان حرف التعريف دخل
على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع
والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه ومعناه وكلهم من الاخيار هذا
ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القران وان للمتقين لحسن ماب لما اجرى
ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد
ان يذكر على عقبه بابا اخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان
للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه هذا باب ثم يشرع في باب اخر ويقول الكاتب
اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في اخر هذا وقد كان كيت وكيت
والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال
هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به
ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن مفتحة لهم
الابواب جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن
وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها
ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من
الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من
بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدا
ومفتحة خبره وكلاهما خبر مبتدا محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة
لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات
الطرف اتراب كان اللذات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت
واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل
هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم هذا ما توعدون قرئ توعدون
بالياء والتاء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه
ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت ان هذا لرزقنا ما له من
نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب هذا اي الامر هذا وهذا كما ذكر
جهنم يصلونها فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا فليذوقوه
حميم وغساق اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه
ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق
من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق

بحره والغساق برده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل
المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق
عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا
تعلم نفس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة واخر من شكله ومذوقات اخر من
شكل هذا المذوق من مثله في شدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ واخرى
وعذاب اخر ومذوق اخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة
للثلاثة وهي حميم وغساق واخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما
الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل
النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة
وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم
الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم
تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك
رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار
تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها
وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا
بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي
الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به
وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار والضمير للعذاب او لصليهم
فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل
السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن
الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم
قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين
لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه
فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله
بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له
قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق
به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين
قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ
فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك
قالوا هم الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار
اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم
عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل
ربنا اتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي
وقالوا الضمير للطاغين ما لنا لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذي
لا يؤبه لهم كنا نعدهم من الاشرار من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى
ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا وقرئ
بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على
انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار
له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار
كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين
ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انهم خفي عليهم مكانهم

والوجه

والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم اما ان تكون ام متصلة على معنى اي
الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراءهم وتحقيرنا وان ابصارنا
كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى الانكار للامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن
كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان
تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها
لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة
فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام
وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما
والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا وسخريا بالضم والكسر
ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل
النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس
فان قلت لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري
بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء
لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله
تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر ما انا الا رسول
منذر انذركم عذاب الله للمشركين وما من اله الا الله واقول لكم ان دين الحق
توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل
شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله رب السموات والارض وما بينهما
العزيز وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار
لذنوب من التجا اليه او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة
من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه
قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ
يختصمون اي هذا الذي انباتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك
له نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بان
ما ينبئ به عن الملإ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم
يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم
وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا
نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب
بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان
انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس لي غير
ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير
مبين ولا ادعي شيئا اخر وقيل النبا العظيم قصص ادم والانباء به من غير
سماع من احد وعن ابن عباس القران وعن الحسن يوم القيمة فان قلت
بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من
علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين اذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملإ الاعلى
قلت اصحاب القصة الملائكة وادم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان
التقاول بينهم فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم
لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملإ
الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول
كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ الاعلى قلت كانت

مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط
فصح ان التقاول كان بين الملايكة وادم وابليس وهم الملا الاعلي والمراد بالاختصام
التقاول علي ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا
ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق
خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اختصر علي الاسم فاذا سويته
فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا
متنفسا فقعوا فخروا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم
سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد
غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت
الذي لا يسوغ السجود لغير الله علي وجه العبادة فاما علي وجه التكرمة والتبجيل
فلا يأباه العقل الا ان يعرف الله فيه مفسدة فينهي عنه فان قلت
كيف استثني ابليس من الملايكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم
فغلبوا عليه في قوله فسجد الملايكة ثم استثني كما يستثني الواحد منهم استثناء
متصلا وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان
كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شيت ويجوز ان يراد وكان
من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه فان قلت
ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر
اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين علي ساير الاعمال التي تباشر بغيرهما حتي
في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتي قيل لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ
وحتي لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى
مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت فما معني قوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود
لادم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان تكون
سجدته لغير الخالق وانضم الي ذلك ان ادم مخلوق من طين وهو مخلوق
من نار وراي للنار فضلا علي الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله
عليه في المنصب وزل عنه ان الله حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه
زلفي وهم الملايكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل
ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا واتبعوا امر الله وجعلوه
قدام اعينهم ولم يلتفتوا الي التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر
ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم
ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته
منهم في السجود له لما فيه طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشي هو كما تقول مخلوق
خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت
الملايكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل
له لم تركته مع وجود العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر
الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط
الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفي علي
سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه

وفيه

وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملايكة بان يسجدوا له
لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء الملايكة فمن انت
حتي يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معني
لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقري بيدي كما قري بمصرخي وبيدي
علي التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين من حيث
قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين
ومعني الهمزة التقرير وقري استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل
عليها او بمعني الاخبار خلقتني من نار وخلقته من طين هذا علي سبيل
الاولي اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد
لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة
الثانية من الاولي وهي خلقتني من نار مجري المعطوف عطف البيان من المعطوف
عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي
الي يوم الدين منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة
التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان
ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه
المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة علي اثره والرجم
الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي
الي يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف
تنقطع وقد قال الله تعالي فاذن موذن بينهم ان لعنة الله علي الظالمين
ولكن المعني ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة
ما ينسي عنده اللعنة فكانها انقطعت قال رب فانظرني الي يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم فان قلت
ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي تقع
فيه النفخة الاولي ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزايه والمعلوم
انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فبعزتك اقسام بعزة الله وهي
سلطانه وقهره قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين قري فالحق والحق منصوبين علي ان الاول مقسم به كالله في
ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به
والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا
الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل
عظمه الله باقسامه به ومرفوعين علي ان الاول مبتدا محذوف الخبر
كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله
علي ذنبا كله لم اصنع ومجرورين علي ان الاول
مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول
الا بالحق علي حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه
جايز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقري برفع الاول
وجره مع نصب الثاني وتخريجه علي ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين
وممن تبعك من ذرية ادم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت
لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه
لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها

من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لاتفاوت في ذلك بين ناس وناس
بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبيا، وغيرهم قل ما اسالكم عليه من اجر
الضمير للقران او الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون
بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى
انتحل النبوة او تقول القران ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي
الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات
ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه بعد
حين ما ياتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من
صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة صاد كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وتسمى
سورة الغرف وهي خمس وسبعون اية وقيل اثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب قري بالرفع على انه مبتدا
اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل
من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على
هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا
من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل
نحو اقرا والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت
الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى الثاني انه السورة انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك
الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر وقري الدين بالرفع وحق من رفعه
ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق
قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان نصف الدين
بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا
حالا من العائد وله الدين مبتدا وخبرا فقد جا، باعراب رجع به الكلام
الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص الا لله الدين الخالص اي هو
الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه
على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة
بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون والذين اتخذوا يحتمل المتخذين
وهم الكفرة والمتخذين وهم الملايكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس
فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم
لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون
اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتدا فان قلت فالخبر
ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول
قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فان قلت
فاذا كان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز
ان يكون في موضع الحال اي قايلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة

فلا

فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول
قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية
لما خاطبوا به الهتهم وقري نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها
الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملايكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار
مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم
واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم
مشركون واوليك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم
الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض
اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عايد اليهم والى المسلمين والمعنى ان
الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم
من الهالكين وقري كذاب كذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون
الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا
ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل
ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملايكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم
فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض
كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم
الملايكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم
وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافترا، على الله
وملايكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار فنزه ذاته
عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاوليا، ودل على ذلك بما ينافيه
وهو انه واحد ولا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت
من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له
ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل
شي ومن الاشيا، الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اوليا، وشركا، خلق
السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير
كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس
على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك
قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها
وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشي مكانه هذا
واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على الراس ومنه
قول ذي الرمة في وصف السراب
تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملا بابواب التفاريج
ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا، عليه فشبه في تغييبه اياه بشي
ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا
متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز
الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التايبين

او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويوخرهم الي
اجل مسمي فسمي الحلم عنهم مغفرة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها فان
قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معني التراخي
قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته
تشعيب هذا الخلق الفايت للحصر من نفس ادم وخلق حوا من قصيراه
الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخري لم يجر بها العادة ولم يخلق
انثي غير حوا من قصيرا رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع
فعطفها بثم على الاية الاولي للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع الي زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي
في الوجود وقيل ثم متعلق بمعني واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت
ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد
ذلك حوا وانزل لكم وقضي لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول
من السما حيث كتب في اللوح كل كاين يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات
والنبات لا يقوم الا بالما وقد انزل الما فكانه انزلها وقيل خلقها
في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثي من الابل والبقر
والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر
قال الله تعالي فجعل منه الزوجين الذكر والانثي يخلقكم في بطون امهاتكم
خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد
عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد
نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب
والرحم والبطن ذلكم الله الذي هذه افعاله هو الله ربكم له الملك لا اله الا
هو فاني تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الي عبادة غيره ان تكفروا
فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم
بالايمان ولا يرضي لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا
يرضه لكم اي يرضي الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم
ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي
لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته
من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد
الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين
كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالي الله عما يقول الظالمون وقري يرضه
بضم الها بوصل وبغير وصل وبسكونها ولا تزر وازرة وزر اخري ثم
الي ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه
من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من
اصحاب النار خوله اعطاه قال ابو النجم اعطي فلم يبخل ولم يبخل كوم الذري
من خول الخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم هو
خايل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني
جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعوا اليه اي
نسي الضر الذي كان يدعوا الله الي كشفه وقيل نسي ربه الذي كان

يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعني من كقوله وما خلق الذكر والانثي
وقري ليضل بفتح اليا وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن
سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض
وقوله تمتع من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت
به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تومر به بعد ذلك وتومر بتركه مبالغة
في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على
عكس ما امر به ونظيره في المعني قوله متاع قليل ثم ماواهم جهنم امن هو
قانت انا الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قري
امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على
ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما
حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت
افضل ام من هو كافر او هذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل
والقانت القايم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل
الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعا
المصلي قايما ساجدا حال وقري ساجد وقايم على انه خبر بعد خبر والواو
للجمع بين الصفتين وقري يحذر عذاب الاخرة واراد بالذين يعلمون
العاملين من علما الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدرا عظيم
بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا
فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلما ويجوز ان يرد على وجه
التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون
والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي
وعن الحسن انه سيل عن رجل يتمادي في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما
الرجا قوله وتلا هذه الاية وقري انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه حسنة وارض الله واسعة
انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب في هذه الدنيا متعلق باحسنوا
لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهو
دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة
ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا
فاعرابه ظاهر فما معني تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها
لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها
فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعني وارض الله واسعة
اي لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتي ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم
وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل
لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الي بلاد
اخر واقتدوا بالانبيا والصالحين في مهاجرتهم الي غير بلادهم ليزدادوا
احسانا الي احسانهم وطاعة الي طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد
المشركين فامروا بالمهاجرة عنه قوله تعالي الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل هي ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة
اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا

في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل
بغير مكيال وبغير ميزان ان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس
لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب
الله الموازين يوم القيمة فيوتي باهل الصلاة فيوفون اجورهم بالموازين
ويوتي باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويوتي باهل الحج فيوفون
اجورهم بالموازين ويوتي باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب
به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين قل اني
امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم
وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن
اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما
واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص
وتكليفه شي والامر به ليحرز القايم به قصب السبق في الدين شي واذا اختلف
وجها الشي وصفتاه نزل بذلك منزلة شيين مختلفين ولك ان تجعل اللام
مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح
كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع
من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله
وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المومنين وامرت ان اكون اول
من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه
اول من خالف دين ابايه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم
الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعى نفسه الى ما دعى اليه غيره لاكون
مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون
بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على
السبب بالمسبب قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني
ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والريا وكل شوب بدليلي العقل
والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه
ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين ابايه فان قلت ما معنى
التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله
اعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه
مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يختص
الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم
المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه
وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا
ما شيتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان
والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين قل ان الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها
في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد
خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم
ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل

المومنين

المومنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون
لهم لو امنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو
الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل
بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل للاخرين ذلك الذي
يخوف الله عباده ذلك العذاب هو الذي يتوعد به الله عباده ويخوفهم
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه
عظة من الله ونصيحة بالغة وقرى يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت
الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا
بتقديم اللام على العين اطلقت على الشياطين او الشيطان لكونها مصدرا
وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء
بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب
وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ها هنا الجمع وقرى
الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال وانابوا الى الله
لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي
الاخرة فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملايكة
عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المومنين
والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات واراد
بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا
لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة
فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين
الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب
اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله
واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند
السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القايل
ولا تكن مثل عير قيد فانقاد
وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون
اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء
والابدا والاخفا لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتوتوها
الفقرا فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث
فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما يسمع ويكف عما سواه ومن الوقفة
من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون يرفعه على الابتدا وخبره
اوليك الذين هديهم الله واوليك هم اولوا الالباب افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل الكلام امن حق عليه كلمة
العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفا فا الجزا
ثم دخلت الفا التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب
تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة
الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير فالاية على هذا جملة واحدة ووجه اخر وهو ان تكون
الاية جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من

في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم
العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتي نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه
في دعايهم الي الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان
الله تعالي هو الذي يقدر علي الانقاذ من النار وحده لا يقدر علي ذلك احد
غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه
مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم
لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت
ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله اعلم انها بنيت بنا المنازل
التي علي الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت
المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر موكد لان
قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو
المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الي الصخرة ثم يقسمه
الله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
والاجساد مختلفا ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة
وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم
يهيج فتراه مصفرا يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان
له ان يثور عن منابته ويذهب ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لاولي
الالباب لتذكيرا وتنبيها علي انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كاين عن تقدير
وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل
الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقري مصفارا افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو علي بينة من ربه افمن عرف الله انه من اهل
اللطف فلطف به حتي انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف
له فهو حرج الصدر قاس القلب ونور الله هو لطفه وقرا رسول الله صلي
الله عليه وسلم هذه الاية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال
اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك
قال الانابة الي دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت اناء الليل في حذف
الخبر فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اوليك في ضلال مبين من
ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او اياته اشمازوا وازدادت
قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقري عن ذكر الله فان قلت
ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من
ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت
عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من
العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتي ابعد عن
العطش الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني عن ابن مسعود
ان اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ورضي عنهم ملوا ملة فقالوا له
حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتداء وبنا نزل عليه فيه تفخيم لاحسن
الحديث ورفع منه واستشهاد علي حسنه وتاكيد لاستناده الي الله وانه من
عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه علي انه وحي معجز مباين
لساير الاحاديث فكان متشابها ولا تشابها وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل
ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متشابها

متشابه

وعد الله لا يخلف الله الميعاد

97

لتشابه معانيه في الصحة والبناء علي الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب
الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت
ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة
والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبايه واحكامه واوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثني في التلاوة فلا
يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق علي كثرة الرد ويجوز ان
ان تكون هي مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالي
فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك
فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح ذلك لان
الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشي هي جملته لا غير الا تراك تقول القران
اسباع واخماس وسور وايات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ
مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام واعصاب الا انك تركت
الموصوف الي الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون
كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون
منتصبا علي التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمايل والمعنى متشابهة
مثانيه فان قلت ما فايدة التثنية والتكرير قلت النفوس انفر
شي عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها
ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يكرر عليهم
ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركز في قلوبهم ويغرسه
في صدورهم تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الي ذكر الله اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف
القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا
ودالا علي معنى زايد يقال اقشعر جلده من الخوف ووقف شعره وهو مثل
في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم
وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وبايات وعيده اصابتهم
خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة
لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فان
قلت ما وجه تعديته بالي قلت ضمن معنى فعل متعد بالي
كانه قيل سكنت واطمانت الي ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية
فان قلت لم اقتصر علي ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان
اصل امره الرحمة والرافة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا
ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شي من صفاته الا كونه رووفا رحيما فان قلت
لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت
اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل
تقشعر جلودهم من ايات الوعيد وتخشي قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا
الله ومبنى امره علي الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم
وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الي الكتاب وهو هدي الله
يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتي يخشوا تلك الخشية
ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدي للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من
الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكاين من الخشية والرجاء هدي الله
اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدي لانه حاصل بالهدي يهدي به

بهذا الاثر من يشا من عباده يعني من صحب وليك وراهم خاشعين راجين
فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتدا بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله
ومن لم يوثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد
من موثر فيه بشي قط افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة يقابل
اتقاه بدرقته استقبله بها فوقي بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن
بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظايره وسوء
العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله
بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضايه عليه والذي يلقي في النار يلقي
مغلولة يداه الي عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي
المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل
نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بينا هم امنون رافهون اذ فوجيوا من مامنهم
فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلا وما اشبه ذلك من
نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون
قرانا عربيا لعلهم يتقون قرانا عربيا حال الموكدة كقولك جاني زيد رجلا صالحا
وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من
التناقض والاختلاف لعلهم يتقون فان قلت فهلا قيل مستقيما
او غير معوج قلت فيه فايدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط
كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون
الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد
وقد اتاك يقين غير ذي عوج ⁂ من الاله وقول غير مكذوب ⁂
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون واضرب لقومك مثلا وقل
لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع
كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتحاورونه في مهن شتى
ومشاده واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت
الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم
يعتمد في حاجاته وفي اخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه
من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين
العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى وما يلزمه
على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك
ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى وهو متحير ضايعا
لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن
يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا
فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مومل
الثواب في اجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخص
الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخصت اسنانه ورجلا سلما لرجل
خالصا له وقري سلما بفتح الفا والعين وفتح الفا وكسرها مع سكون
العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من
الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقري بالرفع على الابتدا اي وهناك

رجل

رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة
والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز
والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان
الجنس وقري مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة ويجوز
فيمن قرا مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل
ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين
الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون
الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم
لا يعلمون فيشركون به غيره انك ميت وانهم ميتون كانوا يتربصون برسول
الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة
الباقي بالفاني وعن قتادة نعي الى نبيه نفسه ونعي اليكم انفسكم وقري
مايت ومايتون والفرق بين الميت والمايت ان الميت صفة لازمة كالسيد
واما المايت فصفة حادثة تقول زيد مايت غدا كما تقول سايل غدا اي سيموت
وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم
والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء
فانتم في عداد الموتى لان ما هو كاين فكان قد كان ثم انكم يوم القيمة
ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب عند ربكم تختصمون
فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد
ويعتذرون بالاباطيل تخته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول
السادات اغوتنا الشياطين واباونا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع
وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمومنون
الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر
لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل
الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى
رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال
ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف
قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن
اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي
العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الثاني يدل عليه كلام الله هو ما قدمت
او لا الاترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق
وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على
الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر
الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه فاجاه
بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل
كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهولاء
الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي
جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وامن
به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا
في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء

بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين
صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقري
وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم
كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به اي بسببه لان القران
معجز والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز
ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقري وصدق به
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي
عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فان قلت
ما معنى اضافة الاسوإ والاحسن الى الذين عملوا وما معنى التفضيل فيهما
قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل
عليها ولكن من اضافة الشي الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج
اعدل بني مروان واما التفضيل فايذان بان الشي الذي يفرط منهم من
الصغاير والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية
والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك
ذكر سيئهم بالاسوإ وحسنهم بالاحسن وقري اسواء الذي عملوا جمع سوء
اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى
اثبات الكفاية وتقريرها قري بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله انا
نخاف ان تخبلك الهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها وروي انه بعث
خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة
لا يقوم لها شي فعمد خالد فهشم انفها فقال الله عز وجل اليس الله بكاف
نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا
تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر واليس الله بكاف انبياءه
ولقد قالت اممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول
الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق
لانه كافيهم في الشدايد وكافل مصالحهم وقري بكافي عباده على الاضافة
ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقوله
يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان
يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم
ويخوفونك بالذين من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها الهة من
دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل
اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدايه وفيه وعيد
لقريش ووعد للمومنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل
هن ممسكات رحمته قري كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين
على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسئلة في نفسه
دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها بخفيف فامر
ان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان
ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من
النوازل او برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني

اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم الحجر حتى
لا يحير وابتت شفته قل حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل
المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا
فنزل قل حسبي الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على
التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن
وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة
تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان
الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة
كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون
لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم على مكانتكم على حالكم
التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان
فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان
فان قلت حق الكلام اني عامل على مكانتي فلم حذف قلت
للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف
وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله معينه وناصره ومظهره على الدين
كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم
غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك
عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعزة عزيز من اوليايه وبذل
ذليل من اعدايه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب
مخزله وهو يوم بدر وعذاب دايم وهو عذاب النار وقري مكاناتكم
انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه
ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا
حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار
الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف
مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس
الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة
من صحة اجزايها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت
والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي
يتوفاها حين تنام تشبيها للنايمين بالموتى ومنه قوله هو الذي يتوفاكم
بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس
التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها
ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي
نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس
والنايم يتنفس ورووا عن ابن عباس في ادم نفس وروح بينهما مثل
شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس
والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح

ما ذكرت او لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا
بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير
متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك
ان في توفي الانفس مايتة ونايمة وامساكها وارسالها الى اجل لايات
على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون لقوم يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون
وقرى قضى عليها الموت على البنا للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش
والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هولاء
شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل
لله الشفاعة جميعا اي مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين
ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان
مفقودان جميعا قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون اولو كانوا
معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون اي ولو كانوا
على هذه الصفة لا يملكون شيا قط يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض تقدير لقوله لله
الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا
لها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت
بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم
القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة مدار
المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه الهتهم
اشمازوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب
الهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر
اذا هم يستبشرون استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم
فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه
نفيا لالهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله من ذكر
الهتهم حين قرا والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل
الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه وتتهلل والاشمئزاز
ان يمتلي غيظا وغما حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه فان قلت
ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت
ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيمة بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمايه العظمى وقل انت
وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف
لحالهم واعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم
وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتليه
وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرا هذه الاية
وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره
ويضع فاه على فيه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وعيد

لاكنه



لاكنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط
في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات
فاذا هي سيات وعن سفيان الثوري انه قراها وقال ويل لاهل الريا
ويل لاهل الريا وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى اية
من كتاب الله فتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم اكن احتسبه وبدا لهم
سيات ما كسبوا اي سيات اعمالهم التي كسبوها او سيات كسبهم حين تعرض
صحايفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيات
انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيات كما قال وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم واحاط
جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال
انما اوتيته على علم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاني على غير
جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم
من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على
علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت
ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيا من النعمة وقسما منها ويحتمل
ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي
اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك
من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر
فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى
اولا وعلى اللفظ اخرا ولان الخبر لما كان مونثا اعني فتنة ساغ تانيث
المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقري بل هو فتنة
على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الاية بالفاء
وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك
ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت على
معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا
مس احدهم ضر دعا من اشماز من ذكره دون من استبشر بذكره وما
بينهما من الاي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يوكد
المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه
من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم
الى الشدايد دون الهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هولاء الذين
يجترءون عليك مثل هذه الجراة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت
وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا
او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهولاء الظالمين ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب
وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة
في اكمامها واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة
قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت
من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض
لالتجايهم اليه بل هو مقتض لصدوده عنه قلت في هذا

التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مومن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا ضر التجا اليه فتجي بالفا مجيك به ثمة كان الكافر حين التجا الى الله التجا المومن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجا فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقري قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان تكون في الامم الخالية آخرون قايلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيات ما كسبوا والذين ظلموا سيصيبهم سيات ما كسبوا وما هم بمعجزين من هولاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اوليك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله لا تقنطوا قري بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القران فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القران في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض انه هو الغفور الرحيم وفي قراة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقبيها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية فقال رجل يا رسول الله ولمن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجاكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت

لم

لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقري يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري

اما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله

ان السماحة والمروة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من ذكر الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حتى لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القران او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكي عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك اياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله واثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقري بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى

فلم يحسن الاول لما فيه من تتبير النظم بالجمع بين القراين واما الثاني
فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل
بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى
اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب
فان قلت كيف صح ان يقع بلي جوابا لغير منفي قلت
لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وصفوه
بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء
شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا
يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبايح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض
ويولم لا لعوض يظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا
معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة
ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع
الحال ان كان ترى من روية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقرئ ينجي وننجي بمفازتهم بفلاحهم يقال
فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي
السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى ولا تحسبنهم بمفازة
من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم
العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب
فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى
العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق
مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت
اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله
النصب على الحال ان الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد
السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية
لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم
فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها
وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت
ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية
كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا والذين كفروا بايات الله فان
قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجي
الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون
واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه
شيء من اعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا
بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين
كفروا وجحدوا ان لا يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل
سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد
قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير

يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من
المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده
اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون افغير
الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم
وذلك حين قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك او ينصب
بما يدل عليه جملة تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي
اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
الا تراك تقول
افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير
الله تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على
صحة هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرا تامرونني على الاصل وتامروني
على ادغام النون او حذفها ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن
بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة
فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه اوحي اليك لئن اشركت
ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم
لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق
بين اللامين قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب
وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط فان قلت
كيف صح هذا الكلام مع علم الله ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم
قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس
بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا يعني على
سبيل الالجاء وان يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه
فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن
من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الاخرة من جملة الخاسرين
الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على
الرسول اشد ولا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من الاستلام ببعض
الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله
فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على
ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد ادم وجوز الفراء نصبه بفعل
مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم
من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره
عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد
على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه
على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير
عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين
الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما روي ان جبريل جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات

يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع
والثري على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك
رسول الله تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره
الاية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لا يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان
من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع
اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان
الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا
لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من
التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع
واعون على تعاطي المشتبهات من كلام الله في القران وساير الكتب السماوية
وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما
وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد
العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة
اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورية ولا يفك قيودها المكربة الا هو
وكم اية من ايات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم
الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم
في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع
يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع
التعظيم والتفخيم وهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيده بالجميع
اتبع الجميع مؤكدا قبل مجي الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض
واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة
من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني
قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهي عن
خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي
ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن
وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف
واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته
تريد انها لا تفي الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا
اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه
بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرا قبضته بالنصب قلت
جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر
كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل
ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه
بقدرته وقيل مطويات مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن
اشتم رايحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التاويلات ليتلهى بالتعجب
منه ومن قايله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما منى به
من امثاله قد ثقل منه على الروح واصدع الكبد ثروين العلماء قوله واستحسانهم
له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين
وقرى مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت
القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون
ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

ونفخ

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قلت اخرى
ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرا نفخة واحدة
والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى
عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرى قياما ينظرون يقلبون ابصارهم
في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم
ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم واشرقت
الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق
وهم لا يظلمون وقد استعار الله عز وجل النور للحق والقران والبرهان في مواضع
من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق
والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيات وينادي
عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى
الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم
بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه
الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها
ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجي بالنبيين والشهداء
والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت
الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور
فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح
الاية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرى واشرقت على البناء للمفعول
من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلات به واغتصت واشرقها الله كما تقول
ملا الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحايف الاعمال ولكنه اكتفى
باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم
من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا حتى اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر
بعض وقد تزمروا قال حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل
في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء
وغيرهم وقرى نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت
ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد
جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا
وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو
الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى
المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بيس وبيس
فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضمر فلي مثله والمخصوص بالذم محذوف
تقديره فبيس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم

حتى هي التي تحكي بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها
محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شي
لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها
وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول
اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة
لهم الابواب فلذلك جي بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها
فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق
قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل
بالاساري والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق
اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى
دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك
فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا
فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار
الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل
قذر ولا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعدها احوالنا من تلك
المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب
الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن
المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوا وقد اورثوها اي ملكوها
وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه
فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت
ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوء احدهم مكان غيره قلت يكون
لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته
حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش
حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله
متلذذين لا متعبدين وقضي بينهم بالحق فان قلت الام يرجع الضمير
في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم
النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة
على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل
بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت
قوله وقيل الحمد لله رب العالمين من القائل ذلك قلت المقضي
بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد
لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله
ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
سورة المومن مكية قال الحسن الا قوله فسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة
وقيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية رضي الله عنهما
وهي خمس وثمانون اية وقيل اثنتان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقا

العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير قرئ بامالة الفتحة وتفخيمها
وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار
اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث
والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب
والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان
على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت
كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي
ان تكون مثله معارف قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان
لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الان
او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما
اريد ثبوت ذلك ودوامه وكان حكمهما حكم اله ورب العرش واما
شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من
هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات
نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هولاء المعارف هذه النكرة
الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة
جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان
وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات
وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف
سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال
في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان
يفعل انه على نية الالف كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما
سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره
وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار
ويجوز ان يقال هذه النكتة الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت
طريقة الابدال فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب
قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب والتائب بين رحمتين
بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة
للذنوب كانه لم يذنب كانه جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر رضي الله
عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له قد تتابع في هذا
الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد الله اليك
وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة
فلما اتته الصحيفة جعل يقراها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته
فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه
ووفقوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين
عليه ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد
سجل على المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن
فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها
وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ

بها و عنها فاعظم جهاد في سبيل الله و قوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في الاسلام
كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال فان
قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله قلت
من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى
منه عند الله وجب على من تحقق ذلك الا ان ترجح احوالهم في عينه ولا يغره
اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب
المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال
يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه
شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما
ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم
به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك كذبت قبلهم
قوم نوح والاحزاب من بعدهم الاحزاب الذين تحزبوا على الرسول
وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم
التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه
ومن الايقاع به واصابته بما اراد وامن تعذيب او قتل ويقال للاسير
اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم يعني انهم قصدوا
اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقدير فيه معنى
التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار
انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا
بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في
محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش
ومعناه كما وجب اهلاك اوليك الامم كذلك وجب اهلاك هولاء لان علة
واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا
روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا
في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملايكة فان خلقا من الملايكة
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى
وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير
كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملايكة ان يغدوا ويروحوا
بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملايكة وقيل خلق الله العرش
من جوهرة خضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع
ثمانون الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملايكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورايهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا
الايمان على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وقرا ابن
عباس العرش بضم العين فان قلت ما فايدة قوله ويومنون
به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملايكة الذين يسبحون
بحمده مومنون قلت فايدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب

اعمال

اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان
وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة
العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف
بالايمان الغايب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في
الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سوا في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال
لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب
في قوله ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويومنون ويستغفرون
لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون
ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت
الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما
جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من
حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من ابايهم وازواجهم وذرياتهم اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون
بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله
عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان
وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام
عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على
التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان
كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء
مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه
فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق
التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي
لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيا الا بداعي الحكمة وموجب
حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيات اي العقوبات او جزاء السيات فحذف
المضاف على ان السيات هي الصغاير والكباير المتوب عنها والوقاية منها
التكفير او قبول التوبة ومن تق السيات يوميذ فقد رحمته وذلك
هو الفوز العظيم فان قلت ما الفايدة في استغفارهم لهم وهم
تايبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت
هذا بمنزلة الشفاعة وفايدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة
عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح
وذريتهم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله
اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها
مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة
كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم
الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن
اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن
لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل لمقت
الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض

وبلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع
في موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا اثنتين اماتتين واحياءتين اوموتتين وحيوتين
واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء اجالهم وبالاحياءتين
الاحياءة الاولي واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالي وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت
كيف صح ان يسمي خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان
من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية
ووسع اسفلها وليس ثم نقل من صغير الي كبير ولا من كبير الي صغير ولا من
ضيق الي سعة ولا من سعة الي ضيق وانما اردت الانشاء علي تلك الصفات
والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا علي المصنوع الواحد
من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد
الجائزين وهو متمكن منهما علي السوا فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل
صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد
حيوة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات وهو خلاف ما في القران الا ان يتمحل
فيجعل احدها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك
الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا
من شا الله فان قلت كيف تسبب عن هذا القوله فاعترفنا
بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا واتبع ذلك من الذنوب
ما لا يحصي لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة
والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر علي الاعادة قدرته علي الانشاء
فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم
فهل الي خروج اي الي نوع من الخروج سريع او بطي من سبيل قط ام اليأس
واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس
اوالقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب علي حسب
ذلك وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا
اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الي خروج قط بسبب كفركم بتوحيد
الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب الشديد
وقوله العلي الكبير دلالة علي الكبرياء والعظمة وعلي ان عقاب مثله
لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل
كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا هو الذي يريكم اياته وينزل
لكم من السماء رزقا يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق
ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ
وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الي الله فان المعاند
لا سبيل الي اتعاظه وتذكره ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه
مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم
ممن ليس علي دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره ثلاثة اخبار
لقوله هو مترتبة علي قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي
مختلفة تعريفا وتنكيرا وقري رفيع الدرجات بالنصب علي المدح ورفيع
الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الي ان تبلغ العرش
وهو دليل علي عزته وملكوته وعن ابن جبير سما فوق سما والعرش فوقهن

ويجوز

ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش
عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة ٦
الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي امر بالخير
وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال اومن كان ميتا فاحييناه علي من
يشاء من عباده لينذر الله او الملقي عليه وهو الرسول او الروح وقري
لتنذر اي لتنذر الروح لانها تونث او علي خطاب الرسول يوم التلاق
وقري لينذر يوم التلاق علي البناء للمفعول ويوم التلاق ويوم القيمة
لان الخلايق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض
وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شي
من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا
يخفي علي الله منهم شي اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفي
عليه منهم شي فان قلت قوله لا يخفي علي الله منهم شي بيان
وتقدير لبروزهم والله تعالي لا يخفي عليه منهم شي اتبرزوا اولم يتبرزوا
فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفي عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون
الي البروز والانكشاف الي حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه
قال الله تعالي ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال لا يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم
وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معني قوله وبرزوا لله الواحد القهار
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما
يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل
المحشر لله الواحد القهار اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله
سريع الحساب وقيل يجمع الله الخلايق يوم القيمة في صعيد واحد بارض
بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي
مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزي كل نفس الاية فهذا يقتضي
ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتايج
ذلك وهي ان كل نفس تجزي بما كسبت وان الظلم مامون لان الله ليس بظلام
للعبيد وان الحساب لا يبطي لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب
الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ
في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم
الازفة اذ القلوب لدي الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا
شفيع يطاع الازفة القيامة سميت الازفة لازوفها اي لقربها ويجوز ان
يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار
فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا
ولا ترجع الي مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجي كما
قال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين
بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب علي المعني لان
المعني اذ قلوبهم لدي حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا
عن القلوب وان القلوب كاظمة علي غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال

خاضعين
العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين
وتعضده قراة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم
اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين
الحميم المحب المشفق والمطاع مجازي في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو
حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله
ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة
معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع
فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا
وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر
يريد نفي الضب والجحارة فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله
قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم
واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين
من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا
في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله
ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت
الغرض حاصل بذكر التشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها
قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء
الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان صفة لا تتاتى بدون
موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت
على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب
به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة
كانك قلت كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي
فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان
ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع
موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة
كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل
الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور
لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين
قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي
الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد
ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته
والله يقضي بالحق الذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل
لاستغنائه عن الظلم والهتكم التي تدعون من دون الله لا يقضون بشيء
وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي ان الله
هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد
لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما
يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
كانوا اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان

لهم

لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب هم في كانوا هم اشد منهم فصل ٧
فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعه بين
معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه
لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام
واثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم
او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق
بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
وما كيد الكافرين الا في ضلال فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء
النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال
ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل اخر
وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا
يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم
يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله
باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم
غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم
ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل موسى
كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك
واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون
اذا قتلته ادخلت الشبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة
والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به
ايات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا
سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي
يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك
وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته
ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين
يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان يبدل
دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل
قوله ويذرك والهتك وان يظهر في الارض الفساد والفساد في الارض
التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب
والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد
عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن
بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر في الارض بالواو ومعناه اني اخاف
فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر
موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر
اي تتابع وتعاون وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب لما سمع موسى بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه
اني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على

ان يقتد وابه فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يومن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عذت عت بالادغام **وقال رجل مومن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم** رجل مومن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن ال فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من ال فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل حزبيل او حزبيل والظاهر انه كان من ال فرعون فان المومنين من بني اسرايل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين امنوا معه وقول المومن فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط بارتكابها الا كلمة الحق نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم **فان قلت** لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لابد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه **قلت** لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب **فان قلت** فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ∴ او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق قول المازني في مسئلة

العلقي كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل انه كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر فالتزمه من ورائه فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ورفع صوته بذلك وعيناه يتسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مومن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا **يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض** في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد **فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا** وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه **قال فرعون ما اريكم الا ما ارى** اي ما اشير عليكم براي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيا ولا اسر عليكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطيان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد بالفتح كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجى الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وتبات غير منظور فيه الى فعل **وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم** مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب وداب هولاء دووبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وساير المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولابد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم **فان قلت** بم انتصب مثل الثاني **قلت** بانه عطف بيان لمثل الاول لان اخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنتفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين **ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد** التنادي

ماحكي الله في سورة الاعراف من قوله ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار ونادي
اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقري بالتشديد
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا
سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملايكة
صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذا سمعوا مناديا اقبلوا الي الحساب
يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم تولون مدبرين عن قتادة منصرفين
عن موقف الحساب الي النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ومن
يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم
في شك مما جاءكم به حتي اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
هو يوسف بن يعقوب عليه السلام وقيل هو يوسف ابن ابراهيم
بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون
موسي هو فرعون يوسف عمر الي زمنه وقيل هو فرعون اخر ويخهم بان
يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتي اذا قبض
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان
وتقدمة عزم منكم علي تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء
علي حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الي تكذيب رسالته وقري الن يبعث الله علي ادخال
همزة الاستفهام علي حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال
كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله من هو مسرف كل مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله علي كل قلب
متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو مسرف فان قلت
كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا
واحدا وكانه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير
من هو مسرف فان قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين
يجادلون قلت بلي هو جمع في المعني واما اللفظ فموحد فحمل البدل
علي معناه والضمير الراجع اليه علي لفظه وليس ببدع ان يحمل علي اللفظ
تارة وعلي المعني اخري وله نظاير ويجوز ان يرفع الذين يجادلون علي الابتداء
ولا بد من هذا الوجه من حذف مضاف ويرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال
الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير
سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع
الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف
الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام
لجدالهم والشهادة علي خروجه من حد اشكاله من الكباير وقري سلطان
بضم اللام وقري قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه
مركزهما ومنبعهما كما تقول رايت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز
وجل فانه اثم قلبه وان كان الاثم هو الجملة ويجوز ان يكون علي حذف
المضاف اي علي كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الي اله موسي واني لاظنه كاذبا قيل الصرح البناء الظاهر الذي

لايخفي

لايخفي علي الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشي اذا ظهر واسباب السموات
طرقها وابوابها وما يودي اليها وكل ما اداك الي شي فهو سبب اليه كالرشاء ٦
ونحوه فان قلت ما فايدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب
السموات لصح جوابه قلت اذا ابهم الشي ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما
اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان
بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده علي نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه
من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقري فاطلع بالنصب
علي جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك
الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان
بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل والله
تعالي علي وجه التسبب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم
يعمهون وقري زين له سوء عمله علي البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ادل
عليه قوله الي اله موسي وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها علي نقل حركة
العين الي الفاء كما قيل قيل وما كيد فرعون الا في تباب التباب
الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف علي سوء عمله وصدا هو وقومه
وقال الذي امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه
الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي
الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثي وهو مومن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم
فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله
ومنه يتشعب جميع ما يودي الي سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة
وثني بتعظيم الاخرة والاطلاع علي حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر
الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف
ثم وازن بين الدعوتين دعوته الي دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم
الي اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك
واحتشد لا جرم ان الله استثناه من ال فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة
للمعتبرين وهو قوله فوقيه الله سيات ما مكروا وحاق بال فرعون
سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل بين علي ان الرجل كان من ال فرعون
والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون
وقومه هو سبيل الغي فلا يجزي الا مثلها لان الزيادة علي مقدار جزاء
السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة علي مقدار جزاء الحسنة فحسنة
لانها فضل قري يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها
يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد علي الاستحقاق
فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة
علي الحق والكثرة والسعة ويا قوم ما لي ادعوكم الي النجاة وتدعونني الي النار
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الي العزيز الغفار
فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني
قلت اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة
الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم
ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن عليهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك
ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا علي تنصحه لهم

كما كرر ابراهيم صلوات الله عليه في نصيحة ابيه يا ابت واما المجي بالواو
العاطفة فلان الثاني داخل علي كلام هو بيان للجمل و تفسير له فاعطي الداخل
عليه حكمه فامتناع دخول الواو واما الثالث فداخل علي كلام ليس بتلك
المثابة يقال دعاه الي كذا ودعاه له كما يقال هداه الي الطريق وهداه له
به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس
بالٰه وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لاجرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة
لاجرم سياقه علي مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم
فعل بمعني حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق و وجب بطلان دعوته
او بمعني كسب من قوله تعالي ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته علي معني انه
ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لاجرم نظير لابد
فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان
معني لا بد انك تفعل كذا بمعني لا بعد لك من فعله فكذلك لاجرم ان لهم
النار اي لا قطع لذلك بمعني انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم
ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فتنقلب
حقا وروي عن العرب لاجرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بُدٍّ
وفُعْلٌ وفَعَلٌ اخوان كرُشد ورَشَد وعُدم وعَدَم ليس له دعوة معناه ان
ما تدعونني اليه ليس له دعوة الي نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو
العباد الي طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه
والي عبادته لا يدعو هو الي ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الاخرة يعني انه في الدنيا جماد
لا يستطيع شيا من دعاء وغيره وفي الاخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرا
من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة
تنفع في الدنيا وفي الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة
لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل
المجازي عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالي له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي وان مردنا الي الله وان
المسرفين هم اصحاب النار المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين
للدما بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون
ما اقول لكم وقري فستذكرون اي فيذكر بعضهم بعضا وافوض امري الي
الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيات ما مكروا
شدايد مكرهم وما هموا من الحاق انواع العذاب لمن خالفهم وقيل
نجا مع موسي وحاق بال فرعون سوء العذاب وحاق بال فرعون ما هموا
به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار يعرضون عليها النار بدل
من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما سوء العذاب
فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم النار
وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاساري
علي السيف اذا قتلهم به وقري النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير
وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب علي الاختصاص
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم

بحالهم

٦

بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس اخر من العذاب وينفس عنهم ويجوز ان يكون
غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا اقامة الساعة
قيل لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد عذاب جهنم وقري ادخلوا ال فرعون
اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بال فرعون
سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول
العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم
لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بنار جهنم قلت يجوز ان
يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمي ذلك حيقا لانه هم
بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحايق
ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول
المومن المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم نحا ويه مثل
ما اضره وهم بفعله ويستدل بهذه الاية علي اثبات القبر واذ يتحاجون في النار
فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا
من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد
واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع
او وصفا بالمصدر وقري كلا علي التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين
عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان
يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال
متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قايما
في الدار زيد قد حكم بين العباد فضي بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت
هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا
ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر
وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر علي لسان المنتسب
اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر
قليذم من العياليم الخسف وفيها اعني الكفار واطغاهم
نعل الملايكة الموكلين بعذاب اوليك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا
تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلي اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع
وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم
فانا لا نجترئ علي ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم
والاذن في الشفاعة مع مراعات وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين
وليس قولهم فادعوا الرجاء المنفعة ولكن للدلالة علي الخيبة وان الملك المقرب
اذا لم يسمع دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر وما دعاء الكافرين الا في ضلال
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
اي في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر علي
مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم
ويتيح الله من يقتص من اعدايهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب
واصحاب يريد الحفظة من الملايكة والمومنين من امة محمد صلي الله عليه
وسلم لتكونوا شهداء علي الناس يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم

واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم
لو جاوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة
البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الاخرة وهو عذابها وقري تنفع
ولا تنفع بالياء والتاء ولقد اتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما اتاه في باب
الدين من المعجزات والتورية والشرايع واورثنا بني اسرايل الكتاب واورثنا
وتركنا على بني اسرايل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا
وتذكرة لاولي الالباب وانتصابهما على المفعول له او الحال واولوا الالباب
المومنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة
الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما اتاه من
اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء اثار هداه في بني
اسرايل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك
مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان
العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار واقبل على التقوى واستدرك
الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار
ه قيل هما صلاتا العصر والفجر ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتاهم ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة
وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم
ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة
او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا
ما سبقونا اليه او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي
موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع
الايات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح
بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
وهو اية من ايات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى
ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي
عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون وهو
ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض
بما قبله قلت ان مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة على انكار
البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض
لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق
الناس بالقياس اليه شي قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان
على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة
الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير
والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون
ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقري يتذكرون بالياء والتاء
اعم ان الساعة لاتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب
فيها لانه لا بد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يومنون لا يصدقون بها وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة

كثير

كثير في القران ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن
الحسن وقد سيل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب
هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السايلين
وروي النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة
وقرا هذه الاية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي
دعاي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس
افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن
الانبياء الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا
شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لها ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لها ادعوني استجب لكم وعن
ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد
داخرين صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا مبصرا من
الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن
الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق
المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يودي
مودى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد
المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى
الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة عن المجاز ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فان قلت فهلا قيل
لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه
فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم
فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة
بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور
ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال
الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار
مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شي
وانشائه لا يمتنع عليه شي والوحدانية لا ثاني له فاني تؤفكون فكيف ومن
اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بايات
الله ولم يتاملها ولم تكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا
فقال كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون وقري خالق كل شي
نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه
بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية
العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض
فاحسن صوركم وقري بكسر الصاد والمعنى واحد وقيل لم يخلق حيوانا
احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله
في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة من الشرك والريا قايلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس

رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من
ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين فان قلت اما نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى اتته البينات
من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل
ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر
تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان
كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا
ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل
محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا
مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل
يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا
والمعنى كل واحد منكم واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من
قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من العبر والحجج فانه هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل
هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله
الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى
امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى
يصرفون الذين كذبوا بالكتاب بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب
فان قلت وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت
المعنى على اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله متيقنة
مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن
ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة
الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه
انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان
صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على
العبارة الاخرى ونظيره ∴ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون
من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه
انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه
قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك
انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا
عنا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت
اما ذكرت في تفسير قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انهم مقرونون بالهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت
يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون

الله يغيثوكم ويشفعوا لكم وان تكونوا معهم في سائر الاوقات وان
تكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم
بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد
بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا اخبرته
فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم
عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب ما كان من
الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم
السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق
المستخفين به مثواكم او جهنم فان قلت وليس قياس النظم ان يقال
فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام
فنعم المصلى قلت الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر ان
وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون
فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت
النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان
قلت لا يخلو اما ان تعطف ونتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء
واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم
فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف
الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا
يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك
قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه
قوله جل وعلا فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني
اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله
بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الايات على
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل
وما كان لرسول وما كان لواحد منهم ان ياتي باية الا باذن الله فمن لي بان اتي
باية مما يقترحونه الا ان يشاء الله في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد
عقيب اقتراح الايات وامر الله القيمة قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها
سحرا الله الذي جعل لكم الانعام الابل خاصة لتركبوا منها ومنها تاكلون
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم فان قلت
لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا منها ولتصلوا الى المنافع
او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم
قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد
الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب
اليها مما تتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح
الذي لا تتعلق به ارادته ومعنى قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون

وعلي الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلي الفلك في البر والبحر
فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين قلت معني الايعاء ومعني الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك
وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان
وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون
فاي ايات الله جاءت علي اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل
لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب
وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض واثارا قصورهم
ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغني عنهم ما كانوا
يكسبون فما اغني ما نافية ومضمنة معني الاستفهام ومحلها النصب والثانية
موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شي اغني عنهم مكسوبهم
او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه
وجوه منها انه اراد العلم الوارد علي طريق التهكم في قوله عز وجل بل
ادارك علمهم في الاخرة وعلمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب
ولا اظن الساعة قايمة ولين رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني وما اظن
الساعة قايمة ولين رددت الي ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا
يفرحون بذلك فيدفعون به البينات وعلم الانبياء صلوات الله عليهم
كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين
من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله تعالي دفعوه وصغروا علم
الانبياء عليهم السلام الي علمهم وعن بقراط انه سمع بموسي صلوات الله
عليه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا
الي من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم
عندهم البتة موضع قوله تعالي لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة
في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصي الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم
وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك
منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا من علم الوحي فرحين
مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزون ومنها
ان يجعل الفرح للرسل صلوات الله عليهم ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم
المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
علي جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق
بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم
علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تبارك وتعالي يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما
جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شي من علمهم لبعثها علي رفض
الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا
بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالي بعذاب
بيس فان قلت اي فرق بين قوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم
وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله تعالي

ماكان لله ان يتخذ من ولد والمعني فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان
قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله عز وجل
فما اغني عنهم فهو نتيجة قوله تعالي كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم
رسلهم فجار مجري البيان والتفسير لقوله تعالي فما اغني عنهم كقولك رزق
زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الي الفقراء وقوله تعالي فلما راوا باسنا
تابع لقوله تعالي فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك
فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله سنة الله التي قد
خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون سنة الله بمنزلة وعد الله وما
اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت
روية الباس وكذلك قوله تعالي وخسر هنالك المبطلون بعد قوله عز وجل
فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجي امر الله او وقت القضاء
بالحق عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة المومن لم يبق روح
نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلي عليه واستغفر له

سورة حم السجدة مكية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل
خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كانه تنزيل خبرا لمبتدا محذوف وكتاب بدل
من تنزيل وخبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل
مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا
فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معاني مختلفة من احكام وامثال
ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقري فصلت اي فرقت بين الحق
والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد
قرانا عربيا نصب علي الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا
من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب علي الحال اي فصلت اياته في حال كونه قرانا
عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات المفصلة
المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شي منه فان قلت بم تعلق
لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل وبفصلت اي تنزيل من الله
لاجلهم او فصلت اياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما
بعده اي قرانا عربيا كاينا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات
بشيرا ونذيرا وقري بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف
فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت
من فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه
فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل
وقري بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف
واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان
بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين
رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي
ولا ترائي فاعمل علي دينك اننا عاملون علي ديننا او فاعمل في ابطال امرنا
اننا عاملون في ابطال امرك وقري انا عاملون فان قلت هل لزيادة
من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فايدة قلت نعم لانه لو قيل

وبينا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى
ان الحجاب ابتدامنا وابتدامنك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب
لا فراغ منها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون
الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لا فرق في المعنى بين قولك
قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة
لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباع والملاحظة الا في المعاني
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فان قلت من اين كان
قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه
قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي
وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي انما الهكم اله
واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين
يمينا وشمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء
وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرى قال انما انا بشر وويل
للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فان قلت
لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر في الاخرة قلت
لان احب شي الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله
فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى
الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع
المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل
الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت
لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمومنين على اداء الزكاة وتخويف شديد
من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة قيل
كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من امن منهم برسول الله وقيل لا يفعلون
ما يكونون به ازكياء وهو الايمان ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر
غير ممنون الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر
فحق جزاوه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل اينكم لتكفرون بالذي خلق السموات
والارض في يومين وتجعلون له اندادا اينكم بهمزتين الثانية بين بين
واينكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين
هو رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها رواسي جبالا ثوابت
فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل
فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي
وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها
او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساها فوق الارض
لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض
والجبال اثقال مع اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها بقدرة
عز وعلا وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها
ومعايشها وما يصلحهم وفي قراة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة
ايام سواء للسايلين فذلكة لمدة خلق الارض وما فيها كانه قال كل ذلك
في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض

يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثا والاربعا وقال الزجاج في اربعة
ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرى سواء بالحركات الثلاث
الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هو سواء
فان قلت بم تعلق قوله للسايلين قلت بمحذوف كانه قيل
هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها
الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير
لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي
فايدة في هذه النكتة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض
خلقت في يومين علم ان ما فيها في يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول
في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فايدة
ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان
ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين
الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض
ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ثم استوى الى السماء من قولك
استوى الى مكان اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شي وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله
تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق
الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل
خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا
عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء
من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد
تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور
المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز
ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال
لهما ايتيا شيتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض
تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب
والجواب ونحوه قول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال
من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر
الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء
بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد
خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحيها فالمعنى ايتيا على
ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا
ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول
والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات
كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير
من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة
من قرا اتيا واتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها
ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي
ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم
تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن
تحت يده لتفعلن هذا شيت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما

علي الحال بمعني طايعتين اومكرهتين **فان قلت** هلا قيل طايعتين
علي اللفظ او طايعات علي المعني لانها سموات وارضون **قلت** لما
جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طايعين في موضع
طايعات نحو قوله ساجدين **فقضاهن سبع سموات في يومين** فقضيهن
يجوزان يرجع الضمير فيه الي السما، علي المعني كما قال طايعين ونحو اعجاز نخل
خاوية ويجوزان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبتين
ان احدهما علي الحال والثاني علي التمييز قيل خلق السموات ومافيها في يومين
في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي
الساعة التي تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل علي ما ذكرت من انه لو قال في يومين
في موضع اربعة ايام سوا، لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان **فان قلت**
فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين
او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سوا **قلت** الذي اورده سبحانه
احضر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرايح ومصاك
الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات
ويتضاعف الثواب **واوحي في كل سما امرها** ما امر به فيها ودبره من خلق
الملايكة والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها **وزينا السما الدنيا
بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم** وحفظا اي وحفظناها حفظا
يعني من المسترقة بالثواب ويجوزان يكون مفعولا له علي المعني كانه قال
وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **فان اعرضوا** بعد ما تتلو عليهم من هذه
الحج علي وحدانيته وقدرته **فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم** فحذرهم ان تصيبهم صاعقة
اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقري صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب
واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكي
الله عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة
ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي
فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم
وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة
الزمن الماضي وما جري فيه علي الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم وقيل معناه اذ جاتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم **الا تعبدوا
الا الله قالوا لو شا، ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون**
فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون
بانهم جاوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون **قلت**
قد جاهم هود وصالح داعيين الي الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جا، من
بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجي من خلفهم اي من بعد فكان الرسل
جميعا قد جاوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح
ولساير الانبيا، الذين دعوا الي الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعني اي
او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث
قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شا، محذوف اي لو شا ربنا ارسال الرسل
لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ انتم بشر ولستم

بملايكة

بملايكة فانا لا نومن بكم وبما جيتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال
وانما هو علي كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون وروي ان ابا جهل قال في ملا، من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو
التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال
عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت السحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما
يخفي علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا
لك اللوا، فكنت رئيسنا وان تك بك البا،ة زوجناك عشر نسوة تختارهن
اي بنات قريش شيت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول
الله صلي الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم
الي قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة علي فيه وناشده بالرحم ورجع
الي اهله ولم يخرج الي قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نري عتبة الا قد صبا،
فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب
واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر
ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه
وناشدته بالرحم ان يكف ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا، لم يكذب فخفت
ان ينزل بكم العذاب **فاما عاد فاستكبروا في الارض** اي تعظموا فيها علي
اهلها **بغير الحق** بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا
في الارض واستولوا علي اهلها بغير استحقاق للولاية **وقالوا من اشد منا
قوة** كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هي الشدة والصلابة
في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من
تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة
الا علي معني القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم وانما يصح اذا اريد بالقوة
في الموضعين شي واحد **قلت** القدرة في الانسان هي صحة البنية واعتدال
والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان
يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوي منهم علي معني انه يقدر لذاته علي ما لا
يقدرون عليه بازدياد قدرهم **وكانوا باياتنا يجحدون** كانوا يعرفون
انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف علي فاستكبروا
اي كانوا كفرة فسقة **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا** الصرصر العاصفة التي تصرصر
اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق الشدة بردها تكريرا
لبنا، الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض **في ايام نحسات** قري
بكسر الحا، وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا فهو نحس واما نحس
فاما مخفف نحس وصفة علي فعل او وصف بمصدر **لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا** وقري لتذيقهم علي ان الاذاقة للريح او للايام النحسات
واضاف العذاب الي الخزي وهو الذل والاستكانة علي انه وصف للعذاب
كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السو، تريد الفعل السي والدليل عليه
قوله تعالي **ولعذاب الاخرة اخزي وهم لا ينصرون** وهو من الاسناد المجازي
ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا تري الي البون بين قوليك
هو شاعر وله شعر شاعر **واما ثمود** قري ثمود بالرفع والنصب منونا
وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتدا، وقري بضم الثا،

اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة صح

والرشد كقوله تعالي
فهديناهم فدللناهم علي طريقي الضلالة
وهديناه النجدين فاستحبوا العمي علي الهدي فاختاروا الدخول
في الضلالة علي الدخول في الرشد فان قلت اليس معني هديته
حصلت فيه الهدي والدليل عليه قولك هديته فاهتدي بمعني تحصيل
البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في
الدلالة المجردة قلت للدلالة علي انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق
لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها
فاخذتهم صاعقة العذاب والهون الهون وصف به العذاب مبالغة
او ابدله منه بما كانوا يكسبون ولو لم تكن في القران حجة علي القدرية
الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلي الله عليه وسلم وكفي به
شاهدا الا هذه لكفي بها حجة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم
يحشر قري يحشر علي البنا للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها
ونحشر علي البنا للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين
والاخرين الي النار فهم يوزعون يحبس اولهم علي اخرهم اي تستوقف سوابقهم
حتي تلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسال الله ان يجيرنا منها
بسعة رحمته حتي اذا ما جاءوها فان قلت ما في قوله حتي اذا ما جاوها
ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعني التاكيد فيها ان وقت مجيئهم
النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله
قولك اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم
به شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون شهادة الجلود بالملامسة
الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد
عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة
بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن
الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اراد بكل شي كل شي من الحيوان
كما اراد في قوله والله علي كل شي قدير كل شي من المقدورات والمعني
ان نطقها ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر علي انطاق كل حيوان
وعلي خلقكم وانشائكم اول مرة وعلي اعادتكم ورجعكم الي جزائه وانما
قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح
علي السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون المعني انكم كنتم تستترون
بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة
ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين
بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم
تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه
علي ان من حق المومن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله
عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتي يكون في اوقات خلواته من ربه
اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا ولا ينبسط
في سره مراقبة من التشبيه بهولاء الظانين وقري ولكن زعمتم وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وذلكم رفع بالابتداء
وظنكم وارديكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من وارديكم الخبر

فان

٦٦

فان يصبروا فالنار مثوي لهم فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا
به من الثواء في النار وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وان يستعتبوا
وان يسالوا العتبي وهي الرجوع لهم الي ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا
ولم يعطوا العتبي ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقري وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سالوا
ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الي ذلك وقيضنا لهم قرناء
وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين
والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف
جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم
قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم علي الكفر فلم
يبق لهم قرناء سوي الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم
ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين
ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا
حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل
في هذه ما في قوله ∴ ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ∴
ففي اخرين قد افكوا ∴ يريد فانت في جملة اخرين فانت في عداد اخرين
لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله
النصب علي الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون قري والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغي ولغا يلغو
ولغي يلغي واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث
التكلم والمعني لا تسمعوا له اذا قري وتشاغلوا عند قراته برفع الاصوات
بالخرافات والهذيان والزمل وما اشبه ذلك حتي تخلطوا علي القاري وتشوشوا
عليه وتغلبوه علي قراته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا يجوز ان يريد بالذين كفروا هولاء اللاغين والامرين
لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا
اضافة اسوا بما اغني عن اعادته وعن ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا
يوم بدر واسوا الذي كانوا يعملون في الاخرة ذلك جزاء اعداء الله النار ذلك
اشارة الي الاسوا ويجب ان يكون التقدير اسوا جزاء الذي كانوا يعملون
حتي تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدا محذوف
فان قلت ما معني قوله تعالي لهم فيها دار الخلد قلت معناه ان
النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعني
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار
السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزاء بما
كانوا يلغوا فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا
ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من
الاسفلين الذين اضلانا اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس
لان الشيطان علي ضربين جني وانسي قال الله تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من

الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لعنهما الله لانهما سنا الكفر
والقتل بغير حق قري ارنا بسكون الراء لثقل الكسر كما قالوا في فخذ فخذ
وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت
ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء
معناه اعطني ثوبك ونظيره الاشتهار لايتاء في معنى الاعطاء واصله
الاحضار ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ثم التراخي الاستقامة
عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه
قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى
ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا
فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم
يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة
الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان
الثعلب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه
ادوا الفرايض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني
بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل
عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاث مواطن عند
الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة
من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع
المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى
ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما ان الشياطين قرناء العصاة
واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين نحن
اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم
فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل
وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله عن
ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه
الاية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا الى الله وما هم الا طبقة
العاملين العالمين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله
وقال انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين مذهبه
ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن
من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض
اعدايك ومثال ذلك رجل اسا اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه

والتي

والتي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك
المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية
التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم
من الخير فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو تقدير
قايل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى
ولا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان
يقال بالتي هي حسن قلت اجل ولكن وضع التي احسن موضع الحسنة
ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها
وعن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو
عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون
الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه
النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي وجعل
النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع
بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه ومن
اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار
والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال
للاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل
خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رحمه الله
تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعن
ابي حنيفة رحمه الله يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن
عمر وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم لعل ناسا منهم كانوا يسجدون
للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون
بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم
وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان
استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون
فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم
فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون
الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة
عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي
احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى
الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ
اذا خصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل
ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربات اي ارتفعت
لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذين يلحدون في اياتنا

يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف
في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة وقري يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف افمن يلقي
في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون
بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فان قلت بم اتصل
قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين
يلحدون في اياتنا والذكر القران لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله
وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة
من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به تنزيل من حكيم حميد فان قلت
اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت ولكن الله قد تقدم
في جماعة عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد
اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه
ذو عقاب لاعدايهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل
من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم
فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف
العصاة ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته أاعجمي وعربي
كانوا لتعنتهم يقولون هلا انزل القران بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون
لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت
بلسان نفقهه أاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقران
اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقري اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا
يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن
اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القران اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي
والمعنى ان ايات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم
غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت
اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت
كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب
ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقال اكتاب
عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب
والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق
له من الغرض ولا يوصف به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول وقد رايت
لباسا طويلا على امراة قصيرة واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة
جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته
انما وقع في غرض وراءهما قل هو القران للذين امنوا هدى وشفاء ارشاد
الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت والذين لا
يومنون في اذانهم وقر منقطع عن ذكر القران فما وجه اتصاله به قلت
لا يخلو اما ان يكون الذين لا يومنون في موضع الجر معطوفا على قوله الذين
امنوا على معنى قولك هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يومنون

او المرسل

ان يراد

في اذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه
واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يومنون هو في اذانهم وقر على
حذف المبتدا او في اذانهم منه وقر وهو عليهم عمى وقري وهو عليهم عم وعمي
كقوله فعميت عليكم اولئك ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا
يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من
مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فقال بعضهم هو باطل وقال بعضهم هو حق ولولا كلمة سبقت من
ربك والكلمة السابقة هي العدة بالقيمة وان الخصومات تفصل في ذلك
اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم
ولكن يوخرهم الى اجل مسمى وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه
فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب
غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها
الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
وقري من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة
اي وما يحدث شي من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم
به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة
والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركاءي اضافهم اليه على زعمهم
وبيانه في قوله شركاءي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا اذناك ما منا
من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما
منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت
عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو من كلام الشركاء
اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم
على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا ما لهم
من محيص والمحيص المهرب فان قلت اذناك اخبار بايذان كان منهم
فاذ قد اذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركاءي اعادة
للتوبيخ واعادته في القران على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز
ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة
الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان
ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت
وكيت لا يسام الانسان من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرا
ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيوس
قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل
الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله انه لا يياس من روح الله الا القوم
الكافرون ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما
اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واذا فرجنا
عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي
لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر وهذا لا يزول عني ونحوه
قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحوه قوله وما اظن الساعة
قايمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت
على طريق التوهم فان لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا

للكافر امنيتان يقول في الدنيا وليين
امر الاخرة علي امر الدنيا وعن بعضهم
رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني ويقول في الاخرة يا ليتني كنت ترابا
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم
من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة
عند الله وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا
ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا
يحسبون ان ما هم عليه سبب الغني والصحة وانهم محقوقون بذلك واذا
انعمنا علي الانسان اعرض ونأي بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض هذا ايضا ضرب اخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة
ابطرته النعمة وكانه لم يلق بوسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره
ونأي بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر
قبل عن دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض
لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا
كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقري ونأي بجانبه بامالة الالف
وكسر النون للاتباع وناء علي القلب كما قالوا راء في رأي فان قلت
حقق لي معني قوله ونأي بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه
موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالي علي ما فرطت في جنب الله اذ مكان
الشيء وجهته ينزل بمنزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام
الذيب يريد ونفيت عند الذيب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه
قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الي جهته والي جانب العزيز
يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأي بنفسه كقولهم المتكبر ذهب
بنفسه وذهب به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة
عن الانحراف والازورار كما قالوا ثني عطفه وتولي بركنه قل ارايتم
اخبروني ان كان القران من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار
القران وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها علي
اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز
ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فيما
انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم
الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن
هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق يعني ما يسر الله عز
وجل لرسول الله صلي الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه
في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا
من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار
علي الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم علي كثيرهم وتسليط ضعافهم علي
اقويايهم واجرايه علي ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر
دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء
يطلعك علي التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم علي عجايب
لا تري وقعة من وقايعهم الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوي معها
اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي

لا يرتد عنه الا مكابر حسن مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا
صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان
للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل اولم يكف بربك انه
علي كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك علي كل شيء شهيد ومعناه
ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذي هو
علي كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم
ذلك دليلا علي انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة
ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم في مرية من لقاء ربهم وقري في مرية
بالضم وهي الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها
وبواطنها فلا يخفي عليه خافية منهم وهو مجازيهم علي كفرهم ومريتهم في لقاء
ربهم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمي سورة الشوري وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق قرا ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم عسق كذلك يوحي
اليك اي مثل ذلك الوحي ومثل ذلك الكتاب يوحي اليك والي الذين من قبلك
والي الرسل من قبلك الله العزيز الحكيم يعني ان ما تضمنته هذه السورة
من المعاني قد اوحي الله اليك مثله في غيرها من السورة واوحاه من قبلك
الي رسله علي معني ان الله تعالي كرر هذه المعاني في القران وفي جميع الكتب
السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والاخرين
ولم يقل اوحي اليك ولكن علي لفظ المضارع ليدل علي ان ايحاء مثله عادته
وقري يوحي اليك علي البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله علي
هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحي كان قايلا قال من الموحي فقيل
الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاوهم علي
البناء للمفعول ورفع شركاوهم علي معني زينه لهم شركاوهم فان قلت
فما رافعه فيمن قرا نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده
اخبارا والعزيز الحكيم صفتان والظرف خبر له ما في السموات وما في الارض
وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملايكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم قري
تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروي يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة
تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي
الابل تتشممن ومعناه يكدن يتفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه
مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعايهم له ولدا كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات
وادلها علي الجلال والعظمة فوق السموات وهو العرش والكرسي وصفوف
الملايكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من
اثار ملكوته العظمي ولذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدي الانفطار
من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات
فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت
الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت موثرة في جهة الفوق كانه قيل
يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره

في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فيعمل الحميم موثرا في اجزايهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين
فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعدا الله
وقد قال الله تعالي اوليك عليهم لعنة الله والملايكة فكيف يكونون لاعنين
مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل علي جنس اهل الارض
وهذه الجنسية قايمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا
وقد دل الدليل علي ان الملايكة لا تستغفر الا لاوليا الله وهم المومنون
فما اراد الله الا اياهم الا تري الي قوله في سورة المومن ويستغفرون
للذين امنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا
المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من
المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا
بالاستغفار طلب الحلم والغفران في ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الي ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة
للناس علي ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما
فان قلت قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما
وجه طباق ما بعده لهما قلت اما علي احدهما فكانه قيل تكاد
السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريايه والملايكة
الذين هم ملا السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد
صفوف يداومون خضوعا لعظمته علي عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون
لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما علي الثاني فكانه قيل يكدن
ينفطرن من اقدام اهل الشرك علي تلك الكلمة الشنعاء والملايكة يوحدون
الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون
به حامدون له علي ما اولاهم من الطافه الذي علم انهم عندها يستعصمون
مختارين غير ملجين ويستغفرون لمومني اهل الارض الذين تبروا من تلك
الكلمة ومن اهلها او يطلبون الي ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم
بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا علي
نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا
من دونه اوليا جعلوا له شركا اندادا الله حفيظ عليهم رقيب
علي احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شي وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم
لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت عليهم بوكيل وما انت يا محمد بموكل
بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم علي الايمان انما انت منذر فحسب
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة
الي معني الاية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم
ولكن نذير لهم لان هذا المعني كرره الله في كتابه في مواضع جمة فالكاف
مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك
وهو قران عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز
حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الي مصدر اوحينا اي ومثل
ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك لتنذر ام
القري يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول والثاني
وهو قوله وتنذر يوم الجمع الي المفعول الثاني ام القري اهل ام القري
كقوله وسل القرية ومن حولها من العرب وقري لينذر بالياء والفعل

للقران وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لان الخلايق تجمع فيه قال الله تعالي
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع
بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق
في السعير قري فريق وفريقا بالرفع والنصب فالرفع علي منهم فريق ومنهم
فريق والضمير للمجموعين لان المعني يوم جمع الخلايق والنصب علي الحال منهم
اي متفرقين كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت
كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك
اليوم مع افتراقهم في داري البوس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين
في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق لاحقا لا يتنا كل نفس هداها
وقوله ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا والدليل علي ان المعني هو الالجا
الي الايمان قوله افانت تكره باد خال همزة الانكار علي المكره دون فعله دليل علي ان
الله وحده هو القادر علي هذا الاكراه دون غيره والمعني ولو شا ربك مشيئة
قدرة لقسرهم جميعا علي الايمان ولكنه شا مشيئة حكمة وكلفهم وبني امرهم
علي ما يختارون ليدخل المومنين في رحمته وهم المرادون بمن يشا الا تري
الي وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه
ام اتخذوا من دونه اوليا معني الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي
هو الذي يجب ان يتولي وحده ويعتقد انه المولي والسيد والفا في قوله
فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا
وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتي اي ومن شان
هذا الولي انه يحيي الموتي وهو علي كل شي قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون
من لا يقدر علي شي وما اختلفتم فيه من شي حكاية قول رسول الله للمومنين
اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه
من امر من امور الدين فحكمه الي الله فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الي الله
وهو اثابة المحقين فيه من المومنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو الله
ربي عليه توكلت في رد كيد اعدا الدين واليه انيب واليه ارجع في كفاية شرهم
وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شي من الخصومات فتحاكموا الي رسول
الله ولا توثروا علي حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شي فردوه
الي الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا
في بيانه الي المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل
ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الي
علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالي ويسالونك عن الروح قل
الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله علي اختلاف المجتهدين
في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضور الرسول
فاطر السموات والارض فاطر السموات قري بالرفع والجر فالرفع علي
انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر علي فحكمه الي الله فاطر
السموات وذلكم الي انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم
خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا
اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها
ازواجا يذروكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء
اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتي
كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع

علي معني يشار فيهم للتفرق ولو شا الله لجعلهم امة واحدة
ولكن يدخل من يشا في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
لجعلهم امة واحدة اي مومنين كلهم علي القسر والاكراه وقوله
ولو شينا صح

الي المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلا علي الغيب مما لا
يعقل وهي من الاحكام ذوات العلتين فان قلت ما معني يذرؤكم
في هذا التدبير وهلا قيل يذروكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع
والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير
كما قال تعالي ولكم في القصاص حيوة ليس كمثله شي وهو السميع العليم
له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قالوا مثلك
لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة
في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عنه ونظيره قولك للعربي
العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت
اترابه وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد
الي طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شي
وبين قوله ليس كمثله شي الا ما تعطيه الكناية من فايدتها وكانهما عبارتان
معتقبتان علي معني واحد وهي نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل
بل يداه مبسوطتان وان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها
لانها وقعت عبارة عن الجود ولا يقصدون شيا اخر حتي انهم استعملوا
فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم
ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال ⁂
⁂ وصاليات ككما يؤثفين ⁂ ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول ⁂
وقوي ويقدر انه بكل شي عليم فاذا علم ان الغني خير للعبد اغناه والا افقره
شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابرهيم وموسي وعيسي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من
الانبياء صلوات الله عليهم ثم فسر المشروع الذي اشترك هولاء الاعلام من
رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام
الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وساير
ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم علي حسب
احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالي لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه واما رفع علي الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة
الدين ونحوه قوله تعالي ان هذه امتكم امة واحدة كبر علي المشركين عظم عليهم
وشق عليهم وما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي
اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء
من ينفع فيهم توفيقه ويجدي عليهم بلطفه ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيايهم الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه علي
السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك الي اجل مسمي وهي عدة
التاجيل الي يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما افترقوا
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم لفي شك منه مريب لفي شك من كتابهم لا يومنون
به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مومنين بعد ان اهلك
الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء

فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم
وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا
القران من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل وقري ورثوا وورثوا
فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع
الي الاتفاق والايتلاف علي الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلي الدعوة
اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل
الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة
لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نومن ببعض
ونكفر ببعض الي قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم
في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين ولا حاجة
الي المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا وبينكم لان المتحاجين يورد هذا حجته
وهذا حجته الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيمة واليه المصير فيفصل بيننا
وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة
والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل
من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد
محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله يخاصمون
في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في دين
الاسلام ليردوهم الي دين الجاهلية كقوله تعالي ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصاري يقولون للمومنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولي بالحق وقيل
من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام
حجتهم داحضة باطلة زايلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والميزان والعدل والسوية
ومعني انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به
بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته
الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة
قريب الساعة في تاويل البعث ولذلك قيل قريب او لعل مجي الساعة
قريب فان قلت كيف توفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب
والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط
فكانه قيل امركم الله بالعدل والسوية والعمل بالشرايع قبل ان يفاجيكم
اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفي ويطفف لمن طفف
يستعجل بها الذين لا يومنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون
انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة المداجة لان كل واحد
منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير
مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز علي انها اتية لا ريب فيها
ولشهادة العقول علي انه لا بد من دار جزاء الله لطيف بعباده بر بليغ
البر بهم يوصل من كل واحد منهم الي حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته
وجزئياته فان قلت ما معني قوله يرزق من يشاء بعد

توصل بره الي جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلوا احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم مالم يقسم للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشا كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخري لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شي العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد الدنيا نوته منها وماله في الاخرة من نصيب سمي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكا حرثا (حرث) على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للاخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط في الاخرة ولم يذكر في معني عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الي جنب ما هو بصدده من زكا عمله وفوزه في الماب ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين مالم ياذن به الله معني الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاوهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالي الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاوهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركا الله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الي الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضا السابق بتاجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمومنين او بين المشركين وشركايهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرا مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا تري الظالمين في الاخرة مشفقين خايفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا اولم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون كان روضة جنة المومن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاون ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قري يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله عباده فحذف الجار كقوله واختار موسي قومه ثم حذف الراجع الي الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسال على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الاية قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي الا المودة في القربي يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسالكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم اجرا قط ولكني اسالكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا توذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربي او الا المودة للقربي وما معني

قوله الا المودة في القربي قلت قد جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة ولي فيهم هوي وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذ قلت الا المودة للقربي انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربي ومتمكنة فيها والقربي مصدر كالزلفي والبشري بمعني القرابة والمراد في اهل القربي وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضي ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمايلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلي الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الي احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلي يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلي يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك اولم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتي جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من مات على حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب ال محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب ال محمد مات تائبا الا ومن مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب ال محمد يزف الي الجنة كما تزف العروس الي بيت زوجها الا ومن مات على حب ال محمد فتح له في قبره بابان الي الجنة الا ومن مات على حب ال محمد جعل الله قبره مزار ملايكة الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض ال محمد لم يشم رايحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربي فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعني الا تودوني في القربي اي في حق القربي ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعني في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربي ولا توذوني ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلي الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوايب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربي التقرب الي الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقري الا مودة في القربي ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا عن السدي انها المودة في ال رسول الله عليه السلام نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه

ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت
عقيب ذكر المودة في القربي دل ذلك علي انها تتنا ولت المودة تنا ولا
اوليا كان ساير الحسنات توابع لها وقري يزد اي يزد الله وزيادة حسنها
من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقري حسني وهي مصدر كالبشري ان الله
غفور شكور الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها
والتفضل علي المثاب ام يقولون افتري علي الله كذبا ام منقطعة ومعني
الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الي الافترا ثم الي الافترا
الي الله الذي هو اعظم الفري وافحشها فان يشا الله يختم علي قلبك فان
يشا الله يجعلك من المختوم علي قلوبهم حتي تفتري عليه الكذب فانه لا يجتري
علي افترا الكذب علي الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مو داه
استبعاد الافترا من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة
المختوم علي قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامنا فيقول لعل الله خذلني
لعل الله اعمي قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمي القلب وانما يريد استبعاد
ان يخون مثله والتنبيه علي انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ويمح الله الباطل
ويحق الحق اي ومن عادة الله ان يمحوا الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه
او بقضايه كقوله بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا
كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق علي باطله فدمغه
ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلي الله عليه وسلم بانه يمحوا الباطل الذي هم
عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقران وبقضايه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم انه عليم بذات الصدور ان الله عليم بما في
صدرك وصدورهم فيجري الامر علي حسب ذلك وعن قتادة يختم
علي قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افتري علي الله الكذب
لفعل به ذلك وقيل يختم علي قلبك يربط عليه بالصبر حتي لا يشق
عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدا غير
معطوف علي يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله ويدع
الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية علي انها مثبتة في بعض المصاحف
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشي وقبلته عنه
فمعني قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا قبولي ومنشاه ومعني قبلته
عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب
بالندم عليهما والعزم علي ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب
وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي علي طريقه وروي جابر ان اعرابيا
دخل مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك
واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا
ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الي التوبة
فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع علي ستة معاني علي الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس
في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيات عن الكباير
اذا تيب عنها وعن الصغاير اذا اجتنبت الكباير ويعلم ما تفعلون
قري بالياء والتاء اي يعلمه فيثيب علي حسناته ويعاقب علي سياته

ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ويستجيب
الذين امنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي
يثيبهم علي طاعتهم ويزيدهم علي الثواب تفضلا واذا دعوا استجاب دعاءهم
واعطاهم ما طلبوا وزادهم علي مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون
له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله اي علي ثوابهم وعن
سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم
انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله
يدعوا الي دار السلام ويستجيب الذين امنوا والكافرون لهم عذاب
شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لبغوا من البغي
وهو الظلم اي لبغي هذا علي ذاك وذاك علي هذا لان الغني مبطرة ماشرة
وكفي بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف
علي امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب ∴ ∴ ∴ ∴
∴ وقد جعل الوسمي ينبت بيننا ∴ وبين بني دومان نبعا وشوحطا ∴
يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ
والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد
وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغني قال
خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الي اموال بني قريظة والنضير
وبني قينقاع فتمنيناها ولكن ينزل بقدر ما يشا بقدر بتقدير يقال
قدره قدرا وقدرا ان الله بعباده خبير بصير يعرف ما يؤل اليه احوالهم
فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الي جمع شملهم فيفقر ويمنع ويعطي ويقبض
ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا
فان قلت قد نري الناس يبغي بعضهم علي بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم
مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم
يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة
في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر
للاقدام علي البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتي ينقلب
الامر الي عكس ما عليه الان وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا بفتح
النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به
من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس
فقال مطروا اذن اراد هذه الاية ويجوز ان يريد رحمته في كل شي كانه
قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة وهو الولي
الذي يتولي عباده باحسانه الحميد المحمود علي ذلك يحمده اهل طاعته ومن
اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وما بث يجوز ان
يكون مجرورا ومرفوعا حملا علي المضاف اليه والمضاف فان قلت
لم جاء فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب
الشي الي جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما تقول بنو تميم فيهم شاعر
مجيد وشجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصايلهم
وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالي يخرج منهما
اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملايكة عليهم السلام مشي
مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق
في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي علي الارض سبحان الذي

خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اذا تدخل
على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا شاء
وقال الشاعر ؛
واذا ما اشاء ابعث منها ؛ اخر الليل ناشطا مذعورا ؛
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وفي مصاحف
اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف
اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتداة وبما كسبت خبرها من غير
تضمين معنى الشرط والاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله
الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض واما من لا جرم له كالانبياء والاطفال
والمجانين فهولاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة
حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل
اليه من الفتن والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان
قليل النظر في احسان ربه اليه وعن اخر العبد ملازم للجنايات في كل
اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية
المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه الله يطهر عبده من جناياته
بانواع المصايب ليخفف عنه اثقاله يوم القيمة ولولا عفوه ورحمته
لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا
عفي عنه في الاخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الاخرة
وعنه رضي الله عنه هذه ارجى اية للمومنين في القران وما انتم بمعجزين
بفايتين ما قضي عليكم من المصايب وما لكم من دون الله من ولي من ولي
من متول بالرحمة ولا نصير ومن اياته الجوار السفن وقرئ الجواري
في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء ؛ كانه علم في راسه نار ؛
ان يشاء يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل
ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر
البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمايه وهما صفتا
المومن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في ايات
الله فهو يستملي منها العبر او يوبقهن بما كسبوا يهلكهن والمعنى انه ان
يشاء يبتل المسافرين في البحر باحد بليتين اما ان يسكن الريح فيركد
الجوار على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن
اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت
علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشاء يسكن
الريح فيركدن او فيعصفها فيغرقن بعصفها فان قلت فما معنى
ادخال العفو في حكم الايتان حيث جزم جزمه قلت معناه او ان
يشاء يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن
قرا ويعفو قلت قد استانف الكلام ويعلم الذين يجادلون في اياتنا
فان قلت فما وجوه القرات الثلاث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى
ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل
محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف
على التعليل المحذوف غير عزيز في القران منه قوله تعالى ولنجعله اية
للناس ونحوه خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما

كسبت

كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع
اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك
جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء
والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو في قوله ؛ ؛
؛ والحق بالحجاز فاستريحا ؛ ؛ فهذا يجوز وليس بحد الكلام
ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل
الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراة المستفيضة على
وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى
سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة فان قلت
فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشا يجمع بين
امور ثلاثة هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين ما لهم من محيص من محيد
عن عقابه فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى
للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت
الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر مال
فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون
فنزلت والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش عطف على الذين امنوا
وكذلك ما بعده ومعنى كباير الاثم الكباير من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم
وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك واذا ما غضبوا هم يغفرون
اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول
حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه
الفايدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون نزلت في الانصار دعاهم
الله عز وجل الى الايمان وطاعته فاستجابوا له بان امنوا به واطاعوا واقاموا
الصلوة واتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا
فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون براي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور
قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله
وامرهم شورى بينهم اي ذوي شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمر ابن الخطاب الخلافة شورى والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم
ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا
انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت اهم محمودون على الانتصار
قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف
في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له
فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها كلتا الفعلتين
الاولى وجزاوها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصايب
والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير
زيادة فاذا قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو
والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره

علي الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين
دلالة على ان الانتصار لا يكاد يومن فيه تجاوز السوية والاعتدا
خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو
لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من
كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون
نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ولمن انتصر
بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرا بعد ما ظلم فاوليك
اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعايب
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدونهم بالظلم ويبغون في الارض
بغير الحق يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون اوليك لهم عذاب اليم
ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان
ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم
السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه
الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية
فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب
اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا
اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عايشة
بحضرته وكان ينهاها ولا تنتهي فقال لعايشة دونك فانتصري ومن
يضلل الله ومن يخذل فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه
من بعد خذلانه وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد
من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين متضائلين متقاصرين مما
يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين
من طرف خفي اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة
كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان
يفتح اجفانه عليها ويملا عينه منها كما يفعل في نظيره الى المحاب وقيل
يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه
تعسف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم يوم القيمة اما ان يتعلق
بخسروا ويكون قول المومنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال
اي يقولون يوم القيمة اذا راهم على تلك الصفة وما كان لهم من اوليا
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يوميذ
وما لكم من نكير من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من
صلة ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير
الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيا
مما اقترفتموه ودون في صحايف اعمالكم فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة
فرح بها وان تصبهم سيية بما قدمت ايديهم ان الانسان كفور اراد
بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيية ولم يرد الا المجرمين
لان اصابة السيية بما قدمت ايديهم انما يستقيم فيهم والرحمة النعمة

من

من الصحة والغنى والامن والسيية البلا من المرض والفقر والمخاوف
والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه لكفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى
انه يذكر البلا وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا
يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشا عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان
له الملك وانه يقسم النعمة والبلا كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه
مشيته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين
جميعا ويعقم اخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث
على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر
الاناث قلت لانه ذكر البلا في اخر الاية الاولى وكفران الانسان
بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيته وذكر قسمة
الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاوه لا ما يشاوه
الانسان وكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاوه الانسان اهم
والاهم واجب التقديم وليلي الجنس التي كانت العرب تعده بلا ذكر
البلا واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقا بالتقديم
بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان
الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين
حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن
لمقتض اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبيا صلوات الله
عليهم اجمعين حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد
ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير
على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا
ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف
في القلب والمنام كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم في ذبح ولده وعن
مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص
∴ واوحى الي الله ان قد تامروا ∴ بابل ابي اوفى فقمت على رجلي ∴
اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض
الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله
من ورا حجاب مثل اي كما الملك المحتجب بعض خواصه وهو من ورا الحجاب
فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملايكة واما
على ان يرسل اليه رسولا من الملايكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبيا
على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان
ان يرسل في معنى ارسالا ومن ورا حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا
كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا
من ورا حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان
الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا كلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات
ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام
بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله

اومن وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معني
ان يوحي وعطف يرسل عليه علي معني وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي
او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه
نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقري او يرسل رسولا فيوحي بالرفع علي او
هو يرسل او بمعني مرسلا عطفا علي وحيا في معني موحيا وروي ان اليهود
قالت للنبي صلي الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه
موسي ونظر اليه فانا لن نومن لك حتي تفعل ذلك فقال لم ينظر موسي الي
الله فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راي ربه فقد
اعظم علي الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله علي موجب الحكمة فيكلم
تارة بواسطة واخري بغير واسطة واما الهاما واما خطابا روحا من
امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيي الجسد بالروح
ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فان قلت قد علم ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم ما كان يدري ما القران قبل نزوله عليه فما معني
قوله تعالي ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر
والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين
من ارتكاب الكباير ومن الصغاير التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده
فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها
الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعني به ما الطريق
اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتي كسبه بالوحي الا تري
انه قد فسر الايمان في قوله تعالي وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها
بعض ما يتناوله الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه وانك لتهدي الي صراط
مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا
الي الله تصير الامور صراط الله بدل وقري لتهدي اي يهديك الله وقري
لتدعو عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلي
عليه الملايكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسل
من ارسلنا قبلك من رسلنا وهي تسعون وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القران وجعل قوله انا جعلناه
قرانا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم
عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام
وثناياك انها اغريض
المبين البين الذي انزل عليهم لانه
بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان
طريق الهدي من طريق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من ابواب
الديانة جعلناه بمعني صيرناه معدا الي مفعولين او بمعني خلقناه معدي
الي واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرانا عربيا حال لعلكم تعقلون
ولعل مستعار بمعني الارادة لتلاحظ معناها ومعني الترجي اي خلقناه
عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته
وانه في ام الكتاب وقري ام بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قران مجيد

في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل
وتستنسخ لدينا لعلي علي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة
بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا
افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعني افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم علي سبيل
المجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب
غرايب الابل وقال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف علي محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون
الامر علي خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرانا عربيا ليعقلوه ويعملوا
بمواجبه وصفحا علي وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب
علي انه مفعول له علي معني افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا
عنكم واما بمعني الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وبصفح وجهه علي معني
افننحيه عنكم جانبا فينتصب علي الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش
جانبا وتعضده قراءة من قرا صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه اخر وهو ان
يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب علي الحال اي صافحين معرضين
ان كنتم قوما مسرفين لان كنتم وقري ان كنتم واذ كنتم فان قلت
كيف استقام معني ان الشرطية وقد كانوا مسرفين علي البت قلت
هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته
كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل
في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق
مع وضوحه استجهالا له وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي
الا كانوا به يستهزؤن وما ياتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا علي
ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم عن استهزاء قومه
فاهلكنا اشد منهم بطشا الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف
الخطاب عنهم الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يخبر عنهم ومضي مثل الاولين
اي سلف في القران في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان
تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلي الله عليه وسلم ووعيد لهم
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف
عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون
وان كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم
ومعني قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت
لينسبن خلقها الي الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه الذي جعل لكم الارض
مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء
بقدر بقدر بمقدار تسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا
فانشرنا به بلدة ميتة كذلك تخرجون والذي خلق الازواج الازواج
كلها والازواج الاصناف وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
ما تركبون اي تركبونه فان قلت يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك
وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير
واسطة لقوته علي المتعدي بواسطة فقيل تركبونه لتستووا علي
ظهوره علي ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم

اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم
معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب السفينة قال
بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما انه راى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا
امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد
فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لاداب الله ومحافظتهم على دقيقها
وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرهم فما احسن
بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانة
مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة ∴
∴ واقرنت ما حملتني واقل ما يطاق ∴ احتمال الصد يا دعد والهجر ∴
وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة
للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين
والمعنى واحد فان قلت كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون
قلت كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها
فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة
امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل
بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عنه اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة
فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه
حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه
ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام
من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين
مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم
على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان
ولا يمتثلون الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب
من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار فلم يشعر
بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه
الاية وقيل يذكرون الله عند الركوب ركب الجنازة ∴ وقيل وجعلوا له من
عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه
بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم
جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير
تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو
الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا
منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا ∴ ان اجزات حرة يوما فلا عجب
زوجتها من بنات الاوس مجزئة ∴ وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان
لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر
اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ام اتخذ بل

اتخذ

اتخذ واصل الهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بان
جعلوا لله من عباده جزءا حين جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث
دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ
بهم المقت الى ان واد وهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه
جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه
اثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا
منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان
احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو
مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه
المراة فقالت ∴ ما لابي حمزة لا ياتينا ∴ يظل في البيت الذي يلينا ∴
غضبان ان لا نلد البنينا ∴ ليس لنا من امرنا ما شينا ∴ وانما ناخذ ما اعطينا ∴
والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع
الخبر ثم قال او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين او يجعل للرحمن
من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشا في الحلية اي يتربى
في الزينة والتنعم وهو اذا احتاج الى مجاثات الخصوم ومجاراة الرجال
كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحج به من يخاصمه وذلك
لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال ما تكلمت امراة
فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشاء
في الزينة والنعومة من المعائب والمذام وانه من صفة ربات الحجال
فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويانف منه ويربا بنفسه عنه
ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا وتمعددوا واخشوشنوا
وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشاء
وينشؤ ويناشئ ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء
وقد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا
اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين اكرم عباد الله على الله فاستخفوا
بهم واحتقروهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن
وعبد الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا جمع الجمع ومعنى
جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ اشهدوا واشهدوا بهمزتين
مفتوحة ومضمومة وآاشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون
ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولم
تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان
يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا
بها على الملائكة من انوثتهم ويسالون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما

عبادتهم الملايكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما تقول اخوانهم
المجبرة فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء
ولو قالوه جادين لكانوا مومنين قلت لا دليل على انهم قالوا مستهزئين
وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم
والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفيهم
بالبنين وانهم جعلوا الملايكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات
قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لوجدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها
كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين ويشترك كلها في
انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء
دون ما قبله فما بهم الا التعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم
يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال
لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب
لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازلا فان قلت ما قولك
فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملايكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك
القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر
ونحوه قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا
من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون الضمير
من قبله للقران او للرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله
قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام اتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا
فيه الكفر والقبايح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا
بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا
اباءنا على امة على دين وقرئ امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد
فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة
التي يكون عليها الام وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على
اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما ارسلنا من
قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون
الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قل اولو جيتكم
باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
قرئ قل وقال وجيتكم وجيناكم يعني اتتبعون اباءكم ولو جيتكم بدين
اهدى من دين اباءكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان
جيتنا بما هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
فانه سيهدين وقرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء وبرء وبراء نحو كريم وكرام
وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمونث
يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا
على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان
يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي

فطرني

فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما تعبدون من
٧٨ وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات
ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت
قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان
ما في تعبدون موصوفة تقديره انني براء من الهة تعبدونها غير الذي
فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى
قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار
الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة
التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة
باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده
لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها
ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك
وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هولاء يعني اهل مكة وهم
من عقب ابراهيم واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالنعمة وشغلوا
بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
الحق وهو القران ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات البينة
فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجا ابراهيم وقرئ
بل متعنا فان قلت فما وجه من قرا متعت بفتح التاء قلت كان
الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم
ذلك عن كلمة التوحيد فاراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم
بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات
على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل
اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك
واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت
قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق
قالوا هذا سحر وانا به كافرون فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد و
مقتضياته فقال عز وجل بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول
مبين تخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدا قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم
التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول
ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه والاصرار على افعال الكفرة
والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقوله وقالوا لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهو الغاية في تسوية صورة
امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله
يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة والطايف وقيل
من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير
الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل
وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد

يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القران علي وعلي ابي مسعود
الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث
الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجان الرسل لم يكونوا الا
رجالا من اهل القرى جاوا بالانكار من وجه اخر وهو تحكمهم ان يكون
احد هذين وقولهم هذا القران ذكر له على وجه الاستهانة واراد بالعظيم
الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم
كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقبل
بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر
النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي
لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم
عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز
وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم
بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم
فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف
بعضهم بعضا في حوايجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم
حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو
وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امورهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدابير
امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدابير
امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورافته العظمى وهو الطريق الى حيازة
حظوظ الاخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك خير مما يجمعون
يريد وهذه الرحمة وهو دين الله وما يتبعه من الفوز في الماب خير مما
يجمع هولاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به
من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد
قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته
وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن
شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها
فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها
تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش
والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو
عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا
بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرى سقفا بفتح السين
وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن
ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف
وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي
المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح
يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين

مع حرف التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية
وقرى بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة اي ما هو بعوضة
ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وما كل ذلك الا لما قال لخير مما يجمعون فقلل
امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان
يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا ويطبقوا عليه لحقارة
زهرة الدنيا لكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا
لهم زخرفا اي زينة من كل شي والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون
الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب
فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها
التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا
وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم
مفسدة ايضا لما يودي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول
في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين وكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل
في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون وقرى ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت
الافة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا افة به قيل عشا ونظيره
عرج لمن به الافة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة
متى تاته تعشو الى ضوء ناره
اي تنظر اليها نظر
العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول
حاتم اعشو اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
وقرى يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط وحق هذا القارى
ان يرفع يقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القران
كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف
انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا
لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرى يقيض اي يقيض له الرحمن
ويقيض له شيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان
في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقد
قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين
جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرى جاءانا على
ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران
فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد
المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية
اضاف البعد اليهما ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون
انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب
كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل
اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم منه

من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولكن تجعل الفعل للتمني في قوله باليت
بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين
وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليلا اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم
ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو
الكفر وتقويه قراءة من قرا انكم بالكسر وقيل اذا راى الممنو بشدة من
مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التاسي الذي ذكرته
الخنساء ❁ اعزي النفس عنه بالتاسي ❁ فهولاء لا يوسيهم
اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذا
ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد
شبهة في انكم كنتم ظالمين يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره ❁
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ❁ اي تبين اني ولد كريمة ❁
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء
قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي
وانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال
مبين انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه
لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان
الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ما في قوله فاما
نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت معها نون المؤكدة والمعنى
فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المومنين فانا منهم
منتقمون اشد الانتقام في الاخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون
فان اردنا ان ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو
يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا او نرينك الذي وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون وصفهم بشدة الشكيمة والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد
بعذاب الدنيا والاخرة وقرى نرينك بالنون الخفيفة فاستمسك بالذي
اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقرى بالذي اوحى اليك على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى
اليوم الاخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم
الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين
الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن
كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ولا يثبطه تاخير وانه وان
الذي اوحي اليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون عنه
يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم
به من بين العالمين واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون ليس المراد بسوال الرسل حقيقة السوال لاحالته
ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان
قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز
المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وهذه الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها
والسوال مجاز عن النظر حيث لا يصح السوال على الحقيقة كثير منه مسالة
الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق
انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك

اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسرا في بيت
المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسال وقيل معناه سل
امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراهم انما يخبرونه
عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبياء ولقد ارسلنا موسى باياتنا
الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين ما اجابوه به عند
قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا
وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الاية اذا هم منها
يضحكون اي يسخرون منها ويهزون ويسمونها سحرا واذا للمفاجات
فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجات قلت
لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل
فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم فان قلت اذا جاءتهم
اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية
الايات قلت اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها
فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل الاستقراء واحدة
بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله كما تقول هو افضل
رجل من امة الرجال الذين رايتهم اذا قرونهم رجلا رجلا فان قلت
فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة
منها فيكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حال واحدة قلت
الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك
العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب
اليسير ان تختلف اراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم
ذلك فعلى ذلك بني الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من
بعض وربما اختلف اراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة
يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة ❁ من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ❁
مثل النجوم الذي يسري بها الساري ❁ ❁ ولقد فاضلت الانمارية
من بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت
ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها واخذناهم
بالعذاب لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان
قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس
الا ان يامره ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين
ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع
لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان
والجراد وغير ذلك وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك
اننا لمهتدون قرى يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان
قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت
قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق
بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية
لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للماهر العالم ساحر لاستعظامهم
علم السحر بما عهد عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو
النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد

وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها

عندك من كشف العذاب عمن اهتدي ونادي فرعون في قومه جعلهم
محلا للندايه موقعا له والمعني انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادي
فيها بذلك فاسند النداء اليه كقوله قطع الامير اللص اذا امر بقطعه
ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينتشر عنه
في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت
سريره لارتفاعه وقيل هي بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز
ان تكون الواو عاطفة للانهار علي ملك مصر وتجري نصب علي الحال منها
وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة
وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الي دعوي الربوبية
همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدي عظمته وامر ونودي
في اسواق مصر واز قتها لئلا تخفي تلك الابهة والجلالة علي صغير
وكبير وحتي يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وعن الرشيد
انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان علي
وضوءه وعن عبد الله بن طاهر انه لما وليها فخرج اليها فلما شارفها
ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتي قال اليس لي
ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها وثني عنانه ام انا خير ام
هذه منفصلة لان المعني افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله
انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء
وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة علي انا
خير والهمزة للتقدير وذلك انه قدم اسباب الفضل والتقدم عليهم من
ملك مصر وجري الانهار تحته ونادي بذلك وملاء به مسامعهم ثم قال
انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا
الذي هو مهين اي ضعيف حقير وقرا اما انا خير ولا يكاد يبين
الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد والات الملك و
السياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به من الرجال
من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابنياء بلغاء فلولا القي
عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملايكة مقترنين واراد بالقاء
الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد
الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين اما مقترنين
به من قولك قرنته فاقترن به واما من اقترنوا بمعني تعاونوا لما وصف
نفسه بالعزة والملك ووازن بينه وبين موسي صلوات الله عليه ووصفه
بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه
ربه وسوده وسوره وجعل الملايكة اعضاده وانصاره وقري اساور
جمع اسورة واساور جمع اسوار وهو السوار واساور علي لبناء للفاعل
وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين
فاستفزهم وحقيقته حملهم علي ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفز
من قولهم للخفيف فز فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
اسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت
الفجاءة رحمة للمومن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي

وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم
عنهم فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين وقري سلفا جمع سالف كخدم
وخادم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة
اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا
عجيب الشان سايرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلك مثل قوم
فرعون ولما ضرب بن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قرا رسول
الله صلي الله عليه وسلم علي قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله ابن الزبعري
يا محمد خاصا لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولالهتكم
ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسي بن مريم نبي
وتثني عليه خيرا وعلي امه وعلمت ان النصاري يعبدونهما وعزير يعبد
والملايكة يعبدون فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
والهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل
الله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني ونزلت هذه الاية والمعني
ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسي بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة
النصاري اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة
وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلي
الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعبوا بحجة ثم
فتحت عليهم واما من قرا يصدون بضم الصاد فمن الصدود اي من اهل
هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجبلة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظاير لهما وقالوا االهتنا
خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد
انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسراييل ولو نشاء لجعلنا منكم ملايكة
في الارض يخلفون وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست
بخير من عيسي فاذا كان عيسي من حصب النار كان امر الهتنا هينا ما ضربوا
هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز
بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج
كقوله قوما لدا وذلك ان قوله تعالي انكم وما تعبدون ما اريد به الاصنام
وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم انما قصد به الا الاصنام
ومحال ان يقصد الانبياء والملايكة الا ان ابن الزبعري بخبه وخداعه وخبث
دخلته لما راي كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه ان المراد
اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الي الشمول والاحاطة
لكل معبود غير الله علي طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة
وتوقح في ذلك فتوقر عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي اجاب عنه
ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسني فدل به علي ان الاية خاصة في الاصنام
علي انه ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله
ان مثل عيسي عند الله كمثل ادم قالوا نحن اهدي من النصاري لانهم عبدوا
ادميا ونحن نعبد الملايكة فنزلت وقوله االهتنا خير ام هو علي هذا
القول تفضيل لالهتهم علي عيسي لان المراد بهم الملايكة وما ضربوه لك الا
جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني االهتنا خير ام هو الا للجدل وقري

الهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة
عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا لا اي
جدلنا وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا
الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام
هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين الهتهم السخرية
به والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملايكة بنات الله
وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى
جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا
اليه الملايكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى
شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه
الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كساير العبيد انعمنا عليه
حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا ادم وشرفناه
بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل الساير لبني اسرايل ولو نشا لقدرتنا
على عجايب الامور وبدايع الفطرة لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال
ملايكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى
من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملايكة اجسام
لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه لعلم للساعة
فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها
يعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرئ ابن عباس لعلم وهو العلامة
وقرئ للعلم وقرا ابي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما
وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة
يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها
يقتل الدجال وياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام
يؤم بهم فيتاخر الامام ويتقدم عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد
عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس
ويقتل النصارى الا من امن به وعن الحسن ان الضمير للقران وان
القران تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك
واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول
الله عليه السلام ان يقوله هذا صراط اي هذا الذي ادعوكم اليه
او هذا القران ان جعل الضمير في وانه للقران عدو مبين قد بانت
عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى
بالبينات قال قد جيتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم بالبينات بالمعجزات او بايات الانجيل والشرايع فان قلت
هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون
في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته
والسوال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر
دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم
اليم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى

فويل

فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير
فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جيتكم بالحكمة وهم
قومه المبعوث اليهم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم
لا يشعرون ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مودى قوله وهم لا يشعرون
فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون
لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تاتيهم
بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة من المتخالين في غير
ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة
الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل
الا المجتنبين اخلاق السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن معيط
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ والذين امنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه
منادى مضاف اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم
لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد
فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس
الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم
نضرة النعيم وقال الزجاج يكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير
للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعيم لانها اما مشتهاة
في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدا والجنة خبر والتي اورثتموها صفة
الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر
المبتدا او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلق بمحذوف
كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول يتعلق باورثتموها
وشبهت في بقايها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها
واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة
عريانة من ثمرها كما في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل
في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت
عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليايس الساكت سكوت ياس من فرج
وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا
لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم
فيها اي في النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون
وقرئ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول
القايل ❊ والغول يا مال غير ما تصف ❊ وقيل لابن عباس

ان ابن مسعود قرا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم
حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه
وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضي عليه
اذا اماته فوكزه موسي فقضي عليه والمعني سل ربك ان يقضي علينا فان
قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت
تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا
لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون
لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف
سنة وعن النبي صلي الله عليه وسلم يلقي علي اهل النار الجوع حتي يعدل
ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا
ربك لقد جيناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون لقد جيناكم بالحق كلام الله
عز وجل بدليل قراة من قرا لقد جيتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا
مالكا ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك كارهون لا يقبلونه وينفرون
عنه ويشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا مشركو مكة
امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون
في امور رسول الله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم بلي ورسلنا
لديهم يكتبون فان قلت ما المراد بالسر والنجوي قلت
السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوي ما تكلموا به
فيما بينهم بلي نسمع ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون
ذلك وعن يحيي بن معاذ الرازي من ستر للناس ذنوبه وابداها للذي
لا يخفي عليه شي في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات
النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه
وحجة واضحة تدلون بها فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم
الي طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام
وارد علي سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب
فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات
القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي
محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة
والعبادة في معني نفيهما علي ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول
العدلي للمجبري ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا
شديدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعني هذا الكلام
وما وضع اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن
ذلك وتقديسه ولكن علي طريق المبالغة فيه علي الوجه الذي ذكرنا
مع الدلالة علي سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة
القاطعة والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز
من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج
حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظي لو عرفت ان ذلك
اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا
الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوايد المستقل باثبات التوحيد
علي ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين

الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول الانفين من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد
وعابد وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن
ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووعد وروي ان النضر بن عبد
الدار بن قصي قال ان الملايكة بنات الله فنزلت فقال النضر بن عبد الدار
بن قصي الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة وما صدقك
ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له
وقري ولد بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما
يصفون ثم نزه نفسه موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش
عن اتخاذ الولد ليدل علي انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر علي
خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم
حتي يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل علي ان ما يقولونه من باب
الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلي الله عليه وسلم انهم
من المطبوع علي قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل
صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد
علي الشقاوة في العاقبة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو
الحكيم العليم ضمن اسمه تعالي معني وصف فلذلك علق به الظرف في قوله
في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب علي تضمين معني
الجواد الذي شهر به كانك قلت وهو جواد في طي جواد في تغلب وقري
هو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالي وهو الله
في السموات وفي الارض كانه ضمن معني المعبود او المالك او نحو
ذلك والراجع الي الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي
قايل لك شيا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان
ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف علي ان الجملة بيان
للصلة وان كونه في السماء علي سبيل الالهية والربوبية لا علي معني
الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون ترجعون بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة
وقري تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولا تملك الهتهم الذين يدعون
من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن
من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة
وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع
ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله
الملايكة وقري تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال ولين
سالتهم من خلقهم ليقولن الله فاني يوفكون وقيله يا رب ان هولاء
قوم لا يومنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف تعلمون وقيله قري
بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله علي ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجويهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج
علي محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر علي
لفظة الساعة والرفع علي الابتدا والخبر ما بعده وجوز عطفه

علي علم الساعة علي تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة
وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعني مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف اليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوي من ذلك
واوجه ان يكون الجر والنصب علي اضمار حرف القسم وحذفه والرفع علي
قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هولاء
قوم لا يومنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله
يا رب ان هولاء قوم لا يومنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا
عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف
تعلمون وعيد من الله وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله
عليه السلام واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه
اليه عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال
له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
الاية وهي سبع وخمسون وقيل تسع وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها
يفرق كل امر حكيم الواو في الكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف
او اسما للسورة مرفوعا علي خبر الابتدا المحذوف وواو العطف ان كانت
حم مقسما بها وقوله انا انزلنا جواب القسم والكتاب المبين القران
والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها
اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها
ليلة البراة والصك ان البندار اذا استوفي الخراج من اهله كتب لهم
البراة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المومنين البراة في هذه الليلة
وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة
فيها قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من صلي في هذه الليلة ماية
ركعة ارسل الله اليه ماية ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون
يومنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا
وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال النبي صلي الله
عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب
وحصول المغفرة قال صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي يغفر لجميع المسلمين
في تلك الليلة الا لكاهن او لساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين
او مصر علي الزني وما اعطي فيها رسول الله من تمام الشفاعة وذلك انه
سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال
ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع
الا من شرد علي الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد
فيها ما زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة
ليلة القدر لقوله تعالي انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله
فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر
في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معني انزال

القران في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السما السابعة
الي سما الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل
ينزله علي رسول الله صلي الله عليه وسلم نجوما نجوما فان قلت
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت
هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله
انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير
من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران
من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثير
الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم
ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفي به بركة ومعني
يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امرهم
منها الي الاخري القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في
ليلة البراة ويقع الفراغ في ليلة القدر فيدفع نسخة الارزاق
الي ميكايل ونسخة الحروب الي جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الاعمال الي اسماعيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الي ملك
الموت وعن بعضهم يعطي كل عامل بركات اعماله فيلقي علي السنة الخلق مدحه
وعلي قلوبهم هيبته وقري يفرق بالتشديد ويفرق كل علي بنائه للفاعل
وعلي نصب كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق
بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول علي ما تقتضيه الحكمة وهو
الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر علي الحقيقة ووصف الامر به
مجاز امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي
ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين بل هم في شك يلعبون امرا من عندنا
نصب علي الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة
وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا
وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي
ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معني الامر
والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشي وكتبه فقد امر به واوجبه
او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه
امرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما
يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق
قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك
مفعولا له علي معني انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب
الي عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من
من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله
وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر
الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة
الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته
عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا
مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي
الرحمة علي المربوبين وفي قراة زيد بن علي امر من عندنا علي هو امر وهي تنصر

انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمة من ربك على تلك الرحمة وهو
تنصر انتصابها بانه مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته
وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقري رب السموات وربكم ورب ابائكم
بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم
موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل
لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب
هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات
والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام
زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه ان بلغك حديثه وحدثت
بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان
اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط
بهزء ولعب فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم تاتي السماء
مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف
في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان
ياتي من السماء قبل يوم القيمة تدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس
الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول الآيات الدخان ودجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة
اما المومن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه
ودبره ويروى انه قيل لابن مسعود رضي الله عنه ان قاصا عند ابواب
كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم
علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء
لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان
الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه
وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا
فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم
والدخان والقمر والبطشة واللزام بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد
في انه دخان يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا
مومنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة الدخان
وهذا عذاب الى قوله مومنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون
منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مومنون موعدة بالايمان ان كشف
عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه
من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا
معلم مجنون وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من الدخان
وهو ما ظهر على رسول الله عليه السلام من الآيات والبينات من الكتاب
المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا
غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال

انا

١٠٥

انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما يكشف عنكم العذاب
تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال
فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل القيمة قوله
انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون
به من الكفار والمنافقين وعوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون
منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ولا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله
فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم
فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون
فهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرى نبطش
بضم الطاء وقرا الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى
يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد
الله اني لكم رسول امين وقرى ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لو قوعه على القوم ومعنى
الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي
واقترافهم الاثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليومنوا فاختاروا الكفر على الايمان
او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المومنين او كريم في نفسه لان الله
لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي ان هي المفسرة لان مجيء الرسول
من بعث اليهم متضمن بمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءه بان الشان والحديث ادوا الي وعباد
الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل
معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد
الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان بي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل
ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ايتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا
تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان
ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولاء قوم مجرمون
وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة
برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة
ان ترجمون ان تقتلوني وقرى عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل
على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من
الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تومنوا لي فلا موالاة بيني وبين
من لا يومن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوا لي كفافا
لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه
فلاحكم ذلك ان هولاء بان هولاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاوه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به
الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرى ان هولاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا
ربه فقال ان هولاء فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا
انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين فاسر بقطع الهمزة من اسرى ووصلها

من سري وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان
يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي
يعني فاسر ببني اسرايل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده
فينجي المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان انه الساكن قال
الاعشي ؞ يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ؞ ولا الصدور علي الاعجاز تتكل ؞
اي مشيا ساكنا علي هينة اراد موسي لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق
كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا علي هينته قارا علي حاله من انتصاب
الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيا ليدخله القبط
فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن
بعض العرب انه راي جملا فالجا ذا سنامين فقال سبحان الله رهو بين سنامين
اي اتركه مفتوحا علي حاله منفرجا انهم جند وقري بالفتح بمعني لانهم والمقام
الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح
من التنعم وبالكسر من الانعام وقري فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة
علي معني مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع
علي الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شي من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم
بنوا اسرايل كانوا مسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله علي ايديهم
واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل شريف قالت العرب في تعظيم
مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكت له الريح واظلمت له الشمس وفي
حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مومن مات في غربة غابت
بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير ؞ ؞ ؞
؞ تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ؞ وقالت الخارجية ؞
؞ ايا شجر الخابور مالك مورقا ؞ كانك لم تجزع علي ابن طريف ؞
وذلك علي سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك
ما يروي عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلي المومن واثاره في الارض
ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما
بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية بحال من يعظم
فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكت عليهم الملايكة
والمومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكي عليهم اهل السماء واهل
الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم ولم ينظروا الي اخر وقت اخرا
ولم يمهلوا الي الاخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب
المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم علي علم علي
العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين من فرعون بدل من العذاب
المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز
ان يكون المعني من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقري من عذاب
المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتي
يكون المهين هو فرعون وفي قراة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب
فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون علي هل تعرفونه من هو في عتوه
وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا
رفيع الطبقة من بينهم فايقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله
ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا
مسرفا والضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلي علم في موضع الحال
اي

اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعني
مع علم منا بانهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال علي العالمين
علي عالمي زمانهم وقيل علي الناس كلهم لكثرة الانبياء منهم من الايات
من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي وغير ذلك من الايات العظام
التي لم يظهرها الله علي غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالي يبلو
بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولي وما نحن بمنشرين
فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين هولاء اشارة الي كفار قريش فان قلت
كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولي
وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معني
قوله ان هي الا موتتنا الاولي وما معني ذكر الاولي كانهم وعدوا موتة
اخري حتي نفوها وجحدوها واثبتوا الاولي قلت معناه والله
الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم
موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولي يريدون ما الموتة التي
من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولي دون الموتة الثانية وما هذه
الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولي
خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله الا حيوتنا الدنيا في المعني يقال
انشر الله الموتي ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بابائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم
النشور من رسول الله صلي الله عليه وسلم والمومنين اي ان صدقتم فيما
تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا بسوالكم ربكم ذلك حتي يكون
دليلا علي ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتي حق وقيل كانوا
يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كبيرهم
ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشوون اهم خير ام قوم تبع والذين
من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هو تبع الحميري كان مومنا وقومه
كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير
الحيرة وبني سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذي ملك
برا وبحرا وعن النبي صلي الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا
وقيل نظر الي قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوي وقبر حبي
بنتي تبع لا تشركان بالله شيا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معني قوله اهم خير
ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة
كقوله تعالي اكفاركم خير من اوليكم بعد ذكر ال فرعون وفي تفسير ابن
عباس اهم اشد ام قوم تبع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون وما بينهما وما بين الجنسين وقرا
عبيد بن عمير وما بينهن ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولا
عن مولا شيا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم وقري
ميقاتهم بالنصب علي انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد
حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولي اي مولي كان من

قرابة او غيرها عن اي مولي كان شيا من اغناء اي قليلا منه ولاهم
ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعني كثير لتناول اللفظ علي الابهام
والشياع كل مولي من رحم الله في محل الرفع علي البدل من الواو في ينصرون
اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب علي الاستثناء انه
هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الي سواء الجحيم
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان
هذا ما كنتم به تمترون وقري ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات
شجرة بكسر الشين وفتحها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير
نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعري ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر
التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم
به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الاثام وعن
ابي الدرداء انه كان يقري رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر
يا هذا وبهذا يستدل علي ان ابدال الكلمة مكان كلمة جايز اذا كانت مودية
معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رحمه الله القراة بالفارسية علي شريطة وهو
ان يودي القاري المعاني علي كمالها من غير ان يخرم منها شيا قالوا وهذه الشريطة
تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز
بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل
باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية
فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروي علي بن الجعد عن ابي يوسف
عن ابي حنيفة رحمهم الله مثل قول صاحبيه في انكار القراة بالفارسية كالمهل
قري بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء
كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذايب الفضة والنحاس
والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقري بالتاء للشجرة وبالياء للطعام
والحميم الماء الحار الذي انتهي غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فاعتلوه
فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يوخذ بتلبيب الرجل فيجر الي حبس
او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقري بكسر التاء وضمها الي سواء
الجحيم الي وسطها ومعظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه
من الحميم كقوله يصب من فوق روسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه
قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان
صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله ❊
❊ صبت عليه ضروب الدهر من صبب ❊ وكقوله تعالي افرغ
علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب
يقال ذق انك انت العزيز الكريم علي سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز
ويتكرم علي قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا
بي شيا وقري انك بمعني لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قراه
به علي المنبر ان هذا العذاب وان هذا الامر هو ما كنتم تمترون اي تشكون
او تتمارون وتتلاجون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون
من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين
يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولي

ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه
بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون قري في مقام بالفتح
وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معني
العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة
فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كانما يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ
ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان
يكون عجميا لان معني التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن مناهجه واجرايه علي اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة علي الامر كذلك
او منصوب علي مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم وقري عكرمة بحور عين علي الاضافة
والمعني بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهولاء من
حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراة عبد الله بعيس عين والعيساء
البيضاء تعلوها حمرة وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله
لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولي
المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد
ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولي موضع
ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق
بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولي يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم
يذوقونها وقري ووقيهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا
يعني كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقري فضل اي
ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين
فانما يسرناه وسهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه
قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك
متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا
حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة اصبح مغفورا له ❊ ❊ ❊

❊ سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون اية ❊

بسم الله الرحمن الرحيم ❊

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها
وتصريف الرياح ايات لقوم يوقنون حم ان جعلتها اسما مبتدا مخبرا
عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل
الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل
الكتاب مبتدا والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون
علي ظاهره وان يكون المعني ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
فان قلت علام عطف وما يبث اعلي الخلق المضاف ام الضمير
المضاف اليه قلت بل علي المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل
مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا
ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد

وقري ايات لقوم يوقنون بالنصب والرفع علي قولك ان زيدا في
الدار وعمرا في السوق او عمر في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون
فمن العطف علي عاملين سوا نصبت اورفعت فالعاملان اذا نصبتهما
ان وفي اختلاف الواو مقامها فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار
والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتدا وفي عملت الرفع في ايات
والجر في اختلاف وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان
قلت العطف علي عاملين علي مذهب الاخفش سديد لا مقال
فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الاية عنده قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون علي اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها
وتعضده قرا ابن مسعود والثاني ان ينتصب ايات علي الاختصاص
بعد انقضاء المجرور معطوفا علي ما قبله او علي التكرير ورفعها باضمار هي
وقري واختلاف الليل والنهار بالرفع وقري اية وكذلك ما يبث من دابة
اية وقري وتصريف الريح والمعني ان المتصفين من العباد اذا نظروا
في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من
صانع فامنوا بالله واقروا واذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الي
حال وهيئة الي هيئة وفي خلق ما علي ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا
ايمانا وايقنوا وانتفي عنهم اللبس فاذا نظروا في ساير الحوادث التي تتجدد
في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة الارض بعد موتها
وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم
وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة الي الايات
المتقدمة اي تلك الايات ايات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة
عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معني الاشارة ونحوه هذا شيخا
وقري يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله
كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد
حديث الله وهو كتابه وقرانه كقوله نزل احسن الحديث وقري يومنون
بالياء والتاء ويل لكل افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف
الاثام يسمع ايات الله تتلي عليه ثم يصر يقبل علي كفره ويقيم عليه واصله
من اصرار الحمار علي العانة وهو يحني عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان
بالايات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل
نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل
بها الناس عن استماع القران والاية عامة فيمن كان مضارا لدين الله فان
قلت ما معني ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول
القايل يري غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة
بان ينجو رايها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام علي
مزاولتها فامر مستبعد فمعني ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها
وعاينها شي يستبعد في العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة
الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره
علي الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كان لم يسمعها كان مخففة
والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله ؀
كان ظبية تعطو الي ناضر السلم ؀ ومحل الجملة
النصب علي الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم واذا

علم من اياتنا شيا اتخذها هزوا اوليك لهم عذاب اليم واذا بلغه
شي من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار
بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله علي محمد صلي
الله عليه وسلم خاض في الاستهزا بجميع الايات ولم يقتصر علي الاستهزاء
بما بلغه ويحتمل واذا علم من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد
له محملا يتسلق به علي الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا
وذلك اعتراض النضر قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلي الله عليه وسلم وقوله خصمتك
ابن الزبعري وقري علم اوليك اشارة الي كل افاك اثيم لشموله الافاكين
من وراهم جهنم والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام
قال ؀ اليس وراي ان تراخت منيتي ؀ ادب مع الولدان ارجف كالنسر ؀
ومنه قوله عز وجل من وراهم اي من قدام ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال
في رحلهم ومتاجرهم شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء من الاوثان
ولهم عذاب عظيم هذا هدي هذا اشارة الي القران يدل عليه والذين
كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم لان ايات ربهم هي القران اي هذا
القران كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما
رجل والرجز اشد العذاب وقرا بجر اليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولتبتغوا
من فضله بالتجارة او بالغوص علي اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير
ذلك من منافع البحر وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان
في ذلك لايات لقوم يتفكرون فان قلت ما معني منه في قوله جميعا
منه وما موقعها من قلت هي واقعة موقع الحال والمعني انه سخر
هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتداء
قوله له ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض
مبتداء ومنه خبره وقرا ابن عباس منة وقرا سلمة بن محارب منه
علي ان يكون منه فاعل سخر علي الاسناد المجازي او علي انه خبر مبتدا محذوف
اي ذلك او هو منه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لان الجواب
دل عليه والمعني قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقايع الله باعدائه من قولهم لوقايع العرب ايام العرب وقيل لا ياملون
الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم الفوز فيها قيل
نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي الله عنه
وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد ابن المسيب كنا
بين يدي عمر بن الخطاب فقرا قاري هذه الاية فقال عمر ليجزي عمر بما
صنع ليجزي قوما تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراد
الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة فان قلت قوله قوما
ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم
وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضايهم
علي اذي اعدايهم من الكفار وعلي ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا
يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعني قول

قوله لرسول الله
عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله و
صلى الله عليه وسلم عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لاترى الغضب
في وجهي و قري ليجزي قوما اي الله عز وجل وليجزي قوم وليجزي قوما على معنى
وليجزي الجزاء قوما من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى
ربكم ترجعون ولقد اتينا [redacted] الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه بني اسرائيل
او فصل الحكومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من
الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين
حيث لم نوت غيرهم مثل ما اتيناهم واتيناهم بينات ايات ومعجزات
من الامر من امر الدين فما اختلفوا فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد
ما جاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو بغيا بينهم وانما اختلفوا لبغي
حدث بينهم اي العداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة على طريقة ومنهاج من
الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلايل والحجج ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم
المبني على هوى وبدعة وهم روسا قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك
ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله
وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القران بصاير للناس
جعل ما فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة البصاير في القلوب كما جعل
روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون
لمن امن وايقن وقري هذه بصاير اي هذه الايات ام حسب الذين
اجترحوا السيات اي منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان
نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ان
نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير
والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة
وقعت مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء
محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرا
سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على
الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم
ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم ومماتهم
والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق
احوالهم احياء حيث عاش هولاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب
المعاصي ومماتا حيث مات هولاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب
الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد
لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان
المسيئين والمحسنين مستو محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى
ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت
على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري انه كان يصلي ذات ليلة
عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون
وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت
شعري من اي الفريقين انت وخلق الله السموات والارض بالحق

ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزي معطوف على بالحق
لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق السموات
والارض ليدل بها على قدرته ولتجزي كل نفس افرايت من اتخذ الهه
هواه اي هو مطواع لهوى النفس تتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد
الرجل الهه وقري الهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى
ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا
منها واضله الله وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان
ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته
بانواع الالطاف المحصلة والمقربة وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد اضلال الله افلا تذكرون وقري غشاوة
بالحركات الثلاث وغشوة بالفتح والكسر وقري تتذكرون وقالوا ما هي
الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من
علم ان هم الا يظنون نموت ونحيا نموت نحن ويحيى اولادنا او يموت
بعض ويحيى بعض او نكون امواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك
او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت
بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقري نحيا بضم النون وقري الا دهر
يمر وما تقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان
مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت
وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر
والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي
بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان
قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين وقري حجتهم بالنصب والرفع
على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس
بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها
فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه
في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا
ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة قل الله يحييكم ثم يميتكم
ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ايتوا بابائنا
ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا
ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل
هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب
الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة
ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بابائهم وكان اهون
شي عليه ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر
المبطلون عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم
وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب وقري جاذية والجذو
اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه
وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي
الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم قري كل امة تدعى

علي الابتدا وكل امة علي الابدال من كل امة الي كتابها الي صحايف اعمالها
فاكتفي باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فتري المجرمين مشفقين مما فيه
اليوم تجزون ما كنتم تعملون فان قلت كيف
اضيف الكتاب اليهم والي الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة
وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما
ملابسته اياه فلانه مالكه والامر ملايكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده
هذا كتابنا ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ الملايكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين
في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال
لهم افلم تكن اياتي تتلي عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين والمعني
الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلي عليكم فحذف المعطوف عليه واذا قيل
ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان
نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقري والساعة بالنصب عطفا علي
الوعد وبالرفع عطفا علي محل ان واسمها ما الساعة اي شي الساعة
فان قلت ما معني ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه
اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه
وزيد نفي ما سوي الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيات ما عملوا اي قبايح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيات كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم
نترككم في العذاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا
وهي الطاعة او بجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم
بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشي الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت
ما معني اضافة اللقا الي اليوم قلت كمعني اضافة المكر في قوله بل
مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وماويكم
النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم
الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون وقري
لا يخرجون بفتح اليا ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اي يرضوه فلله الحمد رب السموات والارض رب العالمين
اي فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض
والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثنا علي كل
مربوب وله الكبريا في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وكبروه
فقد ظهرت اثار كبريايه وعظمته في السموات والارض وحق مثله
ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية
ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا متلبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير
اجل مسمي تنتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا والذين
كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذي لابد لكل خلق من انتهائه

اليه معرضون لا يومنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون
ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قل ارايتم ما تدعون من دون الله
اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من
قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان هذا الكتاب ناطق
بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق
بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من
عبادة غير الله او اثارة من علم ان كنتم صادقين او بقية من علم بقيت
عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة علي اثارة من شحم اي علي بقية
شحم كانت بها من شحم ذاهب وقري اثرة اي من شي اوثرتم به وخصصتم
من علم الاحاطة به لغيركم وقري اثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء
والاثرة بالكسر بمعني الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه
والاثرة بالضم فاسم ما يوثر كالخطبة ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا من
دون الله من لا يستجيب له الي يوم القيمة وهم عن دعايهم غافلون واذا
حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومن اضل معني الاستفهام
فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون
دعاء السميع المجيب القادر علي تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دون
الله جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به علي استجابة احد منهم ما دامت الدنيا
والي ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا علي نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة
وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند
الي اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا
وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان
فغلب غير الاوثان عليها وقري ما لا يستجيب وقري يدعو غير الله من لا يستجيب
ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه
قوله تعالي ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم
القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلي عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق
لما جاءهم هذا سحر مبين بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات
مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين امنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق
ولاجل الذين امنوا والمراد بالحق الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع
الظاهران موضع المضمرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي
بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة
نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة
فيه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الي ذكر
قولهم ان محمدا افتريه ومعني الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع
هذا واسمع قولهم المستنكر المقتضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر
عليه حتي يقوله ويفتريه علي الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت
قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله
له والحكيم لا يصدق الكاذب ولا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به
الايات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا قل ان افتريته علي
سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافترا عليه فلا تقدرون
علي كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شي من عقابه عني فكيف افتريه

واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم
ومثله فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله
فتنته فلن تملك له من الله شيا، ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي
تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا
تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ
ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء
افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر
وتابوا وامنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت
ما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم
به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العذاب وارادة الخير بهم فكانه
قيل لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى
عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافترا،
عليه قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف
وقرى بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم
دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الايات ويسالونه عما لم يوح اليه
به من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فاتيكم بكل ما تقترحونه
واخبركم بكل ما تسالون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما
اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام
عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادرى لانه
لا علم لي بالغيب ما يفعل بي ولا بكم ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من
الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وما
انا الا نذير مبين وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا
ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من
اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ءاترك
بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات
نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال هي منسوخة
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا
للدراية المفصلة وقرى ما يفعل بفتح اليا اي يفعل الله عز وجل فان
قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم
قلت اجل ولكن النفي فيما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله
ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت البا، في حيز
ان ذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان
تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرى يوحي اي
الله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم جواب الشرط محذوف تقديره
ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف
قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله
ابن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى
وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر
وقال له اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة

وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال
صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق
الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد
فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك
رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي
قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجات اليهود فقال لهم النبي صلى الله
وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول
الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن
سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقران
اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني
القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى
وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت
اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت
الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم
على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان
من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات
واقبلت عليك واعرضت لم تتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما
على مثلهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله
مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به
مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل
الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله
انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر
وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه للذين
امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون
الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود رضي الله عنهم فلو كان ما جاء
به خيرا ما سبقونا اليه هولاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة
واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع ان كان خيرا
ما سبقونا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها
حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش
يقولون لو كان ما يدعونا اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل
كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم فان قلت لا بد من عامل في الظرف

في قوله اذ لم يهتدوا به من متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون
فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه
هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف
من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ لان وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر
عنادهم فسيقولون هذا افك قديم وهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب
به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضماره ان قوله حتي
يقول الرسول لمصادفة حتي مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم
كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسي اماما ورحمة كتاب موسي
مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما علي الحال
كقولك في الدار زيد قايما وقري ومن قبله كتاب موسي علي واتينا
الذي قبله التوراة ومعني اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرايعه
كما يؤتم بالامام ورحمة لمن امن به وعمل بما فيه وهذا القران كتاب مصدق
لكتاب موسي او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقري مصدق لما
بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه
مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه
معني الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان
عربي وهو الرسول لينذر الذين ظلموا وبشري للمحسنين وقري لتنذر
بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشري في محل النصب
معطوف علي محل لينذر لانه مفعول له ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اوليك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها قري حسنا بضم الحاء وبسكون السين
وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان
في معني المشقة كالفقر والفقر وانتصابه علي الحال اي ذات كره او علي
انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله
ثلاثون شهرا وهذا دليل علي ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة
الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقري وفصله والفصل والفصال
كالفطم والفطام بناء ومعني فان قلت المراد بيان مدة
الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان
الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي
المدة بالامد من قال

كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهي امده

وفيه فايدة وهي الدلالة علي الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته
حتي اذا بلغ اشده واستوي وقري حتي اذا استوي وبلغ اشده وبلوغ
الاشد ان يكتمل ويستوي في السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه
وذلك اذا اناف علي ثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث
وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته
الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلي والدي وان
اعمل صالحا ترضاه والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة

التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلي والديه لان النعمة
عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت
ما معني في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل
ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي
واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك واني من
المسلمين من المخلصين اوليك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز
عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
وقري يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقريا بالنون
فان قلت ما معني قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك
اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني
في عدادهم ومحله النصب علي الحال علي معني كاينين في اصحاب الجنة
ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز
وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل
لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه
وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه مبتدا خبره اوليك الذين
حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القايل ذلك القول ولذلك وقع
الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت
في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان
الي الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو
وهما من اجداده حتي اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد
بالذي قال جنس القايلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم
اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن
عايشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الي مروان
ان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون
لابنايكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال
لوالديه اف لكما فسمعت عايشة فغضبت وقالت ما هذه ولو شيت
ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض
من لعنة الله اف لكما وقري اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر
كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما
خاصة ولاجلكما دون غيركما وقري اتعدانني بنونين واتعداني باحدهما واتعدانني
بالادغام وقد قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع
النونين والكسرتين والياء ففتح الاولي تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم
ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقري اخرج
وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان
الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله
ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اوليك
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم
كانوا خاسرين ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض علي

الايمان لاحقيقة الهلاك في امم نحو قوله في اصحاب وقري ان بالفتح
علي معني امن بان وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات
مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا منهما فان قلت كيف
قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت
يجوز ان يقال ذلك علي وجه التغليب لاشتمال كل علي الفريقين
وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وقري بالنون تعليل معلله محذوف
لدلالة الكلام عليه كانه قيل ولنوفيهم اعمالهم ولا نظلمهم حقوقهم قدر
جزاءهم علي مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات
ويوم يعرض الذين كفروا علي النار ناصب الظرف هو القول المضمر
قيل اذهبتم وعرضهم علي النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان
علي السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالي النار يعرضون عليها ويجوز ان
يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة علي الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف
لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها اي ما كتب
لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه
فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شي منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت
لدعوت بصلايق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رايت الله تعالي
نعي علي قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وعنه لو
شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي
وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه دخل علي اهل الصفة وهم
يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير
ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخري ويغدي عليه بجفنة
ويراح عليه باخري ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ
خير قال بل انتم اليوم خير وقري اذهبتم بهمزة الاستفهام وااذهبتم
بالف بين همزتين فاليوم تجزون عذاب الهون الهون الهوان وقري
عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
وقري تفسقون بضم السين وكسرها واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشي اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين
علي البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة
وقد خلت النذر والنذر جمع نذير بمعني المنذر والانذار من
بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقري من بين يديه ومن بعده
ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعني ان
هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني
الرسل الذين بعثوا في زمانه ومعني من خلفه علي هذا التفسير ومن
بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك
ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا
بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعني واذكر انذار هود
قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل

قبله والذين بعثوا

الرسل

الرسل ومن تاخر مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا لتافكنا الافك
الصرف يقال افكه عن رايه عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من معاجلة العذاب علي الشرك ان كنت من الصادقين ان كنت
صادقا في وعدك قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به
اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون فان قلت من اين طابق قوله
انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا قلت من حيث ان
قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا تري الي قوله بل هو ما استعجلتم
به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا
انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان ياتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه
انتم ومعني وابلغكم ما ارسلت وقري بالتخفيف ان الذي هو شاني
وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والتصريف عما
يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل
لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين عما اذن لهم فيه فلما راوه
في الضمير وجهان ان يرجع الي ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله
عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح مستقبل اوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا والعارض السحاب الذي يعرض في افق من
السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة مستقبل
وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الي معرفتين
وصفا للنكرة بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي
بامر ربها بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه
قراءة من قرا قال هود بل هو وقري ما استعجلتم به هو ريح اي قال الله قل
تدمر كل شي تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية
وقري يدمر كل شي من دمر دمارا اذا هلك فاصبحوا لا تري الا مساكنهم
كذلك نجزي القوم المجرمين لا تري الخطاب للرائي من كان وقري لا تري
علي البناء للمفعول بالياء وبالتاء وتاويل القراءة بالتاء وعن الحسن لا تري
بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة فما بقيت الا الضلوع
الجراشع وليست بالقوية وقري لا يري الا مساكنهم ولا يري الا مسكنهم
روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتي تري
كانها جرادة وقيل اول ما ابصروا العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا
فيها كشهب النار وروي انه اول ما عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان
في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض
فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم
وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين
ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه
السلام لما احس بالريح خط علي نفسه وعلي المومنين خطا الي جنب عين
تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم
من الريح الا ما يلين علي الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلي الله عليه وسلم
انه كان اذا راي الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت
به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راي مخيلة قام وقعد
وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني

اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت
ما فائدة اضافة الرب الي الريح قلت الدلالة علي ان الريح وتصريف
اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده
وذكر الامور وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة
فما اغني عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ان نافية اي فيما مكناكم
فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع
ومثله متجنب الا تري ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف
هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله ** لعمرك ما ما بان منك لضارب **
وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش ** **
** يرجي المرء ما ان لا يراه ** ويعرض دون ادناه الخطوب **
وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه
غير اية في القران هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وهو
ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث علي الاعتبار من شيء اي من شيء من الاغناء وهو
القليل منه فان قلت بم انتصب اذ كانوا يجحدون قلت
بقوله فما اغني فان قلت لم جري مجري التعليل قلت
لاستواء مؤدي التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته
اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود
اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القري من نحو حجر ثمود وقرية
سدوم وغيرهما والمراد اهل القري ولذلك قال وصرفنا الايات
لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة القربان ما تقرب به الي الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الي الله
حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع
الي الذين المحذوف والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا
مفعولا ثانيا والهة بدل منه لفساد المعني وقري قربانا بضم الراء
والمعني فهلا منعهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا عنهم اي غابوا عن
نصرهم وذلك اشارة الي امتناع نصرة الهتهم لهم وضلالهم عنهم
اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وما كانوا يفترون
وثمرة شركهم وافترائهم علي الله الكذب من كونه ذا شركاء وقري
افكهم والافك كالحذر والحذر وقري وذلك افكهم اي وذلك
الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقري افكهم علي التشديد
للمبالغة وافكهم جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك ذو الافك كما تقول
قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون
من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران صرفنا
اليك نفرا املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقري صرفنا بالتشديد
لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر
رضي الله عنه لو كان هاهنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير
للقران اي فلما كان بمسمع منهم او لرسول الله ويعضده قراءة من قرا
فلما قضي اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض انصتوا

٩٦ اي اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له فلما قضي ولوا
الي قومهم منذرين روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء
ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من
اشراف جن نصيبين او نينوي منهم زوبعة فضربوا حتي بلغوا تهامة ثم اندفعوا
الي وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قائم في جوف
الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف
حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الي طلبته واغروا به سفهاء ثقيف
وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الجن ولا راهم
وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانباه
الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرا عليهم
فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرا علي الجن الليلة فمن
يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة
الجن احد غيري فانطلقنا حتي اذا كنا باعلي مكة في شعب الحجون فخط لي خطا
وقال لا تخرج منه حتي اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا
حتي خفت علي رسول الله عليه السلام وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني
وبينه حتي ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري
ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي
قراها عليهم اقرا باسم ربك قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسي مصدقا لما بين يديه يهدي الي الحق والي طريق مستقيم فان
قلت كيف قالوا من بعد موسي قلت عن عطاء انهم كانوا
علي اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسي ولذلك قالت
من بعد موسي يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا
يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله تعالي ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس
قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم
من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة رحمه الله والصحيح انهم في حكم
بني ادم لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين فليس بمعجز في الارض
اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وانا ظننا ان لن
نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر علي ان يحيي الموتي
بلي انه علي كل شيء قدير بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة
عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية علي ان وما
في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل
اليس الله بقادر الا تري الي وقوع بلي مقررة للقدرة علي كل شيء من
البعث وغيره لا لرؤيتهم وقري يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف
وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول ويوم يعرض الذين كفروا علي النار
اليس هذا بالحق قالوا بلي وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف

وهذا اشارة الي العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعني
التهكم بهم والتوبيخ لهم علي استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما
نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا العزم
اولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولي
العزم بعض الانبياء وقيل هم نوح صبر علي اذي قومه كانوا يضربونه
حتي يغشي عليه وابراهيم علي النار وذبح ولده واسحق علي الذبح ويعقوب
علي فقد ولده وذهاب بصره ويوسف علي الجب والسجن وايوب علي الضر
وموسي قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكي
علي خطيئته اربعين سنة وعيسي لم يضع لبنة علي لبنة قال انها معبر
فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالي في ادم ولم نجد له عزما وفي
يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم
صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي
لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وانهم مستقصرون حينئذ
مدة لبثهم في الدنيا حتي يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي
هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسل فهل
يهلك الا القوم الفاسقون فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ والعمل
بمواجبه وتدل علي معني التبليغ قراءة من قرا بلغ فهل يهلك وقري بلاغا
اي بلغوا بلاغا وقري يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك
ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة القتال مدنية وهي تسع وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول
في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن
الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا
من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل
من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضايعة
ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة
لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم
مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه
مكارم من صلة الارحام وفك الاساري وقري الاضياف وحفظ الجوار
وقيل ابطال ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بان
نصره عليهم واظهر دينه علي الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات
قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا
اهل الكتاب وقيل عام وقوله وامنوا بما نزل علي محمد اختصاص
للايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد
ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل
معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقري
نزل وانزل علي البناء للمفعول ونزل علي البناء للفاعل ونزل بالتخفيف

كفر عنهم

٦٥

كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي
لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين
وبالتسليط علي الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب
الله للناس امثالهم ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال
اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كان بسبب اتباع هولاء الباطل وهولاء
الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون
محل الجار والمجرور منصوبا علي هذا ومرفوعا علي الاول والباطل ما لا
ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام تسميه علماء البيان
التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع
الي الناس او الي المذكورين من الفريقين علي معني انه يضرب امثالهم لاجل
الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت
في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المومنين
او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز
المومنين فاذا لقيتم الذين كفروا لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه
مضافا الي المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معني التوكيد لانك تذكر
المصدر وتدل علي الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن
القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء
وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته
وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب
رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا
في قوله بما كسبت ايديكم علي ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس
في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز الرقبة واطارة
العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاده في هذه
الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتي اذا
اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او
اثقلتموه بالقتل والجراح حتي اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق
فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما
فداء منا وفداء منصوبان بفعلهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما
تفدون فداء والمعني التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم
وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اساري المشركين قلت
اما عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم
ايهما راي الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم
بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب
العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن
عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادي باسارهم
اساري المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة رحمه الله
والمشهور لا يري فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين
واما الشافعي رحمه الله فيقول للامام ان يختار احد اربعة علي حسب
ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفدي باساري

المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عروة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادي رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقري فدا بالقصر مع فتح الفا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشي ؛ واعددت للحرب اوزارها ؛ رماحا طوالا وخيلا ذكورا ؛ وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها وكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها مكانها وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا يخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفدا فالمعنى على كلي المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم تبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حتى لا تبقي للمشركين شوكة واذا علق بالمن والفدا فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفدا بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض ليبلو المومنين بالكافرين ان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل الله قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقري فلن يضل اعمالهم وتضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شي اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرايحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفروزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم نقيض لعا له قال الاعشي ؛ فالتعس اولى لها من ان اقول لعا ؛ يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت عن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار ذلكم بانهم كرهوا ما انزل الله كرهوا القران وما انزل الله فيه من

التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم دمره الله اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله سنة الله في الذين خلوا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وليهم وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم وفي قراة ابن مسعود ولي الذين امنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم احد وقد فشت عليهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى ثم ردوا الى الله موليهم الحق مناقضة لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المومنين خاصة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلايل وياكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم وقري كاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا يبصرون افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم من زين لهم هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القران المعجز وساير المعجزات هو رسول الله وقري امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله كانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فايدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة

تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه
بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين
النار التي يسقي اهلها الحميم ونظيره قول القايل

افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا

هذا كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف
الانكار لانطوايه تحت حكم قول من قال اتفرح بموت اخيك وبوراثة
ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به
فكانه قال نعم مثلي يفرح بمرزية الكرام وبان يستبدل منهم ذودا
يقل طايله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة
للجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد في النار وقوله
فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك
التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار وكان
قايلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة
فيها انهار وفي قراة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات
النار وقرى اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه
وانشد ليزيد بن معوية

لقد سبقتني رضابا غير ذي اسن
كالمسك فت على ماء العناقيد

من لبن لم يتغير
طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره
من الطعوم لذة تانيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ
بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب
على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص
ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا افة من افات الخمر
مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت
فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا
هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا
خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة
الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا
ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس
انا منهم وقد سميت فيمن سئل انفا وقرى انفا على فعل نصب
على الظرف وقال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته والمعنى
ماذا قال في اول وقت يقرب منا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم الله هدى بالتوفيق
واتاهم تقويهم اعانهم عليها او اتاهم جزاء تقويهم وعن
السدي بين لهم ما يتقون وقرى واعطاهم وقيل الضمير في زادهم
لقول رسول الله او لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون الا الساعة ان
تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ان تاتيهم
بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطؤهم من قوله رجال مومنون ونساء
مومنات وقرى ان تاتيهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط

وهو

وهو في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت فما جزاء الشرط قلت
قوله فانى لهم ومعناه ان تاتيهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم
واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يوم
يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء
اشراطها على القرائتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول
كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات
قال ابو الاسود

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا
فقد جعلت اشراط اوله تبدو

وقيل
مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم منها وانشقاق القمر
والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرى بغتة بوزن جربة وهي غريبة
لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون
غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من
غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات لما ذكر حال المومنين وحال الكافرين
قال اذا علمت الامر كما ذكر من سعادة هولاء وشقاوة هولاء فاثبت
على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس
باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم
ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او
متقلبكم في حيوتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم
من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى ويستغفر ويسترحم
وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تعلم قوله حين
بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم
وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة
وقال اعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد ويقول
الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر
فيها القتال كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون
لولا انزلت سورة في معنى الجهاد واذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا
عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها
الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي
اشد القران على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها
من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ
الى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها
النسخ ثم تنسخ بعدها او تبقى غير منسوخة وفي قراة عبد الله سورة
محدثة قرى فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل
ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض الذين كانوا على حرف
غير ثابتي الاقدام ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي
تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند
الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل وهو افعل من الولي وهو القرب
ومعناه الدعاء بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف

اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا
طاعة وقول معروف بمعني امرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراة ابي
يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد والعزم والجد
لاصحاب الامر وانما يسندان الي الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالي ان ذلك
من عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص علي الجهاد او فلو صدقوا
في ايمانهم وواطات قلوبهم فيه السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم عسيت وعسيتم
لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسي ان تفعل وعسي ان تفعلوا
ولا يلحقون الضمائر وقرا نافع بكسر السين عزيب ونقل الكلام من الغيبة
الي الخطاب علي طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت
ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع
منكم الافساد فان قلت كيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو
عالم بما كان وبما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان
يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولاء
ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين
لكم من الشواهد ولاح من المخائل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا علي الملك وتهالكا علي الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين
رسول الله وسنته ان ترجعوا الي ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد
في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب
بعضا ووأد البنات وقري وليتم وفي قراة علي رضي الله عنه توليتم اي
ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم
وقري وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اوليك اشارة الي
المذكورين الذين لعنهم الله فاصمهم واعمي ابصارهم لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتي صموا عن استماع الموعظة
وعموا عن ابصار طريق الهدي ويجوز ان يريد بالذين امنوا المومنين
الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الي الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت
سورة في معني الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا
يتدبرون القران ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد
العصاة حتي لا يجسروا علي المعاصي ثم قال ام علي قلوب اقفالها وام
بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل
اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القران زاجرا عن معصية
الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم نكرت
القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه
وجهان ان يراد علي قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد علي بعض
القلوب وهو قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد
الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفرة التي استغلقت ولا تنفتح
وقري اقفالها علي المصدر ان الذين ارتدوا علي ادبارهم من بعد
ما تبين لهم الهدي الشيطان سول لهم الشيطان سول لهم جملة
من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم
سهل لهم ركوب العظايم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من
السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملي لهم ومد لهم

في الامال والاماني وقري واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم
كقوله انما نملي لهم وقري واملي لهم علي البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم
وقري سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم علي تقدير حذف المضاف
فان قلت من هولاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلي الله عليه وسلم
من بعد ما تبين لهم الهدي وهو نعته في التورية وقيل هم المنافقون
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر
الذين قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون
وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لين اخرجتم لنخرجن
معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلي الله عليه وسلم
او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين
المشركين سنطيعكم في التضافر علي عداوة رسول الله والقعود عن
الجهاد معه ومعني في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض الامر
الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم وقري اسرارهم علي المصدر قالوا ذلك
سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف اذا توفتهم الملايكة يضربون
وجوههم وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينيذ وقري توفاهم
ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدي تائيه كقوله
الذين توفاهم الملايكة وعن ابن عباس لا يتوفي احد علي معصية الا بضرب
من الملايكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الي التوفي الموصوف بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم ورضوانه الايمان برسول الله ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها
لرسول الله وللمومنين واظهارهم علي نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت
صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك
عليهم حتي تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم
وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي
بعد هذه الاية علي رسول الله صلي الله عليه وسلم شي من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من
المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلي جبهة كل
واحد منهم منافق ولتعرفنهم في لحن القول فان قلت اي
فرق بين اللامين في فلتعرفنهم ولتعرفنهم قلت الاولي هي
الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام
في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول
في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من
الثواب ولا يقولون ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن
بكلامك اي تميله الي نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض
والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذووا الالباب
وقيل للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم
ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
ما يحكي عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان
الخبر علي حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقري
بيعقوب ونبلو بسكون الواو علي معني ونحن نبلوا اخباركم وقرا

وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قراها
بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا
وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم
التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة
وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها
في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون
بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤسا قريش
والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاسلام
ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون
الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن
عمر كنا نرى انه ليس شي من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا
اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش
حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا
عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها
وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل
لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالريا والسمعة وعنه
بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل الحسنات كما
تاكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا
فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما
المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم
وعن قتادة ولا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة
وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا
الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب
لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن
يتركم اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم
او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه
اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام
ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسالكم اموالكم
اي ولا يسالكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان
يسالكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفا المبالغة وبلوغ
الغاية في كل شي يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيئا من الالحاح
واحفى شاربه استاصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون
على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم

لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب
اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء
والتاء مع فتحها ودفع اضغانكم ها انتم هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته
تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون
ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في
سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل
على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع
العشر فمنكم من يبخل فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل فانما يبخل
عن نفسه ومن يبخل فانما يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر
بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه
والله الغني وانتم الفقراء ثم اخبر عنه انه لا يامر بذلك ولا يدعوا اليه
لحاجته اليه فهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم
الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما
غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين
في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل
هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم
وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه
من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا
هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام
الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه
في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك
من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى فان قلت
كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن
لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل ويجوز ان
يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح
الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر
به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم
يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن
عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حين سالوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا
وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها
وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد

صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال بئس الكلام هذا
بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي
نزلت بالحديبية واصاب رسول الله في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة
اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وظهرت
الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح
الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماوها حتى لم تبق فيها قطرة فتمضمض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع
من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماوها بعد
وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف لا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح
كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه
قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل
لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وعن قتادة ما تقدم من
ذنبك وما تاخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية
وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد
نصرا عزيزا فيه عزة ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا
صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمانينة
بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة
عن القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به
محمد عليه السلام من الشرايع ليزدادوا ايمانا بالشرايع مقرونا الى ايمانهم وهو
التوحيد وعن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم
التوحيد فلما امنوا بالله وحده انزل الصلاة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا
باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيه الرحمة ليتراحموا فيزداد
ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ولله جنود السموات
والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته
ان سكن قلوب المومنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى
ذلك ليعرف المومنين نعمة الله ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم
ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء
عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل
في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها
فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمومنين
ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دايرة السوء اي
ما يظنونه ويتربصونه بالمومنين فهو حايق بهم ودايرا عليهم والسوء الهلاك
والدمار وقري دايرة السوء بالفتح اي الدايرة التي يذمونها ويسخطونها
فهي عندهم دايرة سوء وعند المومنين دايرة صدق فان قلت

هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف
والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء
واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به الخير ولذلك
اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدايرة محمودة وكان حقها ان لا
تضاف اليه الا على التاويل الذي ذكرنا واما دايرة السوء بالضم فلان الذي
اصابهم مكروه وشر فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا ارسلناك شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم
شهيدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله ليومنوا الضمير للناس
ويعزروه ويقووه بالنصرة ويوقروه ويعظموه ويسبحوه من التسبيح
او من السبحة والضماير لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله
ومن فرق الضماير فقد ابعد وقري لتومنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء
والخطاب لرسول الله ولامته وقري وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعززوه
بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
ويسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا
تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله
التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن
صفات الاجسام انما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله
من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة
الرضوان فمن نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه
قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان
لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبى تحت
ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقري انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه
وقري ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسنوتيه بالنون
والياء ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيوتيه اجرا عظيما يقال وفيت
بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامية ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون
بعهدهم سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا
فاستغفر لنا هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب
واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد
حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره
بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة
واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقري
شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم
وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم
الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن
يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ان اراد بكم ما يضركم
من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا ظفر وغنيمة بل كان الله بما تعملون خبيرا

وقري ضرا بالفتح والضم بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون
الي اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما
بورا الاهلون جمع اهل وبقيا الاهلات على تقدير ياء التانيث كارض وارضات
وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقري الي اهلهم وزين على
البنا للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جاء في القران وزين لهم
الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى
ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ويجوز ان يكون جمع بائر
كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم
لاخير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يومن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين يقام مقام
لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر
سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض
يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيغفر ويعذب
بمشيئته تابعة الحكمة وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان
الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب
الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية
اذا انطلقتم الي مغانم الي مغانم حنين لتاخذوها ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله وقري كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل
الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم حنين اذا قفلوا
موادعين لا يصيبون منهم شيا وقيل هو قوله تعالي لن تخرجوا معي
ابدا قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا
ان نصيب معكم من الغنائم قري بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون
لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله
تعالي ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب
قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات للحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الي المومنين
الي وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب
الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الي قوم اولي باس شديد
يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام
او السيف عند ابي حنيفة رحمه الله ومن عداهم من مشركي العجم والعرب
واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي رحمه الله لا تقبل
الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا
دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الي حرب في ايام رسول
الله ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله تعالي فقل
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم
تقاتلونهم او يسلمون ومعني يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس
مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن
وكان ذلك في ايام رسول الله عليه السلام قلت ان صح ذلك فالمعنى
لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب
في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله



الا المطوعين لا نصيب في المغنم فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا
وان تتولوا كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية يعذبكم عذابا
اليما او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعني الي ان يسلموا
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا
اليما نفي الحرج عن هولاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزوة
وقري ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي
الي اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه
ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة
عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان
بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل
فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله واحتبس عندهم فارجف
بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز
القوم ودعا الناس الي البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة
قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من
اغصانها فقال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن
من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره وبايعوه على الموت دونه
وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير
اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسماية وخمسة وعشرين
وقيل الفا واربعماية وقيل الفا وثلثماية فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اي
الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا
وقري واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن
فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها
هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم
اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق
وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهو ما يفي
على المومنين الي يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد
وغطفان حين جاوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا
وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة اية للمومنين
وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم
وقيل راي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه
ورويا الانبياء وحي فتاخر ذلك الي السنة القابلة فجعل فتح خيبر
علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة
ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه

المغانم ومغانم اخري لم تقدروا وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال
لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها
واستولي واظهركم عليها واغنمكموها ويجوز في اخري النصب بفعل
مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضي الله اخري قد احاط الله
بها واما لم تقدروا عليها فصفة الاخري والرفع علي الابتداء لكونه موصوفة
بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب فان قلت
قوله ولتكون اية للمومنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض
ومعناه ولتكون الكفة اية للمومنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعني
وعدكم المغانم فجعل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية
للمومنين اذا وجدوا وعد الله صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب
اية ومعجزة ويزيدكم بذلك هداية وايقانا وكان الله علي كل شي قديرا
ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من خلفاء اهل خيبر
لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله
التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة الله في موضع
المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن
انا ورسلي وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد
ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ايديهم ايدي اهل مكة اي
قضي بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة
وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله علي ان مكة فتحت
عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة
بن ابي جهل خرج في خمسماية فبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم
من هزمه وادخله في حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اظهر الله عليهم المسلمين بالحجارة حتي ادخلوهم البيوت وقري بما يعملون
بالتاء والياء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي وقري
والهدْي والهديّ بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدي الي الكعبة
بالنصب عطفا علي الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا
الهدي وبالجر عطفا علي المسجد الحرام بمعني وصدوكم عن نحر الهدي
معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ محله وبالرفع علي وصد
الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة
رحمه الله علي ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت كيف حل
رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية
قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله
صلي الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت
فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت
المراد المحل المعهود وهو مني ولولا رجال مومنون ونساء مومنات
لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطوهم بدل اشتمال منهم او من
الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة مفعلة
من عره بمعني عراه اي دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق
بان تطوهم يعني ان تطاوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس
عبارة عن الايقاع والابادة قال
ووطئتنا وطأ علي حنق ** وطء المقيد نابت الهرم

وقال

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وان اخر وطاة وطاها الله بوج
والمعني انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين من
منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مومنين بين
ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة
لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ليدخل الله
في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ويجوز
ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مومنون لمرجعهما الي معني واحد ويكون
لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون
قلت وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل
دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جري منهم بعض التقصير
فان قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت
لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم
صونا لمن بين اظهرهم من المومنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل
الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مومنيهم او ليدخل في الاسلام
من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله
وقري لو تزايلوا اذ يجوز ان يعمل اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فانزل الله سكينته علي رسوله وعلي المومنين والزمهم كلمة
التقوي وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شي عليما اذ يجوز ان
يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت
وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المومنين
والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روي ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن
عبد العزي ومكرز بن حفص بن الاخيف علي ان يعرضوا علي النبي صلي الله
عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك علي ان تخلي له قريش مكة من العام القابل
ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو
كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب
ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون
ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله علي رسوله السكينة فتوقروا وحلموا
وكلمة التقوي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله
لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولي بالهداية من غيرهم
وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوي هي الوفاء بالعهد
ومعني اضافتها الي التقوي انها سبب التقوي واساسها وقيل
كلمة اهل التقوي وفي مصحف حرث بن سويد صاحب عبد الله بن مسعود
وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون راي رسول الله صلي
الله عليه وسلم قبل خروجه الي الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة
امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا علي اصحابه ففرحوا واستبشروا

وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق
فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى
صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن
الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق
اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المومن
المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه
الرؤيا ملتبسة على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون
بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل وبالحق الذي هو من اسمائه
ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت
ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه
ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك
متادبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء
الله ولم يمت منكم احدا او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله
او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم
وقيل هو متعلق بامنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير
فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا
قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المومنين الى ان يتيسر الفتح الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره
ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان
المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى
دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول
عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات
وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين على ان
الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون
اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد على نفسه
انه سيظهر دينك محمد رسول الله محمد اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم
قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن
ابن عامر انه قرا رسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه
اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمومنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ
من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم
ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن
مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما
المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا احب
ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص
ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا
التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم
ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة

وكف

وكف الاذى في المعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرا
اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه
ويجعل تراهم الخبر تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود سيماهم وعلامتهم وقرئ سيماؤهم
وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء سيمياء فهم والمراد بها السمة التي
تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها
اي من التاثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين
زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات
لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير
وقرئ من اثر السجود ومن اثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة
في الوجه فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا
صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه راى رجلا قد اثر في وجهه السجود
فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك
قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة
وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد
الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي
فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الان يصلي فترى بين عينيه
ركبة البعير فما ندري اثقلت الاوراس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك
من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن
الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب
ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول
ما صلوا بالليل كقوله من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك
الوصف مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل اي وصفهم العجيب الشان
في الكتابين جميعا ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام
عند قوله مثلهم في التوراة ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان
يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة
شطاه فراخه يقال اشطا الزرع اذا فرخ وقرئ شطاءه بفتح الطاء
وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل
حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من الموازرة وهي المعاونة
وعن الاخفش انه افعل وقرئ فازره بالتخفيف والتشديد اي فشد
ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ
فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع
ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر
فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما وهذا مثل ضربه لبدء امر الاسلام وترقيه في
الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده
ثم قواه الله بمن امن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف
بها مما يتولد منها حتى تعجب الزراع فان قلت قوله ليغيظ بهم

الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم
في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا
بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان
كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تقدمه واقدمه منقولان
بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما
معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله ولا تقدموا من غير ذكر مفعول
وجهان ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم وان لا يقصد قصد
مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا
على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت
ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش
خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرا لا تقدموا
بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املا بالحسن واوجه واشد
ملاءمة لبلاغة القران والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي
لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومها ولا تعجلوا عليها وحقيقة قولهم
جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله
قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما
توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت
هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان
تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على
امثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به
ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول
الله وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيا حتى
يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن
حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص
ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك
به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع
اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص
القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت
ويخافت لديه الكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم
بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني
سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما
وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم
كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستامروا رسول الله
الله وعن مسروق دخلت على عايشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت

للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صايم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا ١١٤
اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الفطر قبل الصلاة
فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا
اخر فهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله الى ان تزول الشمس وعند
الشافعي رحمه الله يجوز الذبح اذا مضى من مقدار الصلوة وعن الحسن
ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود
من الافاق فاكثروا عليه بالمسايل فنهوا ان يبتدئوه بالمسالة حتى يكون
هو المبتدي وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا
لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول و
فعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسالة في مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين يديه الا لحاجة وان يستانى
في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى
عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة تجنبه فان التقي
حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة
عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذايل لا تفعل هذا وتحفظ
مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع
وتامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب
في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون
وحق مثله ان يتقى ويراقب يا ايها الذين امنوا اعادة النداء عليهم
استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية
الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم
وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله من الادب الذي المحافظة
عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب
الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو عملا
بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد
بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم
فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان
تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى
تكون مزيته عليكم لايحة وسابقته واضحة وامتيازه عن
جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه
بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض انكم اذا
كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت
بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول
اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب
المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل
معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد
يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر
رضي الله عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه
وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف

يسلمون ويامروهم بالسكينة والوقار عند رسول الله وليس الغرض
برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان
ذكر كفر والمخاطبون مومنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع
من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظما ويوقر الكبرا فيتكلف الغض
منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه الماموربه من التعزير
والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذي به رسول
الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما
اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد
المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر
الناس صوتا يروي ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه
فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة ؞
؞ زجر ابي عروة السباع اذا ؞ اشفق ان يختلطن بالغنم ؞
زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه
وفي قراة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذوة بها حذو
التشديدة في قول الاعلم الهذلي ؞
؞ رفعت عيني بالحجاز ؞ الى اناس بالمناقب ؞
وليس المعني في هذه القراة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون
الشديد مسوغا لهم ولكن المعني نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاوهم
فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته
وربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الاية
لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك
من اهل الجنة واما ما يروي عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته
من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله
والخطاب للمومنين على ان ينهي المومنين ليندرج المنافقون تحت النهي
ليكون النهي اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم
ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكان التشبيه
في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا
انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان كلموا بالهمس والمخافتة
وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد
اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعات ابهة النبوة وجلالة
مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط
اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما
ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم
اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين
الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى
انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد
الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده

علي

على سبيل التمثيل لقوله ليكون لهم عدوا فان قلت لخص الفرق
بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما
اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما صبا وفي الاول
يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت
باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين
مقدرا اضماره عند الاول كقوله اتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند
الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص
اداوه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا
بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من
الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط
من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم وما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن
اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل
احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامیه الى الفساد
جعل العمل السيء في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لما يصاب به
اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الامال وقد دلت الاية على امرين
هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يومن من الاثام ما يحبط عمله والثاني
ان في اثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المومن
ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يتحرز ويتوقى
ويتحفظ وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له
ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على
التقوى اقويا على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان
تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها وكانه قيل عرف الله قلوبهم
للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي في قولك انت لهذا الامر
اي كاين له ومختص قال ؞ ؞ ؞ ؞
؞ انت لها احمد من بين البشر ؞ اعداء من لليعملات على الوجي ؞
وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله في قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الصعبة لاجل التقوى لتثبت فتظهر تقواها ويعلم انهم
متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدايد والاصطبار
عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا
اذاب وخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب
الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد
قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد ؞ ؞ ؞
؞ اتت رذايا باديا كلالها ؞ قد محنت واضطربت اطلالها ؞
وقيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع
الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا
وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة والاستيناف بالجملة المستودعة
ما هو جزاوهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة

علي غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض
اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها
تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب
هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
ولوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلله من خلف او قدام ومن
لابتداء الغاية وان المناداة نشات من ذلك المكان فان قلت
افرق بين الكلامين بين ما يثبت فيه وما يسقط عنه قلت
الفرق بينهما ان المنادي والمنادي في احدهما يجوزان يجمعهما الوراء وفي
الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع علي
الجهة الواحدة ان يكون مبتدا او منتهي لفعل واحد والذي يقول
ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر
من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار
لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها
وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض
من غير قصد الي جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط
يحوط عليها وحظيرة الابل تسمي الحجرة وهي فعلة بمعني كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقري
بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن
حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا علي الحجرات متطلبين له
فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوه حجرة حجرة
فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرات التي كان فيها ولكنها
جمعت اجلالا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل
وان كان مسندا الي جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون
راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة
بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل
ان يكون فيهم من قصد بالمحاشات ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء
فيهم قصدا الي نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي
في كلامهم روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عنهم فقال هم
جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت
الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية علي النمط الذي وردت عليه فيه
ما لا يخفي علي الناظر من بينات اكبار محل رسول الله واجلاله منها
مجيئها علي النظم المسجل علي الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه
ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض
نسائه ومنها المرور علي لفظها بالاقتصار علي القدر الذي تبين به
ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع
ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز
في المخاطبات تهوينا للخطب علي رسول الله وتسلية له واماطة لما تداخله
من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الي اخر هذه
الاية فتامل كيف ابتدي بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الي الله

ورسوله متقدمة علي الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف
ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا
للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء علي الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم
دلالة علي عظيم موقعه عند الله ثم جي علي عقب ذلك بما هو اطم وهجنته
اتم من الصياح برسول الله صلي الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض
حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه علي فظاعة
ما جروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول
حتي خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنع هولاء من المنكر
الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب
وتقتبس محاسن الاداب كما يحكي عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد
وثقة الرواية ما لا يخفي انه قال ما دققت بابا علي عالم قط حتي يخرج
في وقت خروجه ولو انهم صبروا حتي تخرج اليهم لكان خيرا لهم انهم
صبروا في موضع الرفع علي الفاعلية لان المعني ولو ثبت صبرهم
والصبر حبس النفس عن ان تنازع الي هواها قال الله تعالي واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم وقولهم صبر كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس
فيه شدة ومشقة علي المحبوس ولهذا قيل للحبس علي اليمين او القتل صبر وفي
كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتي تخرج
والي ان تخرج قلت ان حتي مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة
حتي راسها ولو قلت حتي نصفها او صدرها لم يجز والي عامة في كل غاية فقد
افادت حتي بوضعها ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت لصبرهم
فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة
في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم لزمهم
ان يصبروا الي ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل
الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا
له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلم يضيق غفرانه ورحمته
عن هولاء ان تابوا واتابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين بعث رسول
الله صلي الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان
الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلي بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا
ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان رضي الله عنه مصدقا الي بني المصطلق
وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين
فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلي الله عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكوة فغضب رسول الله وهم ان يغزوهم فبلغ القوم فوردوا
وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن
او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم
ثم ضرب بيده علي كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن
الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كانه
قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف
الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامي جنس الفسوق لا يتحامي
الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشي والانسلاخ منه

يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها
واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشي اذا اخرجته من يد مالكه
ومغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق
قال رؤبة ⁂ فواسقا عن قصدها جوائرها ⁂ ⁂ ⁂
وقري ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات
والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه
بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط
من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المومنين
ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان
تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد
الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة والاصباح
بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك
تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما
تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن
مقلوبه ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد
تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق
صاحبه **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم**
الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن
متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز
المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة
يجب عليكم تغييرها وهو انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث
على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع
له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم
في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يوديه الى
الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل ان بعض
المومنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول
الوليد وان نظير ذلك من الهنات كادت تفرط منهم وان بعضهم كانوا
يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين
استثناهم بقوله **ولكن الله حبب اليكم الايمان** الى بعضكم ولكنه
اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من
ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص **وزينه**
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله **اولئك هم الراشدون** والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون المصدق
ما قلته **فان قلت** ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها **قلت** القصد
الى توبيخ بعض المومنين على ما استهجن منهم من استتباع راي رسول
الله لارائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه **فان قلت**
فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم **قلت** للدلالة على انه كان في ارادتهم
استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كان عن لهم راي في امر كان معمولا
عليه بدليل قوله في كثير من كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم
تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا **فان قلت** كيف موقع

لكن

لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا **قلت** ١١٧
هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب
اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق
موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد
بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن
لا يغبى عنه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الاية على ظاهرها يودي الى
ان يثني عليهم بفعل الله وقد نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت** فان العرب تمتدح بالجمال وحسن
الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود **قلت**
الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر
عن مخبر رضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه
فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة
النقاد والعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح
على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة
وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة
الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة
عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق والخروج عن
قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي
لما امر به الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة
قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد ⁂ ⁂ ⁂ ⁂
⁂ وغير مقلد وموشمات ⁂ صليف الصوء من صم الرشاد ⁂
فضلا من الله ونعمة فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله **فان**
قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل
فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد عبارة عن
التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماوه صار
الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون
ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون
اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من
الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم
فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال
والانعام **والله عليم** باحوال المومنين وما بينهم من التمايز والتفاضل
حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم **وان طائفتان**
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين عن ابن عباس رضي الله عنه
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار
فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد
اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من
مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استتبا

وتجالدوا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل
بالايدي والسعف فرجع اليهم رسول الله واصلح بينهم فنزلت وعن قتادة
قراها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع
وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع
من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا
عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الجلسة
فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا
كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين
قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم
والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم
بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر
ما وجدت في نفسي من شي ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل هذه
الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن
الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة
قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب
هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان
يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات
البين ويثمر الكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي
صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما
عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة
واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا
اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين
الباغيتين واما ان تكون احديهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل
فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي
عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد
بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات
منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي بان الضمان
يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق
عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل
في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ
التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي
ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات
ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال ومراعاة القسط **فان قلت**
فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال
في الاية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب
على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء
باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب
المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان
متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق
العموم بعد ما امر به من اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء

الله

الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط
وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط
بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور
هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من
المومنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب
اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر
عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين
من اخوة الولاد لزم السائرين ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا
الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادفا ما وهى
من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين
احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه بالبنيان فيستر عنه
الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظه
منكم الا قليل **انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** **فان قلت**
لم خص الاثنان بالذكر دون الجميع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق
اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد
في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرى بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المومنون الا اخوة وانهم
خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم
في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع
ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه **واتقوا الله لعلكم ترحمون** فانكم ان
فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة
ما يفرط منه فكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته
عليكم حقيقا بان تعقد وابرجائكم القوم الرجال **يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيرا منهن** القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال
الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على
وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم
وزور في جمع صائم وزائر وتسميته بالمصدر وعن بعض العرب
اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص
القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير
اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم
فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط
للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن
وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المومنين
والمومنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة
منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة
على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من
نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه لان مشهد
الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من
النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك

وان اوجد
كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيودي ذلك
واجدا الي تكثر السخرة وانقلاب لواحد جماعة و قوما و قوله عسي ان يكونوا
خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة
لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعني
وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من
الساخر لان الناس لا يطلعون الا علي ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات
وانما الذي يزن عند الله خلوص الضماير وتقوي القلوب وعلمهم
من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجتري احد علي الاستهزاء بمن تقتحمه عينه
اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا وانقي قلبا ممن هو علي ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط
توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع
عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد
الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول
كلبا وفي قراة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسي علي هذه
القراة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلي الاولي التي لا خبر
لها كقوله وعسي ان تكرهوا شيا **ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب**
اللمز الطعن والضرب باللسان وقري ولا تلمزوا بالضم والمعني وخصوا
ايها المومنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا
غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن
الحسن في ذكر الحجاج اخرج الينا بنانا قصيرة قل ما عرفت فيها الاعنة
في سبيل الله جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد وقال
لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش
يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتي تفوته الصلاة لا من الله يتقي
ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته ماية الف او يزيدون لا يقول
قايل الصلاة ايها الرجل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف
والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المومنين كنفس
واحدة فمتي عاب المومن المومن فانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا
ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز
بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنوا فلان يتنابزون ويتنازبون
ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل
المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا واما ما يحبه مما
يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلي الله عليه وسلم
من حق المومن علي اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت
التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا
الكني فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق
وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية
والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم
كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي
عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزوا ابيلال وخباب وعمار وصهيب

وابي ذر وسالم مولي حذيفة فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها انها
كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن
عباس ان ام سلمة رضي الله عنها ربطت حقويها بسبيبة وسدلت
طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عايشة لحفصة انظري ما تجر خلفها
كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم
ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية
بنت يهوديين فقال لها رسول الله هلا قلت ان ابي هارون وان
عمي موسي وان زوجي محمد صلي الله عليه وسلم وروي انها نزلت في ثابت
بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع
فاتي يوما وهو يقول تفسحوا حتي انتهي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت
ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال
ثابت لا افخر علي احد في الحسب بعدها ابدا **بيس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون** الاسم ها هنا بمعني
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناه وصيته
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا تري الي قولهم اشاد بذكره
كانه قيل بيس الذكر المرتفع للمومنين بسبب ارتكاب هذه الجرايران يذكروا
بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلاثة اوجه احدها استقباح الجمع بين
الايمان وبين الفسق الذي ياباه الايمان ويحظره كما تقول بيس الشان
بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود
يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بيس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق
واليهودية بعد ايمانه والجملة علي هذا التفسير متعلقة عن التنابز
والثالث ان يجعل من فسق غير مومن كما تقول للمتحول عن التجارة الي
الي الفلاحة بيست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه
وحقيقته جعله منه في جانب فيعدي الي مفعولين قال الله عز
وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم قال في مطاوعة اجتنب
الشر فنقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن
وذلك البعض موصوف بالكثرة الا تري الي قوله ان بعض الظن اثم
فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة
قلت مجيئه نكرة يفيد معني البعضية وان في الظنون ما يجب
ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجتري احد علي ظن
الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار
للتقوي والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه
دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما
اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب
اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر
كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد
منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد
والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بالريب والمجاهرة بالخبايث

عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان
يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت
اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر
وعنه ان الفاسق اذا ظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر
لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحيا فلا غيبة
له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته
الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال ❁ ❁ ❁
❁ لقد فعلت هذي النوى بي فعلة ❁ اصاب النوى قبل الممات اثامها
والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه ولا تجسسوا
وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر
اذا طلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس
لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السماء
والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء
والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف
عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق
في خدورهن قال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد
ابن عقبة ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن
التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به ولا يغتب بعضكم بعضا غابه واغتابه
كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر
السوء في الغيبة وسئل رسول الله عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس
الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه
وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل
ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم
والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على
تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم
يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة
مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا
على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم
عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه
اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه
وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم فليتحقق
ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين
وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدي
بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس
تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت
الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديه بالى فتاول

واجرائه مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه
كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه واتقوا الله ان الله تواب رحيم والمبالغة
في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه
المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها
منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم
عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين
من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما فكان اسامة على طعام رسول الله فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما اري
خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ونزلت
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل
لتعارفوا من ذكر وانثى من ادم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من
اب وام فما منكم من احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الاخر سواء بسواء
فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى من
الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن
والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة
تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل خزيمة شعب
وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وسميت الشعوب لان القبايل تتشعب منها وقرئ لتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعارفوا والمعنى
ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبايل هي ان يعرف بعضكم
نسب بعض فلا يعتزي الى غير ابائه لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد
وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها
يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر
بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد
لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس
رجلان مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية
وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن
ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة
مر رسول الله عليه السلام في سوق المدينة فراى غلاما اسود يقول
من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات خلف رسول الله فاشتراه
رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلوة ففقده
فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقال هو
لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين
والانصار امر عظيم فنزلت قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيا ان الله غفور رحيم الايمان هو التصديق مع الثقة

وطمانينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا
للمومنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم
فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما
واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم
تومنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل
لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تومنوا ولكن اسلمتم قلت
افاد هذا النظم تكذيب دعويهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تومنوا
وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه
فلم يقل كذبتم ووضع لم تومنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه
ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين
اولئك هم الصادقون تعريضا بان هولاء هم الكاذبون ورب تعريض
لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تومنوا عن ان يقال
لا تقولوا امنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان
ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى
ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوي كما كان قولهم
امنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم
والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل
الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال
بفايدة متجددة قلت ليس كذلك لان فايدة قوله لم تومنوا هو
تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا
به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم يثبت مواطاة
قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما
في لما من معنى التوقع دال على ان هولاء قد امنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم
ولا يظلمكم يقال التة السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة
اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها
قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقري
باللغتين لا يلتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيا
ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا
قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم
ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا
من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا
طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون
على رسول الله ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها
وجيناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع
رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى امنوا ثم لم يقع في نفوسهم
شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه
فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب
يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة
الايمان مع الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب
قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان

ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف
في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك
ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المومنون
حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني
ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم
الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره
في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله ويجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب
او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد
بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة
بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوة
وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله
اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب
اعراب بني اسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات
قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله
بكل شي عليم يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به
ومنه قوله اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
يقال من عليه يدا اسداها اليه كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة
النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن
الذي هو القطع لانه انما يسديها ليقطع به حاجته لا غير من غير
ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة
وانعاما وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكاين
من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما
منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه
لرسوله ان هولاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من
حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا
على اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله
يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم
انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم
تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم ايراد
الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان
فلله المنة عليكم وقري ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه اذ هداكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير
بما تعملون وقري تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين
في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل
تعملونه في سركم وعلانيتكم وكذلكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة
لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من
الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في صاد والقرآن ذي الذكر
بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد
والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند
الله وعند الناس وهو تسبيب من الله المجيد مجازا لاتصافه بصفته قوله
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان
على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل
بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف
بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من
البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى
اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة العقل
بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء
عجيب ائذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق
بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا
مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه
احين نموت ونبلى نرجع وكنا ترابا ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر
كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد عن
الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون
من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف
قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه
اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت
فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه
المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض رد لاستبعادهم
الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى
وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي
ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ
محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه
وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة
على انهم جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة
الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب
يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة
كاهن ولا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام واما المصدرية
واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق
القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا بالبعث
الى اثار قدرة الله في خلق العالم الى السماء فوقهم كيف بنيناها رفعناها
بغير عمد وزيناها وما لها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة
من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور
والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولا هي
لتكفات وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه

تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لنبصر به ونذكر كل عبد منيب راجع الى
ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد
وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة
والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف لها
طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه
او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد على انبتناها رزقا لان الانبات في
معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لرزقهم واحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء
بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع
كل كذب الرسل اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف
عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان
يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى
فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول عيي بالامر
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق
الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق
الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم
في لبس من خلق جديد اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان
وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا جار انه لملبوس عليك اعرف
الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى
خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء
كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف
كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان
عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه
ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة
النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس
والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان تكون للتعدية
والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم
يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال
واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه
منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة
منه كما تقول الله في مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل
في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال
ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل
العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاء خلب
والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان

بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده
فان قلت ما وجه اضافة الحبل الي الوريد والشي لا يضاف الي نفسه
قلت فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية
والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الي الوريد كما يضاف الي العاتق
لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلبا مثلا اذ يتلقي المتلقيان
اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظروف متقدمة
ومتاخرة والمعني انه لطيف يتوصل علمه الي خطرات النفس وما لا شي
اخفي منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقي الحفيظان ما يتلفظ
به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه
وهو المطلع علي اخفي الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في
كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحايف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد
بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيات
والرغبة في الحسنات وعن النبي صلي الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك علي
ثنيتيك ولسانك قلمهما وانفك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك
لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني
ونحن قريبون منه مطلعون علي احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا
موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة عن اليمين وعن الشمال قعيد
والقعيد المقاعد كالجليس بمعني المجالس وتقديره عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه
كقوله ∴ كنت منه ووالدي بريا ∴ ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب
الملكان فقيل يكتبان كل شي حتي انينه من مرضه وقيل لا يكتبان
الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله صلي الله عليه وسلم
كاتب الحسنات عن يمين الرجل وكاتب السيات عن يسار الرجل وكاتب
الحسنات امين علي كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملايكة يجتنبون الانسان
عند غائطه وعند جماعه وقري ما يلفظ علي البناء للمفعول وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور لما ذكر
انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه
وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه
علي اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت
سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والباء في الحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي انطق الله به كتبه وبعث رسله او حقيقة الامر وجلية الحال
من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان
من ان كل نفس ذايقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها في قوله تنبت
بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض
الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقري ابو بكر وابن مسعود
رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت علي اضافة السكرة الي الحق والدلالة
علي انها السكرة التي كتبت علي الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء

للتعدية

للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها
جاءت به ويجوز ان يكون المعني جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق
سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقري سكرات الموت
ذلك اشارة الي الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان
علي طريق الالتفات او الي الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب
وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول
الله صلي الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية
ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين
بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر
ذلك يوم الوعيد علي تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد
والاشارة الي مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد ملكان
احدهما يسوق الي المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين
الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سايق
النصب علي الحال من كل لتعرفه بالاضافة الي ما هو في حكم المعرفة لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
قري لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر علي خطاب النفس اي
يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله او
غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيا فاذا كان يوم القيمة تيقظ وزالت
عنه الغفلة وغطاوها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل
من الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي
قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه
ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شي لدي وفي ملكتي عتيد
لجهنم والمعني ان ملكا يسوقه واخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به
يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوايي واضلالي فان قلت
كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف القيا في جهنم كل كفار عنيد خطاب من الله للملكين السابقين
السايق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد علي وجهين احدهما
قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما
كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل
منهم اثنين فكثر علي السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا
حتي خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي
اضربا عنقه وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف
في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجري الوقف عنيد معاند مجانب
للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك
عادة له لا يبذل منه شيا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الي اهله يحول
بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه
من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل
مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدا مضمن
معني الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا

بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتاكيد فان قلت لم اخليت
هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استونفت
كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة
بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت
لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد فتلاه لا تختصموا لدي اعلم ان لدي مقاولة
من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه
ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع
بين معناها وبين ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين وقول
قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان
ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله ما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت
اليكم بالوعيد لا يبدل القول لدي قال لا تختصموا استينافا مثل
قوله قال قرينه كان قايلا قال فماذا قال الله فقيل لا تختصموا والمعنى
لا تختصموا في دار الجزا وموقف الحساب فلا فايدة في اختصامكم ولا
طايل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة
رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي
فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس يستوجب
للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم او معدية
على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي
قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم
به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا
والتقدم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الاخرة واجتماعهما في زمان
واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت
اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الاخرة فان قلت كيف
قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لم يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرطا الظلم فنفي ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلات
وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير
يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصب اليوم
بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بينفخ كانه قيل
ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول
ولا نقدر حذف المضاف وسوال جهنم وجوابها من باب التخييل
الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان
احدهما انها تمتلي مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شي ولا
يزاد على امتلايها كقوله لاملان جهنم والثاني انها من السعة
بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من
مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم
او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد
واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد نصب

علي

على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر
كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث
او على حذف الموصوف اي شيا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول
هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل اواب
حفيظ قرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب
بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن امن
منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع
الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ومن خشي الرحمن بدل بعد بدل
تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان
يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين
الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدا خبره
يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى
كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب
حال من المفعول اي خشيه وهو غايب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق
الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غايب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده
من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف
قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على
الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشي
مع ان المخشي عند غايب ونحوه والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجا بقلب منيب وصف القلب
بالانابة وهي الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب
يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم
او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملايكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير
الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاون
فيها ولدينا مزيد وهو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاوه
وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد
الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد
منهم بطشا فنقبوا في البلاد وقرئ بالتخفيف نحو فنقبوا وخرقوا
والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة ؞
؞ نقبوا في البلاد من حذر الموت ؞ وجالوا في الارض كل مجال ؞
ودخلت الفا للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم
ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يوملوا مثله لانفسهم
والدليل على صحته قراة من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض
وقرئ بكسر الخا مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ؞
؞ ما مسها من نقب ولا دبر ؞ ؞ والمعنى احفت ابلهم
او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد
هل من محيص من الله او من الموت ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع
والقا السمع الاصغا وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لم

يحضره ذهنه فكانه غايب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من
ياخذ عنه ما شئت من زهرة والقني بصقلا باذ ليسقي الزروع او وهو
مومن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهدا في قوله
لتكونوا شهدا على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل
الكتاب لوجود نعته عنده وقرا السدي وجماعة القي السمع على البنا للمفعول
ومعناه لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر
الذهن متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعيا
وقري بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا
لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه
في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقولون
فاصبر على ما يقول المشركون من اليهود وياتون به من الكفر والتشبيه وقيل
فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم
قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل
الصبر مامور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول
على ظاهره وعلى الصلوة فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب
الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد فسبحه وادبار
السجود التسبيح في اثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة
وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان
بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب
قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء
والادبار جمع دبر قري وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت
ومعناه وقت انقضا السجود كقولهم اتيك خفوق النجم واستمع
يوم ينادي المناد من مكان قريب يعني واستمع لما اخبرك به من
حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه
كما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل
يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك يوم يسمعون الصيحة
بالحق فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك
يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون
بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها
العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل
ينادي بالحشر من كان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض
الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم
وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية
والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث
والحشر للجزا انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض
عنهم سراعا وقري تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق
على البنا للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير
تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم

الاعلى القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم
على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة
عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال
عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم
ومالك امرهم فذكر بالقران من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من
يخشيها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته
سورة الذاريات مكية وهي سبع وثلاثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا
انما توعدون لصادق وان الدين لواقع الذاريات الرياح لانها تذرو التراب
وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقري بادغام التاء في الذال والحاملات
وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقري بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر
او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر
اي ذا سهولة والمقسمات امرا الملايكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق
وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد
جبريل للغلظة وميكايل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل
للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا
تسالوني ولن تسئلوا بعدي مثلي فقال ابن الكواء ما الذاريات قال الرياح
قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال
فالمقسمات امرا قال الملايكة وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن
المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب
السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب وتقله وتصرفه
وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت
ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب
فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها
بهبوبها فبالملايكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات
البحر ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدي في الهبوب فتذرو التراب
والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون
جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق
كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك
الحبك الطرايق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك
الشعر اثار تثنيه وتكسره قال زهير
مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مايه حبك
والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرايق ويقال ان حلقة السماء كذلك
وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرايق الوشي
وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم
اي محكمها واذا اجاد الحايك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهي جمع
حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقري الحبك بوزن

القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق
والحبك بوزن النجم والحبك بوزن الابل انكم لفي قول مختلف قولهم
في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القران شعر وسحر واساطير
الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لايكون مستويا انما هو متناقض مختلف
وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه من افك
الضمير للقران او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لاصرف
اشد منه واعظم كقوله لايهلك على الله الاهالك وقيل يصرف عنه
من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه ماٴفوك عن الحق لايرعوي
ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات ان وقوع
امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم
شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو ماٴفوك
ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون
عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته
يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك فكهم عن القول المختلف وقري
سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على لبناء للفاعل اي من افك الناس
عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي
ليسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لحذره فيرجع فيخبرهم
وعن زيد بن علي يافك عنه من افك اي يصرف الناس من هو ماٴفوك في نفسه
وعنه ايضا يافك من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب
وقري يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذ نهكه حلبا
قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء
والقتل والهلاك ثم جري مجري لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون
ما لايصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل
قتل هولاء الخراصون وقري قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة
في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون فيقولون ايان
يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقري بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت
كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما يقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت
معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع
في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السوال اي يقع يوم هم على
النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو
الجملة فان قلت ما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله
نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون
وقراة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين
وهو الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي
مقولا لهم هذا القول هذا مبتدا والذي خبره اي هذا العذاب هو
الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي
ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتيهم
ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما اتيهم
الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب
ومنه قوله تعالى وياخذ الصدقات اي يقبلها ويرضيها انهم كانوا قبل
ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ما مزيدة والمعنى
كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعل صفة
للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة
على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه تعليلا على الفاعلية
وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال
قد حصت البيضة راسي ❊ فما اطعم نوما غير تهجاع ❊
وقوله قليلا من الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة
لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار
كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقولهم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون
الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له
واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم
وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت
لا لان ما النافية لا يعمل بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا
ما ضربت وفي اموالهم حق للسائل والمحروم السائل الذي يستجدي والمحروم
الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال
الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف
الذي لا يكاد يكسب وفي الارض ايات تدل على الصانع وقدرته وحكمته
وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض
مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها مجزاة
من سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وغذاة وسبخة
وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان
والطعوم والروايح يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها
موافقة لحوايج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها
من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها
المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك
للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى
المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا اية عرفوا وجه
تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون
في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجايب
الفطر وبدايع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها
من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج
الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الايات الساطعة والبينات
القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وساير الجوارح
وتاتيها لما خلقت له وما سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شي منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك
الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات
وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دايمة منه وعن الحسن انه كان
اذا راي السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش
او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدر

مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قري
مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم
ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول
الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا وهذا الضمير
اشارة الى ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم او الى
ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع علي اعرابي على
قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع
يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي
السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر
وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف
فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل
واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض
انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف
لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه
هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين هل اتيك تفخيم للحديث وتنبيه
على انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة
كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل
تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك وجعلهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام
او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابراهيم عليه السلام خدمهم
بنفسه واخدمهم امراته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله
تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا عليه نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم
لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر
ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما قال
سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام
للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا
بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال
سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم السلام
الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس
الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا وشكلا
خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم
منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من
ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان
يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه او يعذره قال قتادة كان عامة
مال نبي الله ابراهيم البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون
والهمزة في الا تاكلون للانكار عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس
منهم خيفة فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن
انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا
للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم يبلغ ويعلم وعن

الحسن عليم والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة
سارة لا هاجر وهي امراة ابراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل فاقبلت
امراته في صرة في صيحة من صر الجندب والقلم والباب ومحله
النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت
في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل
فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل
يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت وجهها فلطمت ببسط يديها وقيل
فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز انا عجوز
عقيم فكيف الد قال كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك
انه هو الحكيم العليم اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين
وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون
الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة
معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل
اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من
حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم
وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من
المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الضمير في فيها للقرية
ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الاسلام والايمان واحد
وانهما صفتا مدح وقيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته
الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم
ليعلموا ان الايمان محفوظ ولا ضيعة على اهله عند الله وتركنا فيها اية
للذين يخافون العذاب الاليم اية علامة يعتبر بها الخائفون دون
القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود
منتن وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه
وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفي
موسى معطوف على وفي الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على
معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور
واعرض ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه
وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر وهو مليم آت بما يلام
عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير فاخذناه فان قلت
كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون من
قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب
اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها
وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى ادم
ربه لان الصغيرة والكبيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح
والسيئة وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم التي لا خير فيها من انشاء
مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه
النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من

شي اتت عليه الا جعلته كالرميم والرميم كلما دام اي بلي وتفتت
من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
يفسره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر
صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون
كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون
اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا
في ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه
وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل
انهم كانوا قوما فاسقين وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه
قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان
ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح والسماء بنيناها بايد بقوة
والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون
من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن
رحمة الله عليه لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين
الارض سعة والارض فرشناها فنعم الماهدون فنعم الماهدون
نحن ومن كل شي اي من كل شي من الحيوان خلقنا زوجين ذكر وانثى وعن
الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت
والحيوة فعدد اشيا وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل
له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق
الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله
الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا
اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين
وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم
ان الايمان لا ينفع الا مع العمل وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى
الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى
تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى
الذين من قبلهم من رسول ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة باتى لان
ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل بات لكان صحيحا على معنى
مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول
حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم
لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان
هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم
يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فما انت بملوم فلا لوم عليك في اعراضك
بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين
اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او تزيد الداخلين
فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب

قدحضر

قدحضر فانزل الله وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون فان قلت لو كان
مريدا للعبادة لكانوا عليهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه
مختارين لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة
مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم يريد ان
شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما
يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة
ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او
محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال
والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك
العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل
رزقي ورزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما
يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة
على تاويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ
الاقتدار على كل شي وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني انا
الرزاق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون الذنوب الدلو العظيمة وهذا
تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال
∴ لنا ذنوب ولكم ذنوب ∴ فان ابيتم فلنا القليب ∴
ولما قال عمرو بن شاس ∴ وفي كل حي قد خبطت بنعمة ∴ فحق لشاس من نداك ذنوب
قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب
من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من
القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم من يومهم
من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت في الدنيا

∴ سورة الطور مكية وهي ثمان واربعون اية ∴

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وكتاب مسطور في رق منشور الطور الجبل الذي كلم الله عليه
موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة
وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى
وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القران ونكر
لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها
والبيت المعمور الضراح في السماء السابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين
والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو وقيل الموقد من قوله
واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا
تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه ما اراه الا صادقا بقوله
والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع النازل ما له من دافع قال جبير

بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاساري فالفيته
في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوف
من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا تمور تضطرب وتجي وتذهب
وقيل المور تحرك في تموج وهو الشي يتردد في عرض كالداغصة في الركبة
وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون
غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخايضين
وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع العنيف
وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم
ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرا زيد بن علي
يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين
يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا يعني كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر وادخلت الفاء لهذا
المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن
المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا سواء عليكم سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر
وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون
ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما تكون له مزية على الجزع لنفعه
في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب
الذي هو الجزا ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين
في جنات ونعيم في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال
في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين
وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل
الظرف لغوا اي متلذذين بما اتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم
فان قلت علام عطف قوله ووقيهم ربهم قلت على قوله في جنات
او على اتيهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم
ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة
يقال لهم كلوا واشربوا بما كنتم تعملون كلا وشربا هنيا او طعاما وشرابا
هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله
٭ هنيا مريا غير داء مخامر ٭ لعزة من اعراضنا ما استحلت ٭
اعني صفة استعملت استعمال المصدر القايم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت
كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى
هنيا ههنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون والباء مزيدة
كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل
والشرب متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين قرى بعيس
عين والذين امنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين
امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين
فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان المومنين واتبعناهم
ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المومن
في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم
انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة
الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا

بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدر
جاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم
ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه
الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني
المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقري
ذريتهم وذرياتهم وقري وذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون
والذين امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض
وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب
والتفضل وما نقصنا من ثواب عملهم من شي وقيل معناه وما نقصناهم
من ثوابهم شيا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل
وقري التناهم وهو من بابين من الت يالت ومن الات يليت كامات
يميت والتناهم من الت يولت كامن يومن ولتناهم من ولت يلت
ومعناهن واحد كل امري بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن
عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه
فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم
وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم فيها كاسا خمرا لا لغو فيها لا لغو في شربها
ولا تاثيم لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طايل تحته
كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب
والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك
لان عقولهم ثابتة غير زايلة وهم حكماء علماء وقري لا لغو فيها ولا تاثيم
ويطوف عليهم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ
مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا
الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه عليه الصلاة
والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه
الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون
ويسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله فمن
الله علينا ووقانا وقري ووقانا بالتشديد عذاب السموم وعذاب
النار ووهجها ونفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها
نار جهنم لانها بهذه الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه
يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونساله الوقاية انه هو البر المحسن
الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقري
انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون
ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى
فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه
عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون

شاعر نتربص به ريب المنون وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء
للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث
الدهر قال ۞ امن المنون وريبه تتوجع ۞ وقيل
المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع
ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك
من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا
والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا التناقض
في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون
اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور
الحق لهم فان قلت ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها
الى ذلك كقوله اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وقرئ بل هم
قوم طاغون ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه
ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب فليأتوا بحديث
مثله ان كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول
الله ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد
على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام
احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر
ام هم الخالقون ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم
وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون
وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل اخلقوا
من غير اب وام ام عندهم خزائن ربك خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة
ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر
الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون
بالصاد ام لهم سلم منصوب يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه
على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دون ما تزعمون فليأت مستمعهم
بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ام له البنات
ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم ان يلتزم الانسان
ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم وزهدهم ذلك في اتباعك
ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولون
لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار
الندوة فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد كل من كفر بالله هم المكيدون
هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا
يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله سبحان
الله عما يصفون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا

سحاب

سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط
للعذاب فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وقرئ يلقوا
ويلقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك
عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة
وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله
دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وما
يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلاوك وجمع
العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقرئ
باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ
وادبار بالفتح يعني في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت والمراد الامر بقول
سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من
نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرئ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته ۞ سورة النجم مكية وهي احدى وستون اية ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

والنجم النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال ۞ اذا طلع النجم عشاء
ابتغى الراعي كساء ۞ او جنس النجوم قال ۞ فباتت تعد النجم في مستحيرة ۞
يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذي يرمى به
اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القران وقد نزل منجما في عشرين سنة
اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن
الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه واتاه فقال يا محمد هو كافر
بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان
اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا
الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض
مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني
اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء
الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان رضي الله عنه
۞ من يرجع العام الى اهله ۞ فما اكيل السبع بالراجع ۞
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما غوى والخطاب
لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد
اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي
وما ينطق عن الهوى وما اتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه
ورايه ان هو الا وحي يوحى انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج
بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ
لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى
علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة

الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى
قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة
بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبيا وصعوده في اوحى من رجعة الطرف
وراى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة
فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في رايه وعقله ومتانة في دينه
فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقة دون الصورة التي كان يتمثل
بها كلما هبط بالوحي وهو بالافق الاعلى وكان ينزل في صورة دحية وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها
فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه
احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض
ومرة في السماء ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء
ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق وقال
تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل
القرلي ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان قاب قوسين مقدار قوسين
عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرى زيد بن علي
قاد وقرى قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع
والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس
مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من
الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال
وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت
كيف تقدير كقوله فكان قاب قوسين قلت تقديره وكان مقدار
مسافة قربه مثل قاب قوسين نحذف هذه المضافات كما قال ابو علي
في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى
اي على تقديركم كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده الى عبد الله ولم يجر
لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي
اليه قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم
حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما راى ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره
من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعني راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقرى
ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى
افتمارونه من المراء وهو الملاحات والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان
كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرى افتمرونه افتغلبونه من
المرا من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته
على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا
لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا
وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح الا على مذهب
التضمين ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب
الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي
نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فراه عليها وذلك ليلة المعراج
عند سدرة المنتهى قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة
عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار

التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى
بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها
احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي
اليها ارواح الشهداء عندها جنة الماوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن
الحسن وقيل ياوي اليها ارواح الشهداء وقرى علي وابن الزبير وجماعة جنه
الماوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انكرته وقالت من قرا به فاجنه
الله اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة
ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت
ولا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في كل ورقة من ورقها
ملكا قايما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن
ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر ما زاغ بصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما طغى اي اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا من
غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن روية العجائب التي امر بروىتها
ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر بروىته لقد راى والله لقد راى من
ايات ربه الكبرى الايات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء
فارى عجايب الملكوت افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى اللات
والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مونثات فاللات كانت لثقيف بالطائف
وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة ويلتوون عليها اي يطوفون وقرى اللات
بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج
وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف كانوا يعكفون على قبره
فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وبعث
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف
حتى قتلها وهو يقول
يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد
ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرى ومناءة
وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة
مفعلة من النوء كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم
وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله اخريهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم
واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عنده للات والعزى كانوا يقولون
ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم
عند الله مع وادهم البنات فقيل الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان
اللات والعزى ومناة اناث قد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان
تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف
تجعلون هولاء الاناث اندادا لله وتسمونهن الهة تلك اذا قسمة ضيزى
جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض
ليسلم الياء وقرى ضئزى من ضازه بالهمزة وضيزى بفتح الضاد ان هي
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان هي ضمير

الاصنام اي ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون
الالهية لما هو ابعد شي منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالي ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير لاسماء وهي قولهم اللات والعزي
ومناة وهم يقصدون بها الاسماء الالهية يعني ما هذه الاسماء الا اسماء
سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله علي صحة تسميتها برهان تتعلقون
به ومعني سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون
وقري بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان الهتهم شفعا وهم
وما تهوي الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاهم من ربهم الهدي
ويتركون ما جاهم من الهدي والدليل علي ان دينهم باطل ام للانسان ما تمني
هي ام المنقطعة ومعني الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمني والمراد
طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمن علي الله في غاية البعد وقيل هو
قولهم ولئن رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني وقيل هو قول الوليد
بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي
فلله الاخرة والاولي اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء
وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي منهما وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضي يعني ان امر
الشفاعة ضيق وذلك ان الملايكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص
السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيا قط ولم
تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة او
يرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ان
الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة اي كل واحد منهم تسمية الانثي
لانهم اذا قالوا الملايكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسميته
الانثي وما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي بالملايكة
او بالتسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا يعني
انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن
والتوهم فاعرض عن من تولي عن ذكرنا فاعرض عن دعوة من رايته معرضا
عن ذكر الله وعن الاخرة ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولم يرد الا الدنيا ولا تتها
لك علي اسلامه ذلك مبلغهم من العلم ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدي اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب
وانت لا تعلم فخفض عن نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي من احببت
وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه
ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان
من الجزا ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا
ويجزي الذين احسنوا بالحسني قري لنجزي ونجزي بالياء والنون فيهما
ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوي هذه الملكوت لهذا الغرض
وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسي منهم ويجوز ان يتعلق بقوله
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدي لان نتيجة العلم بالضال
والمهتدي جزاوهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسني بالمثوبة
الحسني وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسني
الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم كباير الاثم الكباير من
الاثم لان الاثم جنس يشتمل علي كباير وصغاير والكباير الذنوب التي لا يسقط

عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الي ثواب صاحبها
والفواحش ما فحش من الكباير كانه قال والفواحش منها خاصة وقري
كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر
ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اقل فيه لبثه والم بالطعام
قل منه اكله ومنه ⁘ لقاء اخلاء الصفاء لمام ⁘
والمراد الصغاير من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء
منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما الهة الا الله كانه قيل كباير الاثم
غير اللمم والهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة
والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر
الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك
واسع المغفرة حيث يكفر الصغاير باجتناب الكباير والكباير بالتوبة هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا
انفسكم فلا تنسبوها الي زكا العمل وزيادة الخير والطاعات والي الزكاء
والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها هو اعلم بمن اتقي فقد
علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ادم وقبل
ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة
ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان علي سبيل
الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه
وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولي واعطي قليلا واكدي اكدي
قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة
الصخرة فيمسك الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا
افحم وروي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد
الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقي لك شي
فقال ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضاء الله وارجو عفوه فقال
عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد
عليه وامسك عن العطا فنزلت ومعني تولي ترك المركز يوم احد فعاد عثمان
الي احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب فهو يري فهو يعلم ان ما قال له
اخوه من احتمال اوزاره حق ام لم ينبا بما في صحف موسي وابراهيم الذي
وفي وفي قري مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعني
وفر واتم كقوله فاتمهن والاطلاق ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك
تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر علي ذبح ولده وعلي
نار نمروذ وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل
يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوي الصوم وعن
الحسن ما امره الله بشي الا وفي به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين
نوح وبين ابراهيم يوخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه
وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم وعن
عطا بن السايب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل
وميكاييل الك حاجة قال اما اليكم فلا وعن النبي صلي الله عليه وسلم
وفي عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحي وروي
الا اخبركم لم سمي الله خليله الذي وفي كان يقول اذا اصبح وامسي فسبحان

الله حين تمسون الي قوله تظهرون وقيل وفي سهام الاسلام وهي
ثلاثون عشرة في التوبة التايبون وعشرة في الاحزاب المومنين وعشرة
في المومنين قد افلح المومنون وقري في صحف بالتخفيف الا تزر وازرة
وزر اخري ان مخففة من الثقيلة والمعني انه لا تزر والضمير ضمير الشان
ومحل ان وما بعدها جر بدلا مما في صحف موسي او الرفع علي هو ان لا تزر
كان قايلا قال وما في صحف موسي وابراهيم فقيل ان لا تزر وان ليس
للانسان الا ما سعي الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار
الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابات
احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا علي سعي نفسه وهو ان
يكون مومنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه
لكونه تابعا له وقايما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله
لنفسه لكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه
وان سعيه سوف يري ثم يجزيه ثم يجزي العبد سعيه الجزا الاوفي
يقال جزاه الله عمله وجزاه علي عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز
ان يكون الضمير للجزا ثم فسره بقوله الجزاء الاوفي او ابدله عنه كقوله
واسروا النجوي الذين ظلموا وان الي ربك المنتهي قري بالفتح علي معني
ان هذا كله في الصحف وبالكسر علي الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهي مصدر
بمعني الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والي الله المصير
وانه هو اضحك وابكي خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات واحيا
وانه خلق الزوجين الذكر والانثي من نطفة اذا تمني اذا تدفق في الرحم
يقال مني وامني وعن الاخفش تخلق من مني الماني اي قدر المقدر
وان عليه النشاة الاخري وقري النشاءة والنشاءة بالمد وقال
عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي علي الاحسان والاساءة وانه
هو اغني واقني واعطي القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت
ان لا تخرجه من يدك وانه هو رب الشعري مرزم الجوزاء وهي التي
تطلع وراءها وتسمي كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد
العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم
وكانت قريش تقول لرسول الله عليه السلام ابو كبشة تشبيها له به
لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا
الاولي قوم هود وعاد الاخري ارم وقيل الاولي القدماء لانهم
اولي الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقري
عادا لولي وعاد لولي بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولي ونقل
ضمتها الي لام التعريف وثمودا وقري وثمود فما ابقي وقوم نوح من قبل
انهم كانوا هم اظلم واطغي لانهم كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا
منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والموتفكة القري التي ايتفكت
باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فايتفك وقري والموتفكات
اهوي رفعها الي السماء علي جناح جبريل ثم اهواها الي الارض اي
اسقطها فغشاها ما غشي تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب
وامطر عليها من الصخر المنضود فباي الاء ربك تتماري تشكك والخطاب
لرسول الله او للانسان علي الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها
الاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القران

يوذونه ويضربونه حتي لا يكونوا
بحراك وينفرون عنه حتي كانوا
صح

نذير من النذر الاولي اي انذار من جنس الانذارات الاولي التي انذر بها
من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولي علي تاويل
الجماعة ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله نفس كاشفة اي مبينة متي تقوم كقوله لا يجليها
لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة علي كشفها اذا وقعت الا
الله غير انه لا يكشفها او ليس لها نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة
مصدر بمعني الكشف كالعافية وقري طلحة ليس لها مما تدعون من دون
الله كاشفة وهي علي الظالمين ساءت الغاشية افمن هذا الحديث
وهو القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء
والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا
بعد نزولها وقري تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون
شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته
اسمدي لنا غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الالهة عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر انشقاق القمر من ايات رسول الله ومعجزاته
النيرة عن انس ان الكفار سالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم اية فانشق
القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين
فلقة ذهبت وفلقة بقيت قال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وعن
بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر يرده وكفي به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر اي اقتربت
الساعة وقد حصل من اياتها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء
المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد
اقتربت وان القمر قد انشق علي عهد نبيكم مستمر دايم مطرد وكل شي قد انقادت
طريقته ودامت حاله قيل قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات
قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قوله استمر مريره وقيل
هو من استمر الشي اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر علي لهواتنا لا نقدر
ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقي
تمنية لانفسهم وتعليلا وقري وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وما
زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان
يصير الي غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير الي غاية يتبين عندها انه
حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي
سيثبت ويستقر علي حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة
في الاخرة وقري بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار اي
ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر بكسر القاف والجر
عطفا علي الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين
حاله ولقد جاءهم من الانباء من القران المودع انباء القرون الخالية او انباء
الاخرة وما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار او موضع
ازدجار والمعني هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله لكم

في رسول الله اسوة حسنة اي هي اسوة وقري مزجر بقلب تاء الافتعال
زايا واد غام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او علي هو حكمة وقري
بالنصب حالا منها فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان ينتصب
حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها
الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي وانكار وما منصوبة
اي واي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب
يوم يدع الداعي بيخرجون او باضمار اذكر وقري باسقاط اليا اكتفاء
بالكسرة عنها والداعي اسرافيل كقوله يوم يناد المناد الي شي نكر منكر فظيع
تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقري نكر بالتخفيف
ونكر بمعني انكر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر
كما تقول يخشع ابصارهم وقري خاشعة علي تخشع ابصارهم وخشعا علي
يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي ويجوز ان
يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقري خشع ابصارهم
علي الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب علي الحال كقوله وجدته حاضراه
الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل
وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقري يخرجون من الاجداث من القبور
كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج
بعضه في بعض جاوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين
الي الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون
ابصارهم قال ∴ تعبدني نمر بن سعد وقد اري ∴ ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع ∴
يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح
فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معني قوله فكذبوا بعد قوله
كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا علي عقب
تكذيب كلما مضي منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح
الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا
كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه
بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل
هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت
بلبه وطارت بقلبه فدعا ربه اني مغلوب قري اني بمعني فدعا باني
مغلوب واني علي ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم
يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب
تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبي
فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتي يخر مغشيا عليه
فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر قري ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب
في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا
الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض
ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقي الماء يعني مياه السماء
والارض وقري الماآن اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه
قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال ∴ ∴
لنا ابلان فيها ما علمتم ∴ ∴ وقري الحسن الماوان

بقلب

بقلب الهمزة واوا كقوله علباوان علي امر قد قدر علي حال قدرها الله
كيف شاء وقيل علي حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل
من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل علي امر قد قدر
في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه علي ذات الواح
ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب
منابها وتودي مودها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ∴
∴ ولكن قميصي مسرودة من حديد ∴ اراد ولكن قميصي درع وكذلك ∴
∴ ولو في عيون النازيات باكرع ∴ اراد ولو في عيون
الجراد الا تري انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه او بين الدرع والجراد
وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار
وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه تجري باعيننا
جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء
لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله
ورحمة قال الله تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام
نعمة مكفورة ومن هذا المعني ما يحكي ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك
فقال ما معني هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون
علي تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقري قتادة كفر اي جزاء للكافرين
وقرا الحسن جزاء اي مجازاة ولقد تركناها اية فهل من مدكر الضمير في تركناها
للسفينة او للفعلة اي جعلناها اية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض
الجزيرة وقيل علي الجودي دهرا طويلا حتي نظر اليها اوائل هذه الامة
والمدكر المعتبر وقري مذتكر علي الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام
الذال فيها وهذا نحو مزجر فكيف كان عذابي ونذر والنذر جمع نذير
وهو الانذار ولقد يسرنا القران للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان
شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر
فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه
فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعني ولقد هياناه للذكر
من يسرنا قته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا سرجه والجمه قال
∴ وقمت اليه باللجام ميسرا ∴ هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ∴
ويروي ان كتب اهل الاديان نحو التورية والانجيل لا يتلوها اهلها
الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القران كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم
لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر في يوم نحس
في يوم شوم وقري في يوم نحس كقوله في ايام نحسات قد استمر عليهم
ودام حتي اهلكهم او استمر عليهم جميعا علي كبيرهم وصغيرهم حتي لم يبق
منهم نسمة وكان في يوم اربعاء في اخر الشهر لا تدور ويجوز ان يريد بالمستمر
الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون
اخذين بعضهم بايدي بعض فيتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر
فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر
يعني انهم كانوا يتساقطون علي الارض امواتا وهم جثث طوال عظام
كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل
شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع روسهم فتبقي اجسادا بلا

روس وذكر صفة نخل علي اللفظ ولو حملها علي المعني لانث كما قال اعجاز
نخل خاوية فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره
نتبعه وقري ابشر منا واحد علي الابتدا ونتبعه خبره والاول اوجه
للاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك
كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر
الجنون يقال ناقة مسعورة قال ∴ ∴ ∴ ∴
∴ كان بها سعرا اذا العيس هزها ∴ ذميل وارخاء من السير متعب ∴
فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت
قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من
جنس اعلي من جنس البشر وهم الملايكة ∴ وقالوا منا لانه اذا كان منهم
كانت المماثلة اقوي وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا ارادوا
واحدا من افنايهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم ءالقي
الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من احق منه بالاختيار
للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم
علينا علي ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة
من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقري ستعلمون بالتاء علي حكاية
ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله علي سبيل الالتفات وقري
الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر واخوات لها
وقري الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم
هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض فقد حكي ابن الاعرابي
ان العرب تقول هو اخير واشر وما اخيره وما اشره انا مرسلوا الناقة
باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء
فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر علي اذاهم
ولا تعجل حتي ياتيك امري ونبيهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم
لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلا كل شرب
محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن
في نوبتها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطي فاجترا
علي تعاطي الامر العظيم غير مكترث فعقر فاحدث العقر بالناقة وقيل
فتعاطي الناقة فعقرها او فتعاطي السيف فكيف كان عذابي ونذر
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر
والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي تعمل الحظيرة وما
يحتظر به ييبس بطول الزمان ويتوطاه البهايم فيتحطم ويتهشم وقرا
الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر بقطع من
الليل وهو السدس الاخر منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلي قبل
انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد ∴ ∴
∴ مرت باعلي السحرين تدال ∴ وصرف لانه نكرة ويقال
لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة من عندنا انعاما مفعول له

كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه السلام
بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه فطمسنا اعينهم فمسخناها وجعلناها كساير الوجه لا يري لها
شق وروي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملايكة خلهم
يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم
يترددون لا يهتدون الي الباب حتي اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا
علي السنة الملايكة ∴ عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة اول النهار وباكره كقوله
مشرقين ومصبحين وقرا زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول اتيته بكرة
وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت
بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الي ان يفضي
بهم الي عذاب الاخرة فان قلت ما فايدة تكرير قوله فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قلت فايدته ان
يجددوا عند استماع كل نبا من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا
تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث علي ذلك والبعث عليه وان تقرع لهم
العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم
الغفلة ∴ وهكذا حكم التكرير لقوله فباي الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها
في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية اوردها في سورة
المرسلات وكذلك تكرير الانبياء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة
للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء ال فرعون
النذر موسي وهارون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به
المرسلون او جمع نذير وهو الانذار كذبوا باياتنا بالايات التسع فاخذناهم
اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم يا اهل مكة خير من اوليكم
الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وال فرعون اي اهم خير
قوة والة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفارهم مثل اوليك
بل هم شر منهم ام لكم براءة في الزبر ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب
المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان امنا من عذاب الله فامنتم
بتلك البراءة ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام
ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال
نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت
هذه الاية قال عمر اي جمع يهزم فلما راي رسول الله صلي الله عليه وسلم
يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفت تاويلها ويولون الدبر اي الادبار
كما قال كلوا في بعض بطنكم وقري الادبار بل الساعة موعدهم والساعة
ادهي اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه وامر
من الهزيمة والقتل والاسر وقري سيهزم الجمع ان المجرمين في ضلال وسعر
في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الاخرة يوم
يسحبون في النار علي وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس
الحمي وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها
وكانت تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يوذي ويولم وذوقوا
علي ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته
قال ذو الرمة ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴
∴ اذا ذابت الشمس اتقي صقراتها ∴ بافنان مربوع الصريمة معبل ∴

وعدم صرفها للتعريف والتانيث انا كل شي خلقناه بقدر كل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقري كل شي بالرفع والقدَر والقدْر التقدير وقري بهما اي خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شي لم يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر وكل شي فعلوه في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كاين مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر وانهار اكتفي باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقري بسكون الهاء ونُهُر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقري في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وهي ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان عدد الله عز وجل الاءه فاراد ان يقدم اول شي ما هو اسبق قدما من ضروب الائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيدا اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد مما تنكر من احسانه الشمس والقمر بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق يسجدان وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن والاءه كما يبكت منكرا ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط

بينهما

بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلتين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان يذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القران جعله علامة واية وعن ابن عباس الانسان ادم وعنه محمد صلى الله عليهما وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا لان لا تطغوا او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول في الميزان واقيموا الوزن بالقسط واقيموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقري والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والحب ذو العصف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقري والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحبَّ ذا العصف والريحان وخلق الحب والريحان اي واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فباي الاء ربكما تكذبان والخطاب في ربكما للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حما مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا وخلق الجان من مارج من نار والجان ابو الجن قيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت

ما معنى قوله من نار قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار
او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى فباي
الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي الاء ربكما تكذبان
وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي
الصيف والشتا ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان ارسل البحر الملح والبحر
العذب متجاورين مبتلقيين لا فصل بين الماءين في مراي العين بينهما
برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما
على الاخر بالممازجة فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي
الاء ربكما تكذبان قرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل
اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر
وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فان قلت
لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء
الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من
جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة
من محاله بل دار واحد من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح
والعذب وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي الاء ربكما تكذبان
الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف اليا ورفع الرا ونحوه ؞
؞ لها ثنايا اربع حسان ؞ واربع فكلها ثمان ؞
والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او
اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل كل من
عليها على الارض فان ويبقى وجه ربك ذاته والذات يعبر به عن الجملة
والذات ومساكين مكة يقولون اي وجه عربي كريم ينقذني من الهوان
ذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرئ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه
الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال
له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه
الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر برجل وهو
يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فان قلت
ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهي مجيء وقت الجزا عقيب ذلك
فباي الاء ربكما تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان
فباي الاء ربكما تكذبان كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه يسأله
اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم
كل يوم هو في شان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك
الشان فقال ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وعن
ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا
فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحيا والمنع والاعطا والاخر
يوم القيمة فشانه فيه الجزا والحساب وقيل نزلت في اليهود حين
قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا وسال بعض الملوك وزيره
عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي
اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا

افسرها

افسرها فاعلمه فقال له ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما
ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا
ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع ثياب
الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا
الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها
لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم
توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله خص هذه الامة
بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل
ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له
الا ما سعاه عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو
في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل
راسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان
سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سانجرد
للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد
التوفر على النكاية والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ اخرها
وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان
فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل
وقرئ سيفرغ لكم اي الله تعالى وسافرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا
ومكسورا وفتح الرا وسيفرغ باليا مفتوحا ومضموما مع فتح الرا وفي
قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله
ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن
سماي وارضي فافعلوا ثم قال لا تنفذون الا بسلطان لا تقدرون على النفوذ الا
بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السماء فباي الاء ربكما تكذبان وروي ان الملائكة تنزل
فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون
وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس
شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس
الدخان وانشد ؞ تضيء كضوء سراج السليط ؞ لم يجعل الله فيه نحاسا ؞
وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا
من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على
شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان
نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب وقرئ نرسل
عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي
الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم
ما يدهن به كالحزام والادام قال ؞ ؞ ؞

كانهما من ادتا متنجل ∴ فوبان لما تدهنا بدهان ∴
وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرا عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى
فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله ∴
فلئن بقيت لارحلن بغزوة ∴ نحو الغنايم او يموت كريم ∴
فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسال عن ذنبه انس بعض الانس
ولاجان اريد ولاجن اي ولابعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن
موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله
عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لايسالون لانهم يعرفون
بسيما المجرمين وهو سواد الوجه وزرقة العيون فان قلت
هذا خلاف قوله فوربك لنسالنهم اجمعين وقفوهم انهم مسؤلون
قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون في مواطن ولايسالون
في اخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايسال عن ذنبه ليعلم
من جهته ولكن يسال سؤال توبيخ وقرى الحسن وعمرو بن عبيد ولاجان
فرارا عن التقاء الساكنين وان كانت على حده فباي الاء ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام عن الضحاك
يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم
الملائكة تارة بالنواصي وتارة تاخذ بالاقدام فباي الاء ربكما تكذبان تاخذ
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان
فباي الاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب
عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا
من النار جعلوا غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم
يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون به حتى
تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرى
يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي
قراة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لاتموتان
ولاتحييان تطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة
الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف ولمن خاف
مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم الناس لرب العالمين ونحوه
لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قايم عليه اي حافظ
مهيمن من قوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك
فلايجسر على معصية وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب ∴
فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ∴ ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين
يريد ونفيت عنه الذئب فان قلت لم قال جنتان قلت
الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف
الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات
وجنة لترك المعاصي لان التكليف داير عليهما وان يقال جنة
يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة ذواتا
افنان فباي الاء ربكما تكذبان خص الافنان بالذكر وهي الغصنة
التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد

الظلال ومنها يجتنى الثمار وقيل بالوان النعم ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين ∴ ومن كل افنان اللذاذة والصبي ∴ لهوت به والعيش اخضر ناضر ∴
فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان
من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى
السلسبيل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان
قيل صنف معروف وصنف غريب فباي الاء ربكما تكذبان متكئين
نصب على المدح للخائفين اوحال منهم لان من خاف في معنى الجمع على فرش
بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق
فما ظنك بالظهاير وقيل ظهايرها من سندس وقيل من نور وجنا
الجنتين دان قريب يناله القايم والقاعد والنايم وقرى وجنى بكسر
الجيم فباي الاء ربكما تكذبان فيهن في هذه الالاء المعدودة من
الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما
لهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن
ابصارهن على ازواجهن لاينظرون الى غيرهم لم يطمثهن انس
قبلهم ولاجان فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمث الانسيات كما لم يطمث منهن
احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون
الانسيات كما يطمث الانس وقرى لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء
الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء
تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر
في الزجاجة البيضا هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب
فباي الاء ربكما تكذبان وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي
مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اسا اسي اليه ومن
دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان
لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان
قد ادهامتا من شدة الخضرة فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح
غير معجمة مثل الرش فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان
فباي الاء ربكما تكذبان فان قلت لم عطف النخل والرمان على
الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما
لما لهما من المزية جنسان اخران كقوله وجبريل وميكايل اولان النخل
ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه
قال ابو حنيفة اذا حلف لاياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه
صاحباه فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان خيرات خيرات
فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير
فلايقال فيه خيرون ولاخيرات وقرى خيرات على الاصل والمعنى
فاضلات الاخلاق حسان الخلق حور مقصورات في الخيام قصرن
في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصيرة ومقصورة مخدرة وقيل
ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولاجان فباي الاء ربكما تكذبان قبلهم قبل اصحاب الجنتين
دل عليهم ذكر الجنتين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي
الاء ربكما تكذبان ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من

البسط وقيل البسط وقيل الوسايد وقيل كل ثوب عريض رفرف
ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه
والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شي
عجيب وقري رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر
في اسم البلد وروي ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا
الاوجه لصحته **فان قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين
عن الاولين حتى قيل ومن دونهما **قلت** مدهامتان دون ذواتا
افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور
والمتكا **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** وقري ذو الجلال صفة
للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قري سورة الرحمن ادي شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة وقعت الواقعة كقولك كانت الكاينة وحدثت الحادثة
والمراد القيمة وصف بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي
لابد من وقوعها ووقوع قران نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل
ما كنت اترقب نزوله **فان قلت** بم انتصب اذا **قلت** بليس
كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كانت كيت
وكيت او باضمار اذكر **ليس لوقعتها كاذبة** نفس كاذبة اي لا تكون حين
تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ
مومنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لا يومنون به حتى يروا العذاب
الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها
في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها
لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم
كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له
انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعت لا تطاقة
شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدث به عند
عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يوميذ اضعف
من ذلك واذل الا ترى الى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف
وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه
فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته
به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير

اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

اي اذا وقعت
لم تكن لها رجعة ولا ارتداد **خافضة رافعة** على هي خافضة رافعة
ترفع اقواما وتضع اخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات
العظام كذلك ترفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقيا
يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها
تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا
حيث تسقط السما كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال
فتمر في الجو مر السحاب وقري خافضة رافعة بالنصب على الحال
اذا رجت الارض رجا رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم

كل شي فوقها من جبل وبناء **وبست الجبال بسا** وفتت حتى تعود
كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال
فكانت هباء منبثا متفرقا وقري بالتاء اي منقطعا وقري رجت
وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها
راج وهي تمشي وتفاج **فان قلت** بم انتصب اذا رجت **قلت**
هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض
وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرفع
ما هو منخفض **وكنتم ازواجا ثلاثة** ازواجا اصنافا يقال للاصناف
التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج **فاصحاب الميمنة**
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة واصحاب
الميمنة الذين يوتون صحايفهم بايمانهم واصحاب المشامة الذين يوتون
بشمايلهم واصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان
مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة
وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاومهم بالشمايل ولتفاولهم بالسانح وتطيرهم
من البارح وكذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى
وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة واصحاب اليمين والشوم لان
السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقيا مشائيم عليها بمعصيتهم
وقيل يوخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال **والسابقون**
السابقون والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه
وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير
في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب
ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب
اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة عمره ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا
صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة تعجيب من حال
الفريقين في السعادة والشقا والمعنى اي شي هم والسابقون السابقون
يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله
عبد الله وقال ابو النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى
اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واوليك
المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا
السابقون اوليك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام
الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة ما اصحاب المشامة **اوليك المقربون**
في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت
مراتبهم وقري في جنة النعيم **ثلة من الاولين** والثلة الامة من الناس
الكثيرة قال

وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله **وقليل من الاخرين** كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر
كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت
منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى
محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين وهم امة محمد وقيل من
الاولين من متقدمي هذه الامة ومن المتاخرين من متاخريها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال
وقليل من الاخرين ثم قال وثلة من الاخرين **قلت** هذا في السابقين

وذاك في اصحاب اليمين فانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين جميعا
فان قلت فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الاية واردة
في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا
ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني
ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي
امتنا وتابعوا الامم مثل تابعي امتنا وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة
على سرر موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل
بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع قال الاعشى ⁂
ومن نسج داود موضونة ⁂ ⁂ وقيل متواصلة
ادنى بعضها من بعض متكئين عليها متكئين حال من الضمير في على وهو
العامل فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء
بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب يطوف
عليهم ولدان مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة
لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد
اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيات فيعاقبوا عليها
وروي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام
اهل الجنة باكواب واباريق وكاس من معين الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم
والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر
صداعهم عنها او لا يفرقون عنها ولا ينزفون وقرا مجاهد لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يصدعون ويصدعون اي
لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما يتخيرون ياخذون
خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون ويشتهون يتمنون وقرى ولحوم
طير وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وقرى وحور عين بالرفع
على وفيها حور عين كبيت الكتاب ⁂
الا رواكد جمرهن هباء ⁂ ومشجج ⁂ او للعطف
على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة
ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء بما كانوا
يعملون جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما سلاما اما بدل من قيلا
بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى
لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام
بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرى سلام عليكم على الحكاية واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود السدر شجر
النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد
الموقر الذي يثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب
الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل
وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع وقال وما شان الطلح وقرا قوله لها

طلع نضيد فقيل او نحولها قال اي القران لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن
عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق
بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس وماء مسكوب مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل
دايم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة هي دايمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا
ممنوعة تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا
وقرى وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين وفرش
جمع فراش وقرى وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة
على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك
قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا
انشاناهن وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن
انا انشاناهن انشاء ابتداء اي ابتداناهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما
ان يراد اللاتي ابتدى انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة سالته عن قول الله عز وجل انا انشاناهن
فقال يا ام سلمة هن اللاتي قبضن في دار الدنيا عجايز شمطا رمصا جعلهن
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة ذلك قالت واوجعاه
فقال رسول الله ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجايز فولت وهي تبكي
فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الاية فجعلناهن
ابكارا عربا وقرى عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة
التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم تدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا
مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا
وجعلنا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال في سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم ماء حار متناهي الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه
يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه
ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل
من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان النفي في نحو هذا شانا
ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد
الكريم الذي هو لاضدادهم في اهل الجنة وقرى لا بارد ولا كريم بالرفع
اي لا هو كذلك انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث
العظيم والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم
ووقت المواخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث
اذا تاثم وتحرج وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون او اباؤنا الاولون اواباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف
العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون
من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن
في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرى اوباؤنا

قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقري لمجمّعون الى ميقات يوم معلوم
الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات
ما وقت به الشي اي حدّ ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من
يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون
بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لاكلون من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى
وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل
الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه يفسرها وهي في معناه
فمالئون منه البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
شرب الهيم قري بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق
ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم
وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال
ذو الرمة ۞ فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ۞ صداها ولا يقضي عليها هيامها ۞
وقيل الهيم الرمال ووجهه ان تكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل
الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل
بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم
الذي هو كالمهل فاذا ملاوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم
الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت
كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان
متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من
حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء
امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا
صفتين مختلفتين هذا نزلهم يوم الدين النزل الرزق الذي يعد
للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي
الشعر الضبي ۞ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ۞
وقري نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض على التصديق
اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف
ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا
لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه
في الارحام من النطف وقرا ابو السماك بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها
قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه ام
نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة
الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من
قصير وطويل ومتوسط وقري قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين
سبقته على الشي اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا
عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق
وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر
على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم
ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي
انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم فيما لا تعلمون وننشئكم

في صفات لا تعلمون ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون قري النشاة
والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشاة
الاخرة على الاولى افرايتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام اي تبذرون حبه
وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي
الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت
وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية ام نحن الزارعون لو نشاء
لجعلناه حطاما الحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار
هشيما وتحطم فظلتم وقري بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون
وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي
التي اصبتم بذلك من اجلها وقري تتفكهون ومنه الحديث مثل العالم مثل الحمة
ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي
قوم يتفكهون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون
غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن
قوم محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين
لما جرى علينا هذا وقري ءانا افرايتم الماء الذي تشربون يريد الماء العذب
الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن والمزن السحاب الواحد مزنة وقيل
هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه
اجاجا فلولا تشكرون اجاجا ملحا زعاقا لا يقدرون على شربه فان قلت
لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ها هنا
قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق
الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيه
معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع
لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت
هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا
مكانه فلان الشي اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا به لم يبال
باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة
انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي
حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس ۞ ۞ ۞
۞ حتى اذا الكلاب قال لها ۞ كاليوم مطلوبا ولا طلبا ۞ ۞
وحذفه لم ارفان حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى
الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن
ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد
لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المشروب
وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه
تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست
قعدت تحت قول ابي العلاء ۞ ۞ ۞ ۞ ۞
۞ اذا سقيت ضيوف الناس محضا ۞ سقوا اضيافهم بشما زلالا ۞
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية
المطعوم على اية المشروب تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب
تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون افرايتم النار التي تورون
ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما

بالنخل والطروقة وسحرتها التي منها الزناد نحن جعلناها تذكرة تذكيرا النار
جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوي لتكون
حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة
وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ناركم هذه
التي التي يوقد بني ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة
للمقوين الذين ينزلون القوا وهو القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم اكل شيئا فسبح باسم ربك فاحدث
التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك العظيم صفة للمضاف
او للمضاف اليه والمعني انه لما ذكر ما دل علي قدرته وانعامه علي عباده
قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون
الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط
الائه واياديه الظاهرة واما شكرا لله علي النعم التي عدها ونبه عليها
فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل
الكتاب وقري الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت
علي جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا
ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون
المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال
وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل
الله تعالي في اخر الليل اذا انحطت النجوم الي المغرب افعالا مخصوصة
عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين
والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك
اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد
بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل علي عظيم القدرة والحكمة
ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض
لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقران كريم واعترض
بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع
نجوم القران اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع
جم المنافع او كريم علي الله في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة
لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب
وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته
صفة للقران فالمعني لا ينبغي ان يمسه الا من هو علي الطهارة من الناس
يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله علي القراة ايضا وعن ابن عمر
احب الي ان لا يقراه الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح
القراة للجنب ونحوه قول رسول الله صلي الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي ان يظلمه او يسلمه وقري لا يمسه الا المطهرون
وقري المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره والمطهرون انفسهم
بمعني يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل
صفة رابعة للقران اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل
نجوما من بين ساير كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جري مجري بعض
اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل علي حذف
المبتدا وقري تنزيلا علي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران

انتم

انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا
يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون علي حذف المضاف
يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر
وقري علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل
نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر
ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الي النجوم
وقري تكذبون وهو قولهم في القران سحر وشعر وافتراء وفي المطر انه من الانواء
ولان كل مكذب بالحق كاذب فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون
ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
ان كنتم صادقين ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم
غير مدينين فلولا الثانية مكررة للتاكيد والضمير في ترجعونها للنفس
وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان
الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل المنة بقدرتنا او بملائكتنا
الموت والمعني انكم في جحودكم افعال الله واياته في كل شيء ان انزل اليكم كتابا
معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب
وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا علي مذهب يؤدي الي الاهمال
والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الي البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم
يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد
فاما ان كان المتوفي من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة
في اول السورة فروح وريحان وجنة نعيم فله استراحة وروت عايشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فروح بالضم وقرا به الحسن
وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهي
وهي الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام
لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك
كقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقري بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت
بالرفع والجر عطفا علي نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو
حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم جاء في الفواتح سبح علي
لفظ الماضي وفي بعضها علي لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان شان
ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا
الفعل باللام تارة وبنفسه اخري في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه
لان معني سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد واللام
لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح الله
احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتاتي
منه التسبيح ويصح له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو علي كل
شيء قدير فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل

ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات والارض وان يكون مرفوعا
علي هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف
والبيض والموتي يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان
قبل كل شي والاخر الذي يبقي بعد هلاك كل شي والظاهر بالادلة الدالة عليه
والباطن لكونه غير مدرك بالحواس وهو بكل شي عليم فان قلت
فما معني الواو قلت الواو الاولي معناه الدلالة علي انه الجامع بين
الصفتين الاولية والاخرية والثالثة علي انه الجامع بين الظهور والخفا
واما الوسطي فعلي انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين
الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها
ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفا فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة
علي من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي علي كل شي الغالب
له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شي اي علم باطنه وليس
بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوي علي العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون
بصير له ملك السموات والارض والي الله ترجع الامور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال
الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء
في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء
النواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون علي
الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان
قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم
اليكم وسينتقل منكم الي من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها
انفسكم فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تومنون بالله
لا تومنون حال من معني الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعني ما تصنع
قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم
واو الحال فهما حالان متداخلتان وقري وما لكم لا تومنون بالله ورسوله
والرسول يدعوكم والمعني واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك
وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم
الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم واذا لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول
وتنبيه الرسول فما لكم لا تومنون ان كنتم مومنين لموجب ما فان هذا
الموجب لا مزيد عليه وقري اخذ ميثاقكم علي البناء للفاعل وهو الله عز وجل
هو الذي ينزل علي عبده ايات بينات ليخرجكم الله باياته من الظلمات
الي النور من ظلمات الكفر الي نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان
الله بكم لرءوف وقري لرؤوف وما لكم الا تنفقوا في ان لا تنفقوا
في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شي فيهما لا يبقي
منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق
في سبيل الله والجهاد مع رسول الله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو
من ابلغ البعث علي البعث في الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت

بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اي لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس
في سبيل الله افواجا وقلة الحاجة الي القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد
الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلي الله عليه وسلم
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقري قبل الفتح وكلا وكل واحد من
الفريقين وعد الله الحسني اي المثوبة الحسني وهي الجنة مع تفاوت الدرجات
وقري بالرفع علي وكل وعده الله والله بما تعملون خبير وقيل نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك
بالقرض علي سبيل المجاز لانه اذا اعطي ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه
له اي يعطيه اجره علي انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم
يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقري فيضعفه
وقريا منصوبين علي جواب الاستفهام والرفع عطف علي يقرض او علي فهو يضاعفه
يوم تري المومنين والمومنات يسعي نورهم بين ايديهم وبايمانهم يوم تري
ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال
بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين
كما ان الاشقياء يوتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا
لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب
بهم الي الجنة ومروا علي الصراط يسعون بسعيهم ذكر النور جنيبا لهم
ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشريكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم وقري ذلك الفوز
يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا يوم يقول بدل من يوم تري
انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الي الجنة كالبروق الخاطفة علي ركاب
تزف بهم وهولاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقري انظرونا من النظرة
وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الي ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس
من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الي الموقف حيث
اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الي الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا
عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الي هذا النور وقد علموا ان لا نور
وراءهم وانما هو تخييب لهم واقناط فضرب بينهم بين المومنين
والمنافقين بسور بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل
هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن
السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره ما ظهر لاهل
النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقري
زيد بن علي فضرب بينهم علي البناء للفاعل ينادونهم الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلي ولكنكم فتنتم انفسكم فتنتم محنتموها
بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمومنين الدوائر وغرتكم الاماني

طول الامال والطمع في امتداد الاعمار حتى حتى جاء امر الله وهو الموت
وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور
بالضم فاليوم فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي موليكم
قيل هي اولى بكم وبئس المصير وانشد قول لبيد ❊
❊ فغدت كلا الفرجين تحسب انه ❊ مولى المخافة خلفها وامامها ❊
وحقيقة موليكم محريكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل
هو مئنة للكرم اي مكان يقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر
لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر
الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا
اعمال اهل النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
الم يان من انى الامر يانى اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين
بمعنى انى يانى والم يان قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطا
قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن
اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤن من القران اقل مما تقرؤن فانظروا
في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه
ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا
فنظر اليهم فقال هكذا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل ولا
يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون
نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان
بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل
خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة
واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى
لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق
القران لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان
يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القران كقوله واذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده
وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن
دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض
قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات المصدقين
المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين وهم من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعني المومنين واقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم اجر كريم فان قلت علام عطف قوله واقرضوا
الله قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين
واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا
والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة
النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين
اي يضاعف الله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون

والشهداء

والشهداء عند ربهم يريد ان المومنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة
الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل
نورهم فان قلت كيف يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت
قلت المعنى ان الله يعطي المومنين اجرهم ويضاعف لهم بفضله حتى
يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم
اجرهم خبره والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي
الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب
واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب
الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع
قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر
وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين
وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله سارعوا
سابقوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض
قال السدي كعرض سبع سموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان
كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله واذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان
طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض
لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده على المسارعة
الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز
بدخول الجنة ذلك فضل الله عطاؤه يوتيه من يشاء وهم المومنون والله ذو الفضل
العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من
قبل ان نبراها والمصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي
الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبراها يعني الانفس
او المصائب ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان
كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تاسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند
الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان ما عنده مفقود
لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان
بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله
والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال
وافتخر به وتكبر على الناس وقرئ بما اتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي
قراءة ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة
تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن
المخرج الى ما يذهب صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب
الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد يخلو منه مع
الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الذين

يبخلون ويامرون الناس بالبخل الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه
تعالى لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا او حظا
من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمة في عيونهم يزوونه عن حقوق الله
ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يبخلوا الناس على البخل ويرغبونهم في الامساك
ويزينونه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن
اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالاتي
فان الله غني عنه حميد وقرئ بالبخل وقرا نافع فان الله الغني وهو في مصاحف
اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملايكة الى الانبيا بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان ليقوم الناس بالقسط
روي ان جبريل نزل بالميزان ودفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا
الحديد قيل نزل ادم من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد والنار والما والملح
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره
تنزل من السما وقضاياه واحكامه فيه باس شديد وهو القتال به
ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد
التها فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف
والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعدا الدين بالغيب غايبا عنهم قال ابن
عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز بقدرته وعزته في اهلاك
من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه
الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
الوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتبت كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من
المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين مهتد وكثير منهم فاسقون
وهو هذا التفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا
على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية وقرا الحسن الانجيل بفتح
الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفا لان الكلمة
اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرا رافة على فعالة اي وفقناهم للتراحم
والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله رحما بينهم والرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة
وذلك ان الجبابرة ظهروا على المومنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث
مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا
الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب
وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر
رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
يريد اهل الرحمة والرافة الذين اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون الذين
لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها
وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة

ورهبانية

ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع
الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا
بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك
رضى الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا المومنين
المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يا ايها الذين امنوا يجوز ان
يكون خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب والذين امنوا من غيرهم فان كان
خطابا لمومني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد
يوتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل
لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر
لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلم اهل
الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة عن الثقيلة
اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شي من فضل الله اي
لا ينالون شيا مما ذكر من فضله من الكفلين النور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول
الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم
فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يوتكم ما وعد من امن من اهل
الكتاب من الكفلين في قوله يوتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم
مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم
جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون
رجلا ايذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا
مع وقد تهيا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول
الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين
اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يومن
من اهل الكتاب قوله يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من
امن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما
فضلكم علينا فنزلت وروي ان مومني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من
المومنين بانهم يوتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ
لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في اليا والييعلم
بقلب الهمزة يا وادغام النون في اليا وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون
اليا ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت
نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة يا كقوله ديوان وقيراط
ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد واريد لانسى ذكرها
وقرئ ان لا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد
مثل يوتيه من يشا ولا يشا الا ايتا من يستحقه والله ذو الفضل العظيم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله
ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي اثنى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع
تحاوركما ان الله سميع بصير قد سمع الله قالت عايشة رضي الله عنها
الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى

الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع الله لها وعن عمر رضي
الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقري تحاورك اي
تراجعك الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس
بن الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت
راودها فابت فغضبت وكانت به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما
خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت
ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما
عندي في امرك شي وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر
طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو
الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت
الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع
كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع الله
قلت معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع
الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم
من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان في ايمان
اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ماهن امهاتهم وقري بالرفع على اللغتين
الحجازية والتميمية وفي قراة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة البا في لغة من
ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا الزوج
بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللاي
ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات
بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع
في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المومنين
لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات
فابعد شي من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم
الامهات وانهم ليقولون منكرا من القول فكان قول المظاهر منكرا من القول
تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا كذبا وباطلا منحرفا عن الحق
وان الله لعفو غفور لما سلف اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم
ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر
منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه اخر ثم يعودون
لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل
عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول
وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالها كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث
وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله ونرثه ما يقول ويكون المعنى
ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس شهوة
او نظر الى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل
على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار
وتخافوا عقاب الله عليه والله بما تعملون خبير فان قلت هل

يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا
منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا
اخر يحرم النظر اليه من الام كالفخذ والبطن او مكان الام ذات رحم محرم منه
من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع
او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو
مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي
والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي رحمه الله لا يكون الظهار الا بالام
وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات
والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدين
دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان
قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه قلت
لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره ان يكفر وان يحبسه ولا شي من الكفارات
يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير
والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس
قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان
سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي
ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك
ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار
قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي
لا تجزي الا المومنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة ولا تجزي
ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيا وان لم يود جاز وعند الشافعي
لا يجوز فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم
يستطع فاطعام ستين مسكينا فان قلت فان اعتق بعض
الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه ان يستانف
نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابي يوسف
عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزئه وان كان المس يفسد الصوم استقبل
والا بنى فان قلت كم يعطي المسكين في الاطعام قلت نصف صاع
من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه
مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر
عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك
فعند ابي حنيفة رحمه الله انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب
تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد
في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند
غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت
الضمير في لم يتماسا الام يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من
المظاهر والمظاهر منها ذلك لتومنوا بالله ورسوله ذلك البيان والتعليم
للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها
من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله
التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب
اليم ان الذين يحادون الله ورسوله يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا
واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق

وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شي ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شي شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شي عليم ما يكون من كان التامة وقرى بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شي من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل وجعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى تدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمومنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان ابن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشيا بغير سبب فقد علم كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتقاولين للشورى والمندبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طايفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرا ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقوله لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو

معهم وقرى ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرى ثم ينبئهم على التخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل حالهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرى ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يصلونها وبئس المصير يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باوليك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج دون صاحبها فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث وقرى فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المومنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرى ليحزن وليحزن يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس تفسحوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرا تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرى في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرى في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا فانشزوا انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين اذا نهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله الذين امنوا منكم يرفع الله المومنين بامتثال اوامره واوامر رسول الله والعالمين منهم خاصة والذين اوتوا العلم درجات

والله بما تعملون خبير بما تعملون قرى بالتاء والياء وعن عبد الله ابن مسعود
انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد
كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة
ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين
النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان عليه
السلام بين الملك والعلم فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال صلى
الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن
بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من
ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد
بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا تحبه الا ذكورة الرجال
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم فقدموا بين يدي نجواكم صدقة بين يدي
نجويكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت
العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به
اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقدم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة
طهرة فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم روي ان الناس اكثروا مناجاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان
يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة
قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة
قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير
فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل
ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل
بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله
وعن ابن عمر كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت
احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاه الراية يوم خيبر واية النجوى
قال ابن عباس هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة
ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اشفقتم اخفتم تقديم
الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم
وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا
الله ورسوله فلا تفرطوه في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير
بما تعملون قرا بالتاء والياء الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم
كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله
من لعنه الله وغضب عليه فيناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المومنين
ما هم منكم ولا منهم يا مسلمون ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله
انا المسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت ما فائدة قوله وهم يعلمون

قلت

قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم
يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون
بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل يجالس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله
في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول
على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا
ايمانهم التي حلفوا بها وايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من
المومنين ومن قتلهم فصدوا الناس في اختلال منهم وسلامتهم عن سبيل الله
وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين
عندهم وانما وعدهم العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون من الله
من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم
يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له فيحلفون لله على انهم مسلمون في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك
ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم من حلفهم
لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واجتلاب
فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون
ولكن العجب من حلفهم الله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى
علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان
ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الاخرة والقران ناطق بثباته نطقا مكشوفا
كما ترى في هذه الاية وفي قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا
على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء من النفع
اذا حلفوا استبطاؤهم المومنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان
الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون
يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم
فيه في الدنيا والاخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حاذ الحمار العانة
اذا جمعها وساقها غالبا لهم ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على
الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان بطاعتهم له كل ما يريده
منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ذكر الله فانساهم ان يذكروا الله
اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله
ورسوله في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم
كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما ان الله
قوي عزيز لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله

اولئك في الاذلين

ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم لا تجد قوما
من باب التخييل خيل ان الممتنع المحال ان تجد قوما مومنين يوالون المشركين
والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة
في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله
ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا
بقوله ولو كان اباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه
وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيا
ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص
نفسه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم
بروح منه بلطف منه حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح
من الايمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون
انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور
في الطواف فلما عرفه هرب منه فتلاها الا ان حزب الله هم المفلحون وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق
عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته
وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله الجراح يوم احد وفي ابي بكر
دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال للرسول دعني اكن في الرعلة الاولى قال
متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي
مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر رضي الله عنه
قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي
الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر صالح بنو النضير رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو
النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا
عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا
غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم
بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذاك فتنادوا
بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام
ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن
فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على
الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب
في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء

على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاء من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا
واذرعات الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا
بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام
في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي وقوله جيته لوقت كذا والمعنى اخرج
الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام
وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من
جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى
الشام وقيل اخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة
من شك ان المحشر هاهنا يعني الشام فليقرا هذه الاية وقيل معناه اخرجهم
من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة
عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله وظنوا
ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتيهم امر الله من حيث لم يحتسبوا
من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم
الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المومنين
في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم
عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتيهم الهلاك فان
قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل
فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وتصيير ضميرهم اسما لان واسناد
الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها
باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان
حصونهم تمنعهم وقرى فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يا اولي
الابصار والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته
وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانه قذف باللحم قذفا لاكتنازه
وتداخل اجزائه قرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب
الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون
ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة
دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب
والحجارة ليسدوا بها ابواب الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على
بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب
والساج المليح واما المومنون فداعيهم ازالة متحصنهم وممتنعهم
وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها
بايدي المومنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم
امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم
وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله عليه
السلام المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال كما قال يعني
ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من
جوارهم وتوريثهم اموالهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء فلولا

انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الي اختياره انه اشق عليهم
من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظه ولهم في الاخرة
عذاب النار ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب
الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق
الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة
من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شي قطعتم
وانث الضمير الراجع الي ما في قوله او تركتموها لانه في معني اللينة واللينة
النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود
النخل وياوها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة
النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة ؛؛
؛؛ كان قتودي فوقها عش طايرة ؛؛ علي لينة سوقاء تهفوا جنوبها ؛؛
وجمعها لين وقري قوما وعلي اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن واكتفي
فيه بالضمة عن الواو وقري قايما علي اصوله ذهابا الي لفظ ما فباذن الله
فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذن
في قطعها وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حين امر ان تقطع نخلهم
وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل
وتحريقها فكان في انفس المومنين من ذلك شي فنزلت يعني ان الله اذن لهم
في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعفكم حسرة اذا رايتموهم يتحكمون في اموالكم
كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاوا واتفق العلماء ان حصون الكفرة وديارهم
لا باس ان تهدم وتحرق وتغرق وترمي بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس
بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا
للقتال فان قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت
من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرايم النخل
فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة
والاخر اللون فسالهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا
قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به علي جواز الاجتهاد وعلي جوازه
بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد
مصيب وما افاء الله علي رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
ولكن الله يسلط رسله علي من يشاء والله علي كل شي قدير ما افاء الله
علي رسوله من اهل القري فلله وللرسول ولذي القربي والمساكين
وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم افاء الله علي رسوله جعله
فيئا له خاصة ولا ايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه
السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل
علي هينتكم ومعني فما اوجفتم علي تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا
ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه علي ارجلكم والمعني ان ما خول
الله رسوله من اموال بني النضير شي لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن
سلطه الله عليهم وعلي ما في ايديهم كما كان يسلط رسله علي اعدايهم والامر
فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنايم التي
قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت لم
يدخل العاطف علي هذه الجملة لانها بيان للاولي فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضع حيث يضع

الخمس من الغنايم مقسوما علي الاقسام الخمسة والدَولة والدُولة بالفتح والضم
وقد قري بهما ما يدول للانسان اي ما يدور من الجد يقال دالت له الدولة وادِيل
لفلان ومعني قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفي الذي حقه
ان يعطي الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او
كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعني الدولة الجاهلية ان الروسا منهم كانوا يستاثرون
بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعني
كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا
ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الدولة ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغرف يعني كيلا يكون الفي شيا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعني التداول اي كيلا يكون ذا تداول
بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الي الفقراء وقري دولة بالرفع
علي كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعني كيلا تقع دولة جاهلية ولينقطع
اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شي متعاور بينهم غير مخرج الي الفقراء
وما اتيكم الرسول من قسمة غنيمة او في فخذوه وما نهيكم عنه وما نهيكم
عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا
باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان
يكون عاما في كل ما اتي رسول الله ونهي عنه وامر الفي داخل في عمومه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا
فقال الرجل اقرا علي في هذا اية من كتاب الله قال نعم فقراها عليه للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا وينصرون الله ورسوله للفقراء بدل من قوله لذي القربي
والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان
كان المعني لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون
الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال علي
ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا اوليك هم الصادقون
في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا الدار والايمان والذين تبوؤا معطوف
علي المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معني عطف الايمان علي الدار
ولا يقال تبوء الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان
كقوله ؛؛ علفتها تبنا وماء باردا ؛؛ او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا
لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار
الايمان واقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمي المدينة لانها دار الهجرة
ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في
تبوي دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ولا يجدون ولا يعلمون
في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفي
وغيره والمحتاج اليه يسمي حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله
حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوه ولم تطمح الي شي منه تحتاج اليه
ويوثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص
البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير علي المهاجرين

ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من
اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم
واموالكم ولم يقسم لكم شي من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا
وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه
الشح بالضم والكسر وقد قري بهما اللوم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على
المنع كما قال ∴ يمارس نفسا بين جنبيه كزة ∴ اذا هم بالمعروف قالت له مهلا ∴
وقد اضيف الشح الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه
قوله تعالى واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته
به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون
بما ارادوا وقري ومن يوق والذين جاوا من بعدهم عطف ايضا على
المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم غلا وقري غمرا وهما الحقد
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفرة ولانهم
كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المومنين في السر ولا نطيع فيكم
احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول
الله والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة
والله يشهد انهم لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة
النبوة لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فان
قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم
قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون
والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون
بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن
اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية
وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية
خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم
كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه
ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا
يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم
في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة
وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم ذلك بانهم قوم
لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين
الا كانين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر
دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان
تاييد الله ونصرته معكم وقري جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر



باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون
به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لكم ذلك الباس والشدة لان
الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين
ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا
وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة
وهذا تحسير للمومنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم
قريبا اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت بم انتصب
قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم
سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلا وبيل ووخيم سي
العاقبة ولهم في الاخرة عذاب اليم يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين مثل المنافقين في اغوايهم
اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم
كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة والمراد
استغواوه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم الى قوله اني بري منكم وقري ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان
وفي النار لغو وعلى القراة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال
وقري انا بري وعاقبتهما بالرفع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون كرر الامر بالتقوى
تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك
المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم
الذي يليه يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله
كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الاخرة بالغد
كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير
النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر
فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد
فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن
دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون
نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا
لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم
كقوله لا يرتد اليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم
وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات
كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان
الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينتبهوا عليه كما تقول لمن يعق
اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة
الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الاية
على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر

لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هذا تمثيل وتخييل
كما مر في قوله انا عرضنا الامانة وقد دل عليه وتلك الامثال نضربها للناس
والغرض توبيخ الانسان علي قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران
وتدبر قوارعه وزواجره قري متصدعا علي الادغام وتلك الامثال اشارة
الي هذا المثل والي امثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه
يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية
وقيل الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ سبحان
الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح
له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم القدوس بالضم والفتح وقد
قري بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملايكة
سبوح قدوس رب الملايكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار
السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقايص
او في اعطاء السلامة والمومن واهب الامن وقري بفتح الميم بمعنى المومن به
علي حذف الجار كما تقول في قوم موسي من قوله واختار موسي قومه المختارون
بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب علي كل شي الحافظ له مفيعل
من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر خلقه
علي ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر
عن ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من
بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه
قرا البارئ المصوَّر بفتح الواو وبنصب الراء اي الذي يبرا المصور
اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيات وقرا ابن مسعود وما في الارض
عن ابي هريرة رضي الله عنه سالت حبيبي رسول الله صلي الله عليه وسلم
عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراته فاعدت عليه
فاعاد علي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
روي ان مولاة معتقة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت
رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة
جيت قالت لا قال افمهاجرة جيت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل
والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة
شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها
حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها
كتابا الي اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الي اهل مكة اعلموا ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة
ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عليا وعمارا
وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا
حتي تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الي اهل

مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب
رسول الله فسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته
من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امن جميع
الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا
وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش
روي عريرا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت علي اهلي فاردت
ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني
عنهم شيا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول
الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع
علي اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا
عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدي اتخذ الي مفعوليه وهما عدوي
واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه علي زنة المصدر اوقع
علي الجمع ايقاعه علي الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت
يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان
يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة اولياء وقد جري علي غير
من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت
ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم المودة
علي الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال
المودة والافضاء بها اليهم يقال القي اليه خراشي صدره وافضي اليه بشقوره
والباء في المودة اما زايدة موكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما
ثابتة علي ان مفعول تلقون محذوف ومعناه تلقون اليهم اخبار رسول الله
بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي
تفضون اليهم بمودتكم سرا وتسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب المولاة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم فان قلت
وقد كفروا حال مما ذا قلت اما من تتخذوا واما من تلقون اي
لا تتولوهم اي توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير
بكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل وان تومنوا تعليل
ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني
لا تتولوا اعداي ان كنتم اوليايي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اي طايل
لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت
بينهما وانا مطلع رسولي علي ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا
الاسرار فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم
اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه
سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء
خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم

والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون
عن دينكم فاذا موادة امثالهم ومناصحتهم خطاء عظيم منكم ومغالطة لانفسكم
ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط
مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان
يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل
وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار
الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق
المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تدالونه
لهادونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اعز شي عند صاحبه لن تنفعكم
ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم واولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم
وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم
واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية والله بما تعملون بصير فما لكم ترفضون
حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطاء رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال
من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان
ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرى يفصل ويفصل
على البناء للمفعول ويفصل ويفصّل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
ونفصل ونفصّل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده قرى
اسوة واسوة وهم اسم المؤتسى اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى
به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة
وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم
وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قايما كانت العداوة قايمة
حتى ان ازالوه وامنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة
والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون
من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وما انتم عندنا على شي
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شي فان
قلت مم استثنى قوله الا قول ابراهيم قلت من قوله اسوة
حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه
سنة يستنون بها فان قلت وان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى
من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي
وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيا قلت
اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده
مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما طاقتي الا الاستغفار
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم فان قلت
بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو
من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله
تعالى للمومنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفار والايتساء بابراهيم وقومه في البراة منهم
وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار

مما فرط منهم وقرى براء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر
كرخال ورباب وبَراء على الوصف بالمصدر والبَراء والبراءة كالظماء والظماءة
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة ثم كرر الحث على الايتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتاكيدا
عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل من قوله لكم
قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الاية تشدد
المومنون في عداوة ابائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم
فلما راى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي
يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة
اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة
ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت و
هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واراداها على النصرانية
فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعماية دينار وبلغ ذلك
اباها فقال ذاك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك
حيث يقولون في بعض الحوايج عسى ولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك
او قصد به اطماع المومنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم
وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هولاء وانما ينهاكم
عن تولي هولاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة
لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهرهم بقتال
المومنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد
هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل
قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي بهدايا فلم
تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها اية
القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك
بتوصية الله المومنين ان يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم
مترجمة عن حال مسلم يجتري على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين امنوا اذا
جاءكم المومنات مهاجرات سماهن مومنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن
بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن
بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب
على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن ارض الي ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان
استحلفتموهن وزرتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن
مومنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
فلا ترجعوهن الي الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فلا تردوهن
الي ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المومنة والمشرك واتوهم ما انفقوا واعطوا
ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان علي ان
من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتي مكة لم يرد اليكم فكتبوا بذلك كتابا
وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلي الله عليه وسلم
بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال
يا محمد اردد علي زوجتي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا
وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون
النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين المشركين
عهد ان لا ياتيك منا امراة ليست علي دينك الا رددتها الينا فان دخلت
في دينك ولها زوج ان ترد علي زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلي الله عليه
وسلم مثل ذلك الشرط وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها
رسول الله صلي الله عليه وسلم فحلفت فاعطي زوجها ما انفق وتزوجها
عمر فان قلت كيف سمي الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت
ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي عليه الاجتهاد والقياس جار مجري العلم
وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت
فما فايدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت
فايدته بيان ان لا سبيل لكم الي ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة
بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يودي به الامتحان
من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اذا اتيتموهن اجورهن ثم نفي عنهم الجناح في تزوج هولاء المهاجرات
اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلوا اما ان يراد
بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الي ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن
تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن علي سبيل القرض ثم
تزوجهن علي ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن
لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة علي ان
احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا
وقعت الفرقة ولا يري العدة علي المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون
حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد ونسب
يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال
ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان
اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار
الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
واسئلوا ما انفقتم من مهر ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا
ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقري ولا تمسكوا بالتخفيف ولا
تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني

جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستانف وحال من حكم الله علي
حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما علي المبالغة والله عليم حكيم روي
انه لما نزلت الاية ادي المومنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الي ازواجهن
المشركين وابي المشركون ان يودوا شيا من مهور الكوافر الي ازواجهن المومنين فنزل
قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن
الي الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع
شيء في هذا الموقع فايدة قلت نعم الفايدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا
الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم
من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به علي المسلمين والكافرين من اداء هولاء
مهور نساء اولئك تارة واوليك مهور هولاء اخري بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون فاتوا من فاتته
امراته الي الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرات ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا
عن الزهري يعطي من صداق من لحق بهم وقري فاعقبتم فعقبتم بالتشديد
فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعني اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم
من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم
بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم
في القتال بعقوبة حتي غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطي من الغنيمة المهر
وفسر غيرها من القرات فكانت العقبي لكم اي كانت الغلبة لكم حتي غنمتم وقيل
جميع من لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست
نسوة ام الحكم بنت ابي سفين كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة
بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة
وكانت تحت شماس بن عثمن وعبدة بنت عبد العزي بن فضلة وزوجها
عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم
بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم مهور
نسائهم من الغنيمة يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك علي ان لا يشركن
بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يقتلن اولادهن
وقري يقتلن بالتشديد يريد واد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي
منك كني بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها
كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده بين الرجلين
ولا يعصينك في معروف فيما تامرهن به من المحسنات فتنهاهن به من
المقبحات وقيل كل ما يوافق طاعة الله فهو معروف فان قلت
لو اقتصر علي قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يامر الا بالمعروف
قلت نبه بذلك علي ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة
بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما
فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو علي الصفا وعمر
بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت
عتبة امراة ابي سفين متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها
فقال عليه السلام ابايعكن علي ان لا تشركن بالله شيا فرفعت هند راسها
فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته

هنا

علي الرجال تبايع الرجال علي الاسلام والجهاد فقال صلي الله عليه وسلم ولا
يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري
اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شي فيما مضي وفيما غبر فهو لك
حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم
فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة
وفي رواية ما زنت منهن امراة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان وقد قتل
يوم بدر فضحك عمر حتي استلقي وتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم
الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا
وفي انفسنا ان نعصيك في شي وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء
فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان علي يده ثوب من برود
اليمن قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من
الاخرة قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون
انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا
احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي يئس الكفار الذين قبروا
من خير الاخرة لانهم بينوا قبح احوالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة علي ما الاستفهامية
كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام
وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشي واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام
المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف علي زيادة هاء السكت او الاسكان
ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجري الوقف كما سمع ثلاثه اربعه بالهاء والقاء
حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الوعد وروي
ان المومنين قالوا قبل ان يومروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الي الله تعالي
لعملناه وبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله علي الجهاد في سبيله فولوا
يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل
يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت
ولم يصبر وقيل قد اذي المسلمين رجل ونكي فيهم فقتله صهيب
وانتحل قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلي الله عليه وسلم انك قتلته
فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك
يا ابا يحيي قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين
ونداوهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من
غير لفظه كقوله ∴ علت نار كليب براوها ∴ ومعني

التعجب

التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شي خارج
عن نظايره واشكاله واسند الي ان تقولوا ونصب مقتا علي تفسيره دلالة
علي ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه فاختير
لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد علي
الرابه ولم يقتصر علي ان جعل البغض كبيرا حتي جعل اشده وافحشه وعند الله
ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت
عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا
فقال اتامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله في قوله ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر المخلف دليل علي ان المقت قد تعلق
بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن علي رضي الله
عنه يقاتلون بفتح التاء وقري يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين
كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان مرصوص رص بعضها الي بعض
ورصف ويجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتي يكونوا في اجتماع الكلمة
كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل علي فضل القتال راجلا لان الفرسان
لا يصطفون علي هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلان واذ
قال موسي لقومه يا قوم لم توذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم اذ
منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا توذونني كانوا يوذونه
بانواع الاذي من انتقاصه وعيبه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم
منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم روية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع
حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي توذونني عالمين علما يقينا
اني رسول الله وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان توذونني
وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم
رسوله ولان من اذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ
الله قلوبهم بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف
بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معني قوله وقد تعلمون
قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه
واذ قال عيسي ابن مريم يا بني اسرايل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد قيل
انما قال يا بني اسرايل ولم يقل يا قوم كما قال موسي لانه لا نسب له فيهم
فيكونوا قومه والمعني ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التورية
وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله
وانبيائه مما تقدم وتاخر وقري من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه
يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسي يا روح الله هل من بعدنا
من امة قال نعم امة احمد علماء حكماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء
يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضي الله منهم باليسير من العمل
فان قلت بم انتصب مبشرا ومصدقا ابما في الرسول من معني الارسال
ام باليكم قلت بل بمعني الارسال لان اليكم صلة للرسول من معني
الارسال لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معني الفعل
فاذا وقعت صلات لم تتضمن معني فعل فمن اين تعمل فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين وقري هذا ساحر مبين ومن اظلم ممن افتري علي
الله الكذب وهو يدعي الي الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين

واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الي الاسلام الذي له فيه سعادة
الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افترا الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعا
عباده الي الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعي
بمعني يدعي دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعي بمعني يدعوه وهو
الله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اصله يريدون ان
يطفئوا كما جا في سورة براة وكان هذه الكلام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا
له لما فيها من معني الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك
تاكيد المعني الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم
ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس
بفيه ليطفيه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقري
بالاضافة ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدي ودين الحق
الملة الحنيفية ليظهره ليغلبه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له
ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره الكافرون وعن مجاهد اذا نزل عيسي عيسي لم يكن في الارض الا دين الاسلام
وقري ارسله نبيه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم قري
مخففا ومثقلا من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم وتومنون استينافا كانهم قالوا كيف نعمل
فقال تومنون وهو خبر في معني الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم وتدل
عليه قراة ابن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا فان قلت
لم جي به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال فكانه امتثل
فهو يخبر عن ايمانه وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر
الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجا كانها كانت ووجدت فان قلت
هل لقول الفرا انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق
الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل
تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراة زيد بن علي
رضي الله عنه تومنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان يكون
على اضمار لام الامر كقوله ⁘ ⁘ ⁘ ⁘
⁘ محمد تفد نفسك كل نفس ⁘ اذا ما خفت من امر تبالا ⁘
وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الي الله لعملناها فنزلت
هذه الاية فمكثوا ما شا الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها
بقوله تومنون وهذا دليل على ان تومنون كلام مستانف وعلى ان
الامر الوارد على النفوس بعد تشوق وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب
من قبولها له مما فوجيت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم
من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون فان قلت ما معني قوله
ان كنتم تعلمون قلت معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا
لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق
ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم واخري تحبونها والي هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب
في الاجلة نعمة اخري عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله
وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم

وفي

وفي تحبونها شي من التوبيخ على محبة العاجل فان قلت علام عطف
قوله وبشر المومنين قلت على تومنون لانه في معني الامر كانه
قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المومنين
بذلك فان قلت لم نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا قلت
يجوز ان ينتصب على الاختصاص وعلى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا
او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخري نصرا وفتحا يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسي بن مريم للحواريين من انصاري الي
الله قال الحواريون نحن انصار الله قري كونوا انصار الله وانصار الله
وقرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم فان
قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا لقول عيسي
صلوات الله عليه من انصاري الي الله قلت التشبيه محمول على المعني
وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسي حين قال
لهم من انصاري الي الله فان قلت ما معني قوله من انصاري الي
الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار
والذي يطابقه ان يكون المعني من جندي متوجها الي الله واضافة انصاري
خلاف اضافة انصار الله فان معني نحن انصار الله نحن الذين ينصرون
الله ومعني من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة
الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل
عليه قوله من انصار الله والحواريون اصفياوه وهم اول من امن به وكانوا
اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص
والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي
وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري
في زنته الحوالي الكثير الحيل فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فايدنا مومنيهم
على كفارهم فاصبحوا ظاهرين فظهروا عليهم وعن زيد بن علي رضي الله عنه
كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الصف
كان عيسي مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه
⁘ ⁘ سورة الجمعه مدنية وهي احدي عشرة اية ⁘ ⁘
⁘ ⁘ بسم الله الرحمن الرحيم ⁘ ⁘
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم قريت
صفات الله عز وجل بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قريت
منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم الامي منسوب الي امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرون
من بين الامم وقيل بدات الكتابة بالطايف اخذوها من اهل الحيرة
واهل الحيرة من اهل الانبار ومعني بعث في الاميين رسولا منهم بعث
رجلا اميا في قوم اميين كما جا في حديث شعيا اني ابعث اعمي في عميان
واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله
يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين وقري
في الامين بحذف يا النسب يتلوا عليهم اياته يقروها مع كونه اميا مثلهم
لم تعهد منه قراة ولم تعرف بتعلم وقراة امي بغير تعلم اية بينة ويزكيهم
ويطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران
والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وان في وان كانوا هي المخففة

فامنت طايفة من بني اسرايل فامنت طايفة بعيسي وكفرت طايفة صح

من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه
واخرين منهم لما يلحقوا بهم واخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه
في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم
يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله
رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز
ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين لان
التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي
تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم
وتاييده واختياره من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو
ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله
يؤتيه من يشاء اعطاه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم يشمل
فضل الدنيا والاخرة مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
اسفارا شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم
انهم غير عاملين بها ولا منتفعين باياتها وذلك ان فيها نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا
اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه
وظهره من الكد والتعب فكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل
بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله وهم اليهود الذين كذبوا بايات
الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم
الظالمين ومعنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم
يعملوا بها فكانهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية اي حملوها ثم لم يحملوها في
الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله
قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني ۞ قل يا ايها الذين هادوا هاد يهود
اذا تهود ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي وان كان
قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى
دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين بسبب ما قدموا من الكفر فقد قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد الا غص
بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا
انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى
وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا
ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن
تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير
لفظه ولا يتمنونه قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم
قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة
ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم تردون الى الله
فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما انه

ملاقيكم

ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تفرون منه ملاقيكم وهي
ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون
منه كلاما براسه وفي قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استونف
انه ملاقيكم يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة يوم الجمعة
يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت
الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة
وقرئ بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت
هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام
على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد وكان اذا
جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلوة ثم كان ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد
مؤذنا اخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر
اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من
سماها جمعة كعب بن لوي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا
لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا
يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد
للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم
يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة
فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم
الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا
المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب
وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم
اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم
اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم
طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى
الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه صلى الله عليه
وسلم اتاني جبريل وفي كفه مراة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك
لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى
الاخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله في كل جمعة ستمائة عتيق
من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له
اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول
فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر
مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت
في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فراى ثلاثة نفر
سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك رابع اربعة وما رابع
اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا في مصر جامع
لقوله صلى الله عليه وسلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر

جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله عليه السلام اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لا يجوز فان لم يكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي رحمه الله باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد **فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا فاسعوا فقال من اقراك هذا قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطائه ان ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع قال محمد رحمه الله وهذا لا باس به اذا لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم فلم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي رحمهم الله لا بد من كلام يسمى خطبة **فان قلت** كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله **قلت** ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا فلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من دونها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب **فان قلت** فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد **فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**

ثم

ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يومر بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الاية **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثني عشر واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة فكيف يصنع **قلت** ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة رحمه الله يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه رحمهما الله اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت **فان قلت** كيف قال اليها وقد ذكر شيئين **قلت** تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله **والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام **اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون** يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من

الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون
من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم
امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول
الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بانهم بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع
على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فهم لا يعقلون فان قلت المنافقون
لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدايم فما معنى قوله امنوا ثم كفروا قلت
فيه ثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل
في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان
ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح
له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي فظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المومنين ثم نطقوا
بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
الى قوله انا معكم انما نحن مستهزؤن والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرى
فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي فطبع الله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم
كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من
المنافقين في مثل صفته فهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول
الله فيستندون ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه
وسلم ومن حضره يعجبون بهياكلهم ويستمعون الى كلامهم فان قلت
ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم
الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحايط ولان اذا انتفع به
كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا
غير منتفع به اسند الى الحايط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد
بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها
في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رايتهم تعجبك لرسول الله
او لكل من يخاطب وقرى تسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب
رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا محل له وقرى خشب جمع
خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي قراة
ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة
التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي
يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم
من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة
ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل ∴
∴ ∴ ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ∴ خيلا تكر عليهم ورجالا ∴
يوقف على عليهم ويبتدي هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان
اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي
فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني
كما لو طرحت الضمير اي عليهم فان قلت فحقه ان يقال هي العدو
قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف

او ايماء وصفهم من حالهم في النفاق
والكذب والاستخفاف بالايمان اي
ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا
صح

محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته
ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون
كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون لووا
رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا وقرى بالتخفيف
والتشديد للتكثير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني
المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه
بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا
فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من
فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا
محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم
وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل
القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله
اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عمر دعني اضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال اذن ترغم انف كثيرة
بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف
اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فقال عليه السلام لعبد الله انت
صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت
شيا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله عز وعلا اتخذوا ايمانهم جنة
فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى
ان يكون قد وهم فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد لعلك
غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطا سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا
فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه فقال
وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد
الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله بن ابي
غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك
والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده
حتى امره رسول الله بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله ورسوله
بالعز لاضربن عنقك وقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال
اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن
رسوله وعن المومنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك
آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتموني
ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت
واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلايل حتى اشتكى ومرض ومات سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم
او لان الله لا يغفر لهم وقرى استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان

ام المعادلة تدل عليه وقرى ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار
والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في السحر والله هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا يتفرقوا وقرا ينفضوا من اودهم ولله خزاين
السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة
ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون ولكن عبد الله واضرابه جاهلون
لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون لين رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين
لا يعلمون وقرى ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح اليا وليخرجن على البنا للمفعول
وقرا الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج
الاذل واخراج الاذل ومثل الاذل ولله العزة والغلبة والقوة ولمن اعزه الله
وايده من رسوله والمومنين وهم الاخصا بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان
وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة
الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنا الذي لا فقر معه وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال
ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تلهكم لا تشغلكم
اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النما فيها
بالتجارة والاغتلال وابتغا النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا
اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم
في معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد
وانه اهون شي وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن
يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاوليك هم الخاسرون في تجارتهم
حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس
وعن الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل القران وعن
الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفقوا مما رزقناكم من في
مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت
من قبل ان يرى دلايل الموت ويعاين ما ييأس معه الامهال ويضيق به الخناق
ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض
انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا
قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع
احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت
فيسال الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكوة ووالله لو راى خيرا
لما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المومنون الكرة قال نعم انا اقرا
عليكم به قرانا يعني انها نزلت في المومنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن
ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل
القبلة فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب لولا اخرتني وقرى اخرتني يريد
هلا اخرت الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرا ابي فاتصدق
على الاصل واكن وقرى واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق
واكن من قرا واكون على النصب فعلى اللفظ وقرا عبيد بن عمير واكون على وانا
اكون من الصالحين عدة منه بالصلاح ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها
نفي للتاخير على وجه التاكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم
اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان

الله

الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج
عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله والله خبير بما تعملون وقرى يعملون
بالتا واليا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين بري من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل
وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدي كل شي ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه
وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعا
وحمده اعتداد بان نعمة جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مومن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل
عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم
والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم
فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم
بعد تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مومن وقدم الكفر
لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم
الدهرية ومنكم مومن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر
ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره
فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح
الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل
النفس المحرمة فقتل به مومنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه
والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوايم على الواهب اشد
قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا
ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان
يكون له وجه حسن وخفا وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح
في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها خلق السموات والارض
بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا
فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرى صوركم بالكسر لتشكروا واليه
المصير واليه مصيركم فجزاوكم على الشكر والتفريط فيه فان قلت
كيف احسن صوركم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل
ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور
ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم
فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون
قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب
فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها
الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده
الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح
واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد
افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكما شيان لا غاية لهما الجمال والبيان
يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله

والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه
ما يسره العباد ويعلنونه بعلمه ذوات الصدور ان شيا من الكليات والجزئيات
غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقي ويحذر ولا يجترا على شي مما يخالف
رضاه وتكرير العلم في معني تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم
مومن كما تري في معني الوعيد علي الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته
فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله علي عباده
والكفر اعظم كفران من العباد لربهم الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا
وبال امرهم ولهم عذاب اليم الم ياتكم الخطاب لكفار مكة ذلك بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغني
الله والله غني حميد ذلك اشارة الي ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا
وما اعد لهم من العذاب في الاخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم
ابشر يهدوننا انكروا ان تكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغني
الله اطلق ليتناول كل شي ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان قلت
قوله وتولوا واستغني الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله
تعالي لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغنا الله حيث لم يلجيهم
الي الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته علي ذلك زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا قل بلي وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الزعم ادعاء العلم
ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شي كنية وكنية
الكذب زعموا ويتعدي الي مفعولين تعدي العلم قال
ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قايم
مقامها والذين كفروا اهل مكة وبلي اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك
علي الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا والله بما تعملون خبير عني برسوله والنور الذي انزلنا
محمدا صلي الله عليه وسلم والقران يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
وقري نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون فان قلت بم انتصب
الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معني الوعيد كانه
قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه
الاولون والاخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو
ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن
وفي حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا
اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار
الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعني ذلك يوم
التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان
تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت
وعظمت ومن يومن بالله ويعمل صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا
يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله
الا بتقديره ومشيته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يومن
بالله يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل

هو

هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتي يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي
شكر وان ظلم غفر وقري يهد قلبه علي البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب
ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعني ان
الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمومن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب
وقري نهد قلبه بالنون ويهدا قلبه بمعني يهتدي ويهدا قلبه يطمين ويهد ويهدا
علي التخفيف والله بكل شي عليم يعلم ما يوثر فيه اللطف من القلوب مما لا يوثر
فيه فيمنحه ويمنعه واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما
علي رسولنا البلاغ المبين فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب
عليه ان يبلغ ويبين فحسب الله لا اله الا هو وعلي الله فليتوكل المومنون
بعث لرسول الله علي التوكل عليه والتقوي به في امره حتي ينصره علي من كذبه
وتولي عنه يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ان من
الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم من الاولاد
اولادا يعادون اباهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذي فاحذروهم
الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هولاء لا يخلون من
عدو فكونوا منهم علي حذر ولا تامنوا غوايلهم وشرهم وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم علي عداوة
ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعونا
فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا
في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا
لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لين جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا
ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي
ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم
باذايهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون
في الاثم والعقوبة فلا بلاء اعظم منهما الا تري الي قوله والله عنده اجر عظيم
وفي الحديث يوتي برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض
السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان
يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان
فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره علي المنبر فقال صدق الله انما
اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ
في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتنكم الميل الي الاموال والاولاد
فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم
واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به وتنهون عنه
وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب
بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا
تاكيد للحث علي امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم
من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف
الدنيا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا
حسنا ذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم بكتب لكم بالواحدة

عشرا وسبعماية الي ماشاء من الزيادة وقري يضعفه ويغفر لكم والله
شكور مجازاي يفعل بكم مايفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم
يفعل بكم مايفعل من يحلم عن المسيئ ولايعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب
والشهادة العزيز الحكيم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن
دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهي احدي عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النبي صلي الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب
لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا
كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم
والذي يصدرون عن رايه ولايستبدون بامر دونه وكان هو وحده
في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعني اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن
وهممتم به علي تنزيل المقبل علي الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه
السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الي الصلوة والمنتظر لها
في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقوله
اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراة رسول الله صلي الله عليه
وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه
ثم يخلين حتي تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة
وبعده من الندم ويدل عليه ماروي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول
الله صلي الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لايطلقوا للسنة الا واحدة ثم
لايطلقوا غير ذلك حتي تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق
الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة
واصحابه رحمهم الله فانهم كرهوا ما زاد علي الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا
في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لابن عمر حين طلق
امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه عليه السلام قال لعمر رضي الله عنه
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتي تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء
فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي رحمه الله لاباس
بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو
مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق
والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق
المخالف للسنة قلت نعم وهو اثم لماروي عن النبي صلي الله عليه
وسلم ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا
بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا
فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان
لايوتي برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن
سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف في الطلاق فاوقعه
في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف
فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير

المدخول

المدخول بها قلت الصغيرة والايسة والحامل كلهن عند ابي
حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد
وزفر في الحامل وقالا لا تطلق للسنة الا واحدة ولايراعي الوقت فان قلت
هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلف الرواية فيه عن
اصحابنا رحمهم الله والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء
عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغاير
والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء والمدخول بهن قلت
لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث وهذه الجنسية معني قايم
في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن
لعدتهن علم انه اطلق علي بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا
العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نواقص
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من حتي تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن
التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن
من حيث السكني فان قلت ما معني الجمع بين اخراجهن وخروجهن قلت
معني الاخراج ان لايخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة
لهم الي المساكن وان لاياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم
لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين
بفاحشة مبينة قري بفتح الياء وكسرها قيل هي الزني يعني ان لا يزنين
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن علي النشوز في النشوز يسقط
حقها في السكني وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتوكده
قراة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة
في نفسه وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب
قلبه من بغضها الي محبتها ومن الرغبة عنها الي الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق
الي الندم عليه فيراجعها والمعني فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم
ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن وهو اخر العدة وشارفنه
فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة
والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة
واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة
عليها وتعذيبا لها واشهدوا ذوي عدل منكم واشهدوا يعني عند
الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة
رحمه الله كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي هو واجب في الرجعة
مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد
وان لايتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الاخر ثبوت الزوجية
ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وقال قتادة من احراركم واقيموا الشهادة
لله لوجهه خالصا ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر
وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض
سوا اقامة الحدود ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو علي انفسكم اي ذلكم الحث علي اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام
بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية موكدة
لما سبق من اجراء امر الطلاق علي السنة وطريقه الاحسن والابعد من

الندم ويكون المعنى من يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها
من مسكنها فاحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج
من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص
ويرزقه من حيث لا يحتسب ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه
ان او في المهر وادي الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن
عباس رضي الله عنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا
بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل
الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها
فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة
وقال صلى الله عليه وسلم اني اعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق
الله فما زال يقراها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر
المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله
واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته
اذ قرع ابنه الباب ومعه ماية من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت
هذه الاية ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي يبلغ
ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ
امره بالرفع اي نافذ امره وقرئ المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل
الله خبر ان وبالغا حال لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب
التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه
لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر وروي
ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللاتي لا يحضن فنزلت
فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن
وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين
سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة
اشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي
لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر فحذف لدلالة
المذكور عليه واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اللفظ مطلق
في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود
وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل
المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة
النساء القصوى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق
في الحوامل وروت اسلمت ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفات
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها
قد حللت فانكحي ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ييسره
له من امره ويحلله من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم
من حكم هولاء المعتدات انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه
سياته ويعظم له اجرا والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من

هذه

هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار
والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيات
والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اسكنوهن وما بعده
بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى
في شان المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت من في قوله من حيث
سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم
اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه
فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من
حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان
لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رحمهما الله ليس للمبتوتة الا السكنى ولا
نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس
ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا
نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كلام ربنا وسنة نبينا بقول امراة لعلها
نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة
ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض
الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن
الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها
امرها وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا
كانت مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله فان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن قلت فائدته ان مدة
الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى
ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت
مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على
النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته
فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن
لكم يعني هولاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع
عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظهار ولا يجوز
عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن
ويجوز عند الشافعي واتمروا بينكم الايتمار بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى
التشاور يقال ايتمر القوم وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر
بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة
وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه في وجوب
الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز
مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول
لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد ان تبقى غير مقضية
وانت ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع
له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته لينفق كل واحد
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات
والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ

لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتاه الله وقرا ابن ابي عبلة قدر لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله
بعد عسر يسرا موعد للفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او للفقراء
الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكاين من قرية عتت عن
امر ربها ورسله عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا فذاقت
وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وقرى نكرا اي منكرا عظيما والمراد حساب
الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجي به على
لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك
لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كاين فقد كان
وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكريرا للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه
قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين
امنوا يا اولي الالباب من المومنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز
ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحايف
الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف
عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله
وكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من
قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف
للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين
او جعل لكثرة ذكره الله وعبادته كانه ذكرا واريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا
في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه
قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصادر في المفاعيل
اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرى رسول على هو رسول انزله
يتلو عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الى النور ليخرج الذين امنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم
عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مومنين
وانما امنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يومنون ومن يومن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قرى يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزق المومن من الثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
الله الذي خلق مبتدا وخبر وقرى مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات
وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القران اية تدل على
ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سمايين مسيرة خمسماية عام
وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري
امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض
خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجايب تدبيره وقرى ينزل الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال
اما ملايكة او جن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل
شي علما ليعلموا قرى بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرا

من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي
علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان امر امتي من بعدي
فاخبرت به عايشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها
بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نسائه ومكث تسعا وعشرين
ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في ال الخطاب
خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة
وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش
فتواطات عايشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان
يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل
الله لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استيناف
وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل
لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله
غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك به قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله الاستثناء في ايمانكم من قولك
حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن
في يمينك اذا اطلقها وذلك ان تقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني
قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل
ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة كتحليل الالي
فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة
يراه يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما
فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم
تكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك
ان نوى ثنتين او ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين
الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى
الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن
سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده
وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين
وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن
زيد واحدة باينة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا يراه
شيا ويقول ما ابالي احرمتها او قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي ليس
ليس بشي محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله
فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية
ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل
الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر
ونحوه قوله وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد

فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذلك قلت انه لم يكفر لانه كان مغفورا له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر انما هو تعليم للمومنين وعن مقاتل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم
وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة
وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصايحكم لانفسكم
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا بعض ازواجه حفصة والحديث الذي
اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبات به افشته الى عايشة
وقرئ انبات به واظهره الله عليه واطلع النبي عليه على الحديث افشايه على
لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه
واعرض عن بعض اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من
فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى بعضه من قولك للمسيء لاعرفن لك
ذلك وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير
في القران وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة
والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت
والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص بها اباها فلما
انباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فان قلت
هلا قيل لما نبات به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض
بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء
به وافشايه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد
منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود
في قوله فلما انباها به قالت من انباك هذا ذكر المنبا كيف اتى بضميره
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة رضي الله عنهما على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما
حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة
فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره
ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعايشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد
منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود
فقد زاغت وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة
وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره فان الله هو مولاه وكيف يعدم
المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة
من عزايمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره
بذكره مفردا له من الملايكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المومنين
ومن صلح من المومنين يعني كل من امن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير
من بري منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل
الخلفاء منهم فان قلت صالح المومنين واحد او جمع قلت
هو واحد اريد به الجمع كقوله لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس
كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله كقولك كنت في السامر والحاضر
ويجوز ان يكون اصله صالحوا المومنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ
لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها

حكم

حكم اللفظ دون وضع الخط والملايكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات
من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المومنين ظهير
فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء
ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملايكة ومظاهرتهم وقد
تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المومنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت
مظاهرة الملايكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها
من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى
ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وقرئ يبدله بالتخفيف
والتشديد للكثرة مسلمات مومنات مقرات مخلصات قانتات تايبات
عابدات سايحات صايمات وقرئ سيحات وهو ابلغ وقيل للصايم
سايح لان السايح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به
الصايم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سايحات مهاجرات وعن
زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف
تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات
المومنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن
له وايذايهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه
الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن
وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة
الله في طاعة رسوله ثيبات وابكارا فان قلت لم اخليت الصفات
كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان
متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في ساير الصفات فلم يكن بد من الواو
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه
صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة
وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا
على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم
وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم
واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب
غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة
نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب
وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها
عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملايكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم
غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء
وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من
اعدايه لا يعصون الله ما امرهم ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون
ما امر الله اي امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم
ويفعلون ما يومرون فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد
قلت لا لان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها
ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يومرون به لا يتثاقلون عنه
ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين
بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي

وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين
فما معنى مخاطبته به المومنين قلت الفساق وان كانت دركاتهم
فوق دركات الكفار فانهم يساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين
امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة
ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا
للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند
دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي
والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها
متداركة للفرطات ماحية للسيات وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها
نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون
في قبيح من القبايح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك
وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب
اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة
قال يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها
حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم
يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود وان حز بالسيف واحرق بالنار
وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينك
وتستعده لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح
التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب ان يكون
الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولك عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز
ان يراد توبة تنصح اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله
الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد بن علي توبا نصوحا وقري
نصوحا بالضم وهو مصدر نصح النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر
والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم
لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير عسى ربكم
اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت به عادة
الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقع ذلك منهم موقع القطع والبت
والثاني ان يجي به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي
على المعنى الاول وانه في معنى البت قراة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا
على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم
يوم لا يخزي نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل
الكفر والفسوق واستحماد الى المومنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى
نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي
نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون

تقربا

تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم
منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون اقدامهم لان النور على قدر الاعمال
فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاوليك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
فان قلت كيف يشفقون والمومنون امنون امن ياتي امنا يوم القيمة لا خوف
عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت
اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما
التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة
سماه تقربا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واغلظ
عليهم واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة
وماويهم جهنم وبيس المصير وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم
وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة
نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيا وقيل ادخلا النار مع الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم
يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا
ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم
وكفرهم بالله ورسوله قطع العلايق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد
وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من الانبياء بحال امراة نوح وامراة لوط
لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة
الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار
مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما
من قوم نوح وقوم لوط وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
ومثل حال المومنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيا من ثوابهم
وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى
اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها
وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها
كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول
السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير
لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص
والكمال فيه كهاتين المومنتين وان لا تتكلا على انهما زوجتا رسول الله فان
ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان
امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه
في كل باب بالغة من اللطف والخفا حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره
فان قلت ما فايدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل
على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ
به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين
العلميين بانهما عبدان لم يكونا الا كساير عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم
الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح
لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب الرجحان عنده

فان قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما
على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه
ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف
الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة
نبي قط وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام
امنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن
ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها
على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت
الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن رحمه الله
فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل
لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة يبني وقيل انه من درة وقيل اريت بيتها صح
كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين
عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب
اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة
وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت
عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس
فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة
الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه
عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء رب افتح بيني وبينهم
فتحا ونجني ومن معي من المومنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
فنفخنا فيه في الفرج وقرا ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء
والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج
هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته من روحنا جبريل وانما جمع
في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على
انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى
التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز
ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها
وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملايكته وغيرهم وجميع
ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والكتاب المنزل
عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين فان قلت لم قيل من القانتين
على التذكير قلت لان القنوت صفة تشتمل من قنت من القبيلين
فغلب ذكورهم على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية
على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى صلوات
الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل
عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام واما ما روي ان عايشة
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعني مريم
ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها فقالت فما اسمها قال اسم امراة نوح واغلة

واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى
الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض
لسمى اسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمومنين وابى الله الا ان
يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله عليه السلام احكم واسلم من
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلاثون اية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها
من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود
وهو على كل شيء قدير وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر
اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذي خلق الموت والحيوة
الحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه
ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك
المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم ايكم احسن
عملا وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر
فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت
من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قيل
علمته ازيد احسن عملا ام اسو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه
كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت
لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما
عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين
ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا
لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق احسن عملا
قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا
كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على
السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا
قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني انكم اتمكم
عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على
العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل
الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على
الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم
لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه
من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على
طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت وقرئ تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم
تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب
في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب
كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي
نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت
هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع
مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن

من التفاوت وهوانه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل
ذلك الخلق المتناسب والخطاب فيما تري للرسول او لكل مخاطب فارجع
البصر متعلق به علي معني التسبيب اخبره بانه لاتفاوت في خلقهن ثم قال
فارجع البصر حتي يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقي معك شبهة
فيه هل تري من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق و بزل ومعناه شق اللحم فطلع
ثم ارجع البصر كرتين وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس
عيبا وخللا ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي ان رجعت
البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك
العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد
عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان
قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت
معني التثنية التكرير بكثرة قولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها
في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل
فان قلت فما معني ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان
لا يقتنع الرجعة الاولي بالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم
يعاود ويعاود الي ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر علي شيء من
فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
الدنيا القربي لانها اقرب السموات الي الناس ومعناها السماء الدنيا منكم
والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم
باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح
اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الي ذلك منافع اخر
انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الي الظلمات
وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم الثلاث
زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تاول فيها غير
ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل
الارض نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم
وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعني كونها مراجم للشياطين ان الشهب
التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون
بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك علي حالها وما ذاك الا كقبس يوخذ من
نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من
يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما
بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اي ولكل
من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير ليس
الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقري عذاب جهنم بالنصب عطفا
علي عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة
ويرمي به ومثله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن
تقدم طرحهم فيها ومن انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار
تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان

يتميز

يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة
في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية تكاد تميز
من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير توبيخ يزدادونه
عذابا الي عذابهم وحسرة الي حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلي
قد جاءنا نذير اعتراف بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة
الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما
اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد علي ضده
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فان قلت
ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار
وخطابهم للمنذرين علي ان النذير بمعني الانذار والمعني الم ياتكم اهل نذير
او وصف منذر وهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد
جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز
ان يكون من كلام الخزنة للكفار علي ارادة القول اراد واحكاية ما كانوا عليه
من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال
باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير لو كنا نسمع الانذار سماع
طالبين للحق او نعقله عقله متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل
لان مدار التكليف علي ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا
علي مذهب اصحاب الحديث او علي مذهب اصحاب الراي كان هذه الاية نزلت بعد
هذين المذهبين وكان ساير اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم
وكان من كان من هولاء فهم من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة
عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز علي الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم
هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قري
بالتخفيف والتثقيل اي فبعدا لهم اعترفوا وجحدوا فان ذلك لا ينفعهم
لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه
ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور
اي بضمايرها قبل ان يترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به الا يعلم من
خلق وهو اللطيف الخبير ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من
خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الي ما ظهر من خلقه وما
بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعني الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي
ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون
اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله علي جهلهم فان قلت
قدرت في الا يعلم مفعولا علي معني الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب
واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم يعطي ويمنع وهلا كان المعني
الا يكون عالما من هو خلق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت
ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما
من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معني صحيحا لان الا يعلم معتمد علي
الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو
عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من
رزقه واليه النشور المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية

لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان
يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها
لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا
امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعني واليه نشوركم
فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان
احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ
ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون
التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزل منه وكانوا يدعونه
من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون انه في السماء وهو
متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة
اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي
فستعلمون قرى بالتاء والياء كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف
انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان
نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم
يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهوا كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما
القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصيل
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة
كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم
والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تاتى منها الجري في الجو
انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجايب امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن
يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان
ارسل عليكم عذابه امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه امن يشار
اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز
ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب
ويرزقون ببركة الهتهم وكانوا الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد
عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن
يمشي سويا على صراط مستقيم يجعل اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب
من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك
ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه
وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب
وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب
وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل
يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي متعسفا في مكان
متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه
مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور

مستوي

مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المتعسف الذي يخبط هكذا وهكذا على طريق
مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق المهتدي له وهو مثل
للمومن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيمة
على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم
عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة فلما راوه الضمير للوعد
والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة او مكانا
ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان
علتها الكآبة وغشيتها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى
القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل هذا الذي كنتم القائلون
الزبانية به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به
وقيل هو الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرى تدعون
وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي
الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة وتاملها
قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين
كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين بالهلاك
فامر بان يقول لهم نحن مومنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك
كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة كما نرجوا فانتم
ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم
تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك
الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه وان اهلكنا الله بالموت
فمن يجيركم بعد موت هداتكم والاخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال
والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك وان اهلكنا
الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهو اولى بالهلاك
لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر
مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين
حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه
توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض
وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن
بعض الشطار انها تليت عنده فقال يجيء به الفؤوس والمعاول فذهب
ماء عينيه نعوذ بالله من الجراة على الله وعلى اياته قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة فكانما احيا ليلة القدر

سورة نون والقلم مكية وهي ثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم قرى نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون
وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم
هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا اسما للدواة

من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان
كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلابد له من موقع في تاليف الكلام فان
قلت هو مقسم به قلت وجب ان يكون جنسا ان يجره وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وهذا
غير جايز وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية
والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينات او
يجعل علما لليهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب
والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته
من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوايد التي لا يحيط
بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة
وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم واصحابه فيكون الضمير
في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد
بهم كل من يسطر او الحفظة ما انت بنعمة ربك بمجنون فان قلت
بم تعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت تتعلق بمحذوف
منفيا كما تتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك
الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمروا وما ضرب زيد
عمروا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه
قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله
لانها زايدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة
وحسدا وانه من انعام الله بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل
للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه
لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون
عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمنن الفواضل
لا الاجور على الاعمال وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله
الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي
امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن
عايشة ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المومنون فستبصر
ويبصرون بايكم المفتون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون
او لان العرب تزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء
مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي
الفريقين منكم الجنون بفريق المومنين او بفريق الكافرين اي في ايهما
يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد
بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ان ربك هو اعلم بالمجانين على
الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهو اعلم
بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين
فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد
ارادوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوايلهم ودوا
لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل الى

طريق

طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يومن
بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم مدهنون حينيذ او ودوا ادهانك
فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون الحضرمي
انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف
كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد
القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب
طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب
نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم
والنميمة السعاية وانشد في لبعض العرب يخاطب لنار ٭ ٭ ٭
٭ تشببي تشبب النميمه ٭ تمشي بها زهرا الى تميمه ٭
مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع
منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير وقيل هو الوليد بن المغيرة
المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وللحمية من
اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد
الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريف اصله من ثقيف
وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم
كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
بعد ما عد له من المثالب والنقايص زنيم دعي قال حسان ٭ ٭
٭ وانت زنيم نيط في ال هاشم ٭ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ٭
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل جفاؤه
ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل
معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد
ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين امنوا وقري الحسن
عتل رفعا على الذم وهذه القراة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم
من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه
زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله ولا تطع
يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي يسارة وحظة من الدنيا
ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو
جواب اذا لان ما بعد لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب
وقري ان كان على الاستفهام على لان كان ذا مال كذب او انطعه لان
كان ذا مال وروى الزهري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع
كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة
الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر
سنسمه على الخرطوم الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع
في الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة
وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل
جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة

لان السمة على الوجه شين واذا فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم
العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه
فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل سنعلمه
يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول
الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة
على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا يخفى
كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه
سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة
وهي ما سلف من عصيرها العنب او لانها تطير في الخياشيم انا بلوناهم
انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليهم كما بلونا اصحاب
الجنة اذ اقسموا ليصرمنها وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه
الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق
بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس
وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت
النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شي كثير فلما مات قال بنوه ان
فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولوا عيال فحلفوا
ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم
فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين
في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت
لم سمي استثناء وهو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء
من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء
الله واحد فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فطاف عليها
بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت
كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت
فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها
شي من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين حاصدين ۞
۞ هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على ۞ ۞ لما كان الغدو
اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز
ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح اي
فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما
بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرا ابن مسعود بطرحها
باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين
نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا اريتك
هاهنا وغدوا على حرد قادرين الحرد من حاردت السنة اذا منعت
خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على
نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين
ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال
لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين
فتعجلوا الحرمان والمسكنة اي وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها

قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين
على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم
عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا
على حرد قادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من
الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى
الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض
كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال
۞ اقبل سيل جاء من امر الله ۞ يحرد حرد الجنة المغلة ۞
۞ وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين
عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين
وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند
انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا
في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها
فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على
انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني
من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم قالوا سبحان ربنا انا
كنا ظالمين كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه
من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم
شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا
انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن
بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى
التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من
التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون
في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا
ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم
اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء فاقبل بعضهم على بعض
يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر
بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض قالوا يا ويلنا
انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ان يبدلنا قرئ بالتخفيف
والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك
العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اشد واعظم منه لو كانوا يعلمون
وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال
لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن
مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق
فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا
ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة جنات النعيم اي ليس فيها
الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا افنجعل
المسلمين كالمجرمين كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا
وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله

المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالهم وحالنا
الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم الي
ان يساوونا فقيل اخيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل
لهم على طريق الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر
الجزاء مفوض اليكم حتي تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه
تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم
سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون
ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس كما هو قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام
على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ
منخوله ام لكم ايمان علينا بالغة الي يوم القيمة لفلان علي يمين بكذا
اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا بايمان
مغلظة متناهية في التوكيد فان قلت بم تعلق الي يوم القيمة
قلت بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الي يوم القيمة
لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز
ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين
الي ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرا الحسن بالغة بالنصب على الحال
من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معني ام لكم ايمان
علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قايم به وبالاحتجاج
لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم
في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا
صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما
انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به
الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب
واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء
خدامهن عند ذلك قال حاتم ٭
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ٭ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ٭
وقال ابو الرقيات ٭ تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ٭
عن خدام العقيلة العذراء ٭ فمعنى يوم يكشف عن ساق
يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح
يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق
عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي
الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه واما المؤمنون فيخرون سجدا واما
المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد
امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق
الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهي ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل
قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المالوف
كقولهم يوم يدع الداعي الي شيء نكر كانه قيل يوم يقطع امر فظيع هائل ويحكى
هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان وعن ابي عبيدة خرج من خراسان

رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والاخر نفى
حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم
علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على
البناء للمفعول والفاعل جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد
الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف
بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل
فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصبه الظرف فليأتوا او اضمارا
اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم
من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم
اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة ويدعون الي السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الي السجود وهم
سالمون فان قلت لم يدعون الي السجود ولا تكليف قلت
لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا
مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينه وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على
ما فرطوا فيه حين دعوا الي السجود وهم سالموا المفاصل والاصلاب متمكنون
مزاحو العلل فيما تعبدوا به فذرني ومن يكذب بهذا الحديث يقال
ذرني واياه يريد كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل
امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد
حسبي مجازيا لمن يكذب بالقران فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام
منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم
استدرجه الي كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج
الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا
الي ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون
انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على
المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم ان كيدي متين وامهلهم
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان
من الله وافضال توجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا
في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الي الهلاك وصف المنعم بالاستدراج
وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه
وكم من مغرور بالستر وسمي احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا
لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة
لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم
حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك على الايمان ام عندهم الغيب
اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم
وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات
الله عليه اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم
السقاء اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة
فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء حسن تذكير
الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته

وقرا الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان
كان يقال فيه تداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان
يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم
عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني
قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء
ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول
الله ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو
على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة
عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين
اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه
وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان مخففة
من الثقيلة واللام علمها قرئ ليزلقونك بضم اليا وفتحها وزلقه وازلقه
بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت
نفسه وازهقه يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون
العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي
نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال
يتقارضون اذا التقوا في موطن ❊ نظرا يزل مواطئ الاقدام ❊
وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام
فلا يمر به شيء فيقول فيه لم اركاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين
ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم اركاليوم رجلا فعصمه الله
وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر
اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون
انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى
انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف
يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن اخلاقهم ❊

❊ سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون اية ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي اتية لا ريب
فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي
يحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا الامر
اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على
على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي
تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول
لها وما ادريك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها
ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد
ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع
على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد
بالقارعة القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف

شدتها

شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب
التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة
وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم
وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك العدم
الطباق بينها وبين قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر الشديدة الصوت
لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي
تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت
على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل واختفاء
في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على
خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل
الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان
الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح
صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور
والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت
كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها
بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا
فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا
او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال
وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي فغرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام
حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة
وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها
الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجوز وهي اخر الشتاء
واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفي
الجمر وقيل مكفي الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فيها في مهابها او في الليالي
والايام وقرا اعجاز نخيل فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس باقية
او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون ومن قبله يريد ومن
عنده من تباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه ونعضد الاولى قراءة
عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذوات الخطاء
العظيم فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة في الشدة
كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو في اموال
الناس انا لما طغى الماء حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم
اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم فكانهم هم المحمولون
لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين
واغراق الكفرة لكم تذكرة عبرة وعظة وتعيها اذن واعية من شانها
ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته
في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك

اوعيت لشي في الظرف وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي
الله عنه عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي فقال
علي فما نسيت شيا بعد وما كان لي ان انسي فان قلت لم قيل
اذن واعية علي التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة
فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة علي ان الاذن الواحدة
اذا وعت وعقلت عن الله فهو السواد الاعظم عند الله وان ما سواهم
لا يبالي بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين وقري وتعيها بسكون العين
للتخفيف شبه تعي بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة اسند الفعل
الي المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السماك نفخة واحدة بالنصب
مسندا للفعل الي الجاري والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة
قلت معناها لا تثني في وقتها فان قلت فاي النفختين
هي قلت الاولي لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس
وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ
تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما
للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جيته عام كذا وانما كان مجيوك في وقت
واحد من اوقاته وحملت الارض والجبال ورفعت من جهاتها بريح بلغت
من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملايكة او بقدرة الله
من غير سبب وقري وحملت بحذف المحمل وهو احد الثلاثة فدكتا دكة
واحدة فدكت الجملتان حملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض
حتي يندق ويرجع كثيبا مهيلا وهباء منثورا والدك ابلغ من الدق
وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا تري فيها عوجا ولا امتا
من قولك اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكا ومنه الدكان
فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيمة وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت
محكمة مستمسكة والملك علي ارجايها يريد والخلق الذي يقال له الملك
ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم علي المعني فان قلت
ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملايكة قلت الملك اعم
من الملايكة الا تري ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك
ما من ملايكة علي ارجايها علي جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها
تنشق وهي مسكن الملايكة فينضوون الي اطرافها وما حولها من حافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله
صلي الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة
اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض
السابعة والعرش فوق روسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
علي صورة الانسان وبعضهم علي صورة الاسد وبعضهم علي صورة الثور
وبعضهم علي صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين
اظلافها الي ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد علي عفوك بعد قدرتك
واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد علي حلمك بعد علمك
وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية

صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق اخر
فهو القادر علي كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن
انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون العرض عبارة عن المحاسبة والمسالة
شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وروي ان في يوم القيمة ثلاث
عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر
الكتب فياخذ الفايز كتابه بيمينه والهالك بشماله لا تخفي منكم خافية سريرة
وحال كانت تخفي في الدنيا بستر الله عليكم فاما تفصيل للعرض من اوتي كتابه
بيمينه فيقول هاوم اقروا كتابيه ها صوت يصوت به فيفهم منه معني
خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاوم عند الكوفيين وعند
البصريين باقروا لانه اقرب العاملين واصله هاوم كتابي اقروا كتابي فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل
الاول لقيل اقراوه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه
وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد
استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل
والاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان اليا بغير ها وقرا جماعة باثبات الهاء
في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف اني ظننت اني ملاق حسابيه ظننت
علمت وانما اجري الظن مجري العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات
والاحكام يقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت فهو في عيشة راضية
منسوب الي الرضي كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة
بالصيغة او يجعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان
في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار قطوفها
دانية لها القاعد والقايم يقال لهم كلوا واشربوا هنيا اكلا وشربا هنيا
او هنيتم هنيا علي المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام
الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا
بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالي وروي يقول الله تعالي يا اوليايي
طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم
في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه يا ليتها الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها
كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القي
او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راي تلك
الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغني عني
ماليه نفي او استفهام علي وجه الانكار اي اي شي اغني عني ما كان لي من
اليسار هلك عني سلطانيه هلك عني سلطاني ملكي وتسلطي علي الناس
وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد
وعن فناخسرة الملقب بعضد الدولة انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها
ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن ولم ينطلق لسانه الا بهذه الاية
قال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها
في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمي
لانه كان سلطانا يتعظم علي الناس يقال صلي النار وصلاه النار ثم
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه سلكه في السلسلة ان تلوي

على جسده حتى تلتف عليه اثناوها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر
على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر
لهم سبعين مرة زيدت مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى
في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه
الا في هذه السلسلة كانها افظع من ساير مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى
ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينهما وبين السلك
في السلسلة لا على تراخي المدة انه كان لا يومن بالله العظيم انه تعليل على
طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد
فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على
عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني
ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل
وما احسن قول القائل

انزل نزيل الاضياف كان عذور اعلى الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان
يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء
الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم
قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسال
حميم حميما ولا طعام الا من غسلين والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل
من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
الخاطئون الاثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون
عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها عن
ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطوا وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون
انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين
يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم بما تبصرون
وما لا تبصرون هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج
من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح
والجن والانس والخلق والخالق والنعمة الظاهرة والباطنة انه ان هذا القران
لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله
وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما يدعون القلة في معنى العدم اي لا تومنون
ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا
لانه قول رسول كريم نزل عليه من رب العالمين وقرا ابو السماك تنزيلا
اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله وما هو بقول
شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول
لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل التقول افتعال
القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا
بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول
والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن
يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورة
ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين على اليسار

لان

لان اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه
في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ
بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله ثم لقطعنا
منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد
اذا قطع مات صاحبه وقرئ لو تقول على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه
حاجزين وانه لتذكرة للمتقين قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى
الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير
في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك فيدفعه عنه او لرسول
الله عليه السلام اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه
الخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد
على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون
بالقران وانه الضمير للقران لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا
ثواب المصدقين به او للتكذيب وانه لحق اليقين وان القران لليقين
حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين
ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم
وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا
سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم
سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ضمن سال معنى
دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا
استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس
هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعجل بعذاب الكافرين وقرئ سال سايل وهو على وجهين ان يكون
من السوال وهي لغة قريش وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان
وان يكون من السيلان وتويده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر
في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب
فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله على من ينزل
وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن عنى واهتم فان قلت
بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب
صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين
بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني كلام مبتدا
جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله قلت
يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته
اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع
معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال
تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم
كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل
عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة

علي الملايكة كان الملايكة حفظة علي الناس فان قلت بم تعلق
قوله فاصبر صبرا جميلا قلت بسال سائل لان استعجال
النضر بالعذاب انما كان علي وجه الاستهزاء برسول الله صلي الله عليه
وسلم والتكذيب بالوحي فكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر
عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال علي طريق التعنت
وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل وسيل فمعناه جاء العذاب
لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة
واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو
يوم القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته علي الكفار واما لانه علي
الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر
ذلك علي المومن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع
اي يستبعدونه علي جهة الاحالة ونحن نريه قريبا هينا في قدرتنا غير
بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب
منه يوم تكون السماء كالمهل نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر
في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كان
كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت
وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها وتكون الجبال كالعهن
كالعهن في الصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا
طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يساله بكيف حالك ولا يكلمه
لان بكل احد ما يشغله عن المسالة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء
ولا يخفون عليهم فما يمنعهم عن المسالة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما
يمنعهم التشاغل وقري يبصرونهم وقري لا يسال علي البناء للمفعول
اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون
الي السوال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت
هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره
فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساولهم فان قلت
لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعني
علي العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة
اي حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب
يومئذ وقري يومئذ بالفتح والجر علي البناء للاضافة الي غير متمكن ومن
عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه
في معني تعذيب ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته عشيرته الادنون
الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه انتماء او لياذا بها في النوايب ومن
في الارض جميعا ثم ينجيه عطف علي يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو
ينجيه الافتداء ومن الارض وثم لاستبعاد الانجاء بمعني يتمني لو كان
هولاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الوادادة وتنبيه علي انه لا ينفعه الافتداء
ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها لظي نزاعة للشوي والضمير للنار
ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما

ترجم

ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظي علم للنار منقول من اللظي بمعني اللهب
ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظي ان كانت الهاء
ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معني النار
او رفع علي التهويل اي هي نزاعة وقري نزاعة بالنصب علي الحال المؤكدة
او علي انها متلظية نزاعة او علي الاختصاص للتهويل والشوي الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو
مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة
٭ تدعو انفه الريب ٭ وقوله ٭ ليالي اللهو تطبيني فاتبعه ٭
وقول ابي النجم ٭ تقول للرائد اعشبت انزل ٭
وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين
بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب ويجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه
في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء
الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك
قال ٭ دعاك الله من رجل بافعي ٭ من ادبر عن الحق وتولي عنه
وجمع المال فاوعي فجعله في وعاء وكنزه ولم يود الزكوة والحقوق الواجبة
فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق
هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا اريد بالانسان الناس
فلذلك استثني منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة
المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيي
قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون
تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله
خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغني والشر الفقر او الصحة والمرض
اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعني
ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول
عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق
الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به
هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المومنين الذين
جاهدوا انفسهم وحملوها علي المكاره وظلفوها من الشهوات حتي لم يكونوا
جازعين ولا مانعين وعن النبي صلي الله عليه وسلم شر ما اعطي
ابن ادم شح هالع وجبن خالع الا المصلين الذين هم في صلوتهم دايمون
فان قلت كيف قال علي صلوتهم دايمون ثم علي صلوتهم
يحافظون قلت معني دوامهم عليها ان يواظبوا علي ادائها لا يخلون
بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلي الله عليه
وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عايشة كان عمله ديمة ومحافظتهم
عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها
بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام
يرجع الي انفس الصلوات والمحافظة الي احوالها والذين في اموالهم
حق معلوم هي الزكاة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل
علي نفسه يوديها في اوقات معلومة للسائل الذي يسال والمحروم
الذي يتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون
بيوم الدين تصديقا باعمالهم والذين هم من عذاب ربهم مشفقون

واستعدادهم ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان
عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد
ان يامنه وينبغي له يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاوليك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قايمون قرى بشهادتهم وبشهاداتهم
والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها
احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها وفي تضييعها وابطالها والذين هم
على صلوتهم يحافظون اوليك في جنات مكرمون كان المشركون محتفون
حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون
ويستهزون بكلامه ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها
قبلهم فنزلت فما للذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين نحوك مادي
اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين
فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من
يعتزي اليه الاخر فهم مفترقون قال الكميت
ونحن وجندل باغ تركنا ❁ كتايب جندل شتى عزينا ❁
وقيل كان المستهزون خمسة ارهط ايطمع كل امرء منهم ان يدخل
جنة نعيم كلا كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله
انا خلقناهم مما يعلمون الى اخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث
فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزا فمن اين يطمعون في دخول الجنة
فان قلت من اي وجه دل هذا الكلام على انكارهم البعث
قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج
بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي
من النطف وبالقدرة على ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس
بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك
لم تعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة
المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفي
اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم
من نطفة كما خلقنا بني ادم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا
بالايمان والعمل فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل فلا اقسم
برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
وما نحن بمسبوقين وقرى برب المشرق والمغرب فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من
الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون وقرى يخرجون
ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب
ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون
الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سايل
اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

❁ سورة نوح مكية وهي تسع وثمان وعشرون اية ❁
❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون
ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة
للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار
ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرا ابن مسعود
انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا نحو ان انذر في الوجهين
فان قلت كيف قال ويوخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل
هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان امنوا
عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعماية فقيل
لهم امنوا يوخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون
اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك
الاجل الامد لا يوخر كما يوخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا الى
اوقات الامهال والتاخير قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
دايبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعاي الا فرارا
جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا
لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا
واني كلما دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب
الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه جعلوا اصابعهم
في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا
بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر
الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده
قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم واصروا الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل
عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها
واستكبروا استكبارا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر
المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم اني دعوتهم
جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فان قلت
ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلانية
فيجب ان تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف
قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح
بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يوثر ثلث بالجمع
بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار
اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب
بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به
نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود ولانه اراد بدعوتهم
جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي
مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا

ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا امرهم بالاستغفار الذي
هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم
واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوايد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته
والطاعة ونتايجها من خير الدارين كما قال واخري تحبونها نصر من الله
ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
وان لو استقاموا علي الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد
طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسايهم اربعين
سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب ودفع
عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد علي
الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح
السماء التي يستنزل به المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي
لا تخطي وعن الحسن ان رجلا شكي اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه
اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال
له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم
بالاستغفار فتلا له الاية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الي السحاب
ويجوز ان يراد السحاب والمطر من قوله فان قلت اذا نزل السماء
بارض قوم قلت والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي
فيه المذكر والمونث كقولهم رجل وامراة معطار ومتفال ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون
لله وقارا الا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعني ما لكم لا تكونون علي حال
تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان
صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم
لا تومنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا
اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا
ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة
بالعقاب فتومنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن
عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات
الثواب والعقاب ومن قرا ذاتية واستقر الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا نبههم علي النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور
فيه منهم ثم علي النظر في العالم وما سوي فيه من العجايب الشاهدة
علي الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر
وجعل القمر فيهن نورا فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان
بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا
وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن
ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما
مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوءها كما
يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الي ابصاره والقمر
كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالي هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوي من النور والله انبتكم من
الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا استعير الانبات للانشاء

كما

كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا
كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه للحشوية النابتة
والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم
نجم فلان لبعض المارقة والمعني انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه
معني نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر
كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الارض بساطا جعلها
بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل علي بساطه لتسلكوا منها
سبلا فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم
يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤسهم المقدمين اصحاب الاموال
والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم
واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا خسارا في الاخرة
واجري ذلك مجري صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا
وابطالا لما سواه وقري وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف
علي لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الي من لانه في معني الجمع والماكرون
هم الرؤسا ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس علي اذاه
وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن الهتكم الي عبادة
رب نوح مكرا كبارا قري بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار
اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن ودا كان هذه
السماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن
الهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الي العرب فكانت ود
لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت
العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل
من اولاد ادم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم
تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم
فعبدوهم وقيل كان ود علي صورة رجل وسواع علي صورة امراة ويغوث
علي صورة اسد ويعوق علي صورة فرس ونسر علي صورة نسر وقري ودا
بضم الواو وقري الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراة مشكلة
لانهما كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف
ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما
لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قري وضحاها
بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤسا
ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هولاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة
الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني
ان هولاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن
اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا فان قلت
علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت علي قوله رب انهم
عصوني علي حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النايبة
عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا
اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك
قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما

على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو
الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف
لتصميمهم على الكفر و وقوع الياس في ايمانهم وذلك حسن جميل ويجوز الدعا
به بل لا يحسن الدعا بخلافه ويجوز ان يراد بالضلال الضياع والهلاك
كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا **مما خطيئاتهم اغرقوا** تقديم مما خطيئاتهم
لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم
واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير
الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من
خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم ساير خطيئاتهم كما نعي
عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل
المسلم الخاطئ على سلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان
خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها ياء
وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز
ان يراد الكفر **فادخلوا نارا** جعل دخولهم النار في الاخرة كانه متعقب
لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر
ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب
المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب
خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** تعريض
باتخاذهم الهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم
كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله الهة ينصرونهم ويمنعونهم
من عذاب الله كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا **وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** ديار من الاسماء المستعملة في النفي
العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من
الدور او من الدار اصله ديوار ففعل بها ما فعل باصل سيد وميت
ولو كان فعالا لكان دوارا **انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون
وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة **قلت** لبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل
منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي
حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك وقد اخبره الله
تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن ومعنى لم يلدوا الا فاجرا كفارا
لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه
السلام من قتل قتيلا فله سلبه **رب اغفر لي ولوالدي** ابوه لمك بن
متوشلخ وامه شمخاء بنت انوش كانا مومنين وقيل هما
ادم وحواء وقرئ الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد
ساما وحاما **ولمن دخل بيتي** منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي
مومنا وللمومنين والمومنات خص اولا من يتصل به لانهم اولى
واحق بدعايه ثم عم المومنين والمومنات **ولا تزد الظالمين الا
تبارا** هلاكا **فان قلت** ما فعل صبيانهم حين اغرقوا **قلت**
غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من

اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة
في عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه
السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن
رحمه الله انه سئل عن ذلك فقال علم الله براتهم فاهلكهم بغير عذاب
وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان
باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي قرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو
همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه
في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة
واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل **انه استمع** بالفتح لانه
فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم يحمل عليهما
البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم
الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على
محل الجار والمجرور في امنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي **نفر من الجن** جماعة
منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم
اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم **فقالوا انا سمعنا** اي قالوا لقومهم
حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا
قرانا كتابا **عجبا** بديعا مباينا لساير الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه
قايمة فيه دلايل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه
مبالغة وهو ما خرج من حد اشكاله ونظائره **يهدي الى الرشد** يدعو
الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان **فامنا به** الضمير في به
للقران ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا
ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة
الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره
وانه تعالى جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم
وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا البقرة وال عمران
جد فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد
الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون
والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
وملكوته او لغناه وقوله **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** بيان لذلك
وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته
وحق الاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القران
ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن
من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه
عنه **انه كان يقول سفيهنا على الله شططا** سفيههم ابليس لعنه
الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه
اشط في السوم او ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط

لفظ ما اشطط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا وكان في ظننا ان احدا من الثقلين
لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق وكنا نصدقهم فيما اضافوا
اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقران كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا
او مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول
ومن قرا ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول
لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم
بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد
قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من
سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا
الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم
لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله
احدا وهو كلام الجن يقول بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة
الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش
وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اللمس
المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال
مسسنا من الاباء شيئا وكلنا ∴ الى نسب في قومه غير واضع ∴
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم
جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها
والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف
بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا وركيبا
غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا والرصد
مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم
الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون
صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعاجيا ماء يعني يجد شهابا راصدا
له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فذكر فايدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت
قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله وهو احدى اياته
والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية
قال بشر بن ابي خازم ∴ والعير يرهقها الغبار وجحشها ∴ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ∴ وقال اوس بن حجر
∴ وانقض كالدري يتبعه ∴ نقع يثور تخاله طنبا ∴ وقال عوف بن الخرع
∴ يرد علينا من دون الفه ∴ او الثور كالدري يتبعه الدم ∴
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس
والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد منها
فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم

وروى الزهري عن علي بن الحسين رضي الله عنه عن ابن عباس بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم
تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم
وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملاء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها
مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت
المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع
الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون
شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا
الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف
الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير
الكاملين فيه او ارادوا غير الصالحين كنا طرايق قددا بيان للقسمة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق
المختلفة او كنا طرايق مختلفة كقوله ∴
∴ كما عسل الطريق الثعلب ∴ ∴ او كانت طرايقنا طرايق قددا على
حذف المضاف الذي هو الطرايق واقامة المضاف اليه مقامه والقدة من قد
كالقطعة من قطع ووصفت الطرايق بالقدد لدلالتها على معنى التقطيع والتفرق
وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا حالان
اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل
لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين
وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار
ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي
عنه مهرب وانا لما سمعنا الهدى امنا به هو سماعهم القران وايمانهم به فمن يومن
بربه فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا
وخبر دخلت الفا ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فايدة في رفع
الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك
كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفايدة فيه انه اذا فعل ذلك
فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص
بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس
ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة
على ان من حق من امن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
المومن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس
بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله تعالى ترهقهم ذلة وانا
منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال
قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل
فقال الحجاج يا جهلة انما سماني ظالما مشركا فتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد
قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب

الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى
واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان
على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لادم ولم يكفره وتبعه
ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح
الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم
فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين
استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم
ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض
عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه عذابا صعدا وقرئ
بالنون مفتوحة ومضمومة اي يدخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله
ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله
واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد صعدا
وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا
يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة
النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه
ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي مع الله احدا
في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت
للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وعن قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا
بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء
السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة
آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع
مسجد وهو السجود وانه لما قام عبد الله عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم
فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره
واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه
جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله
ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام
يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن واستمعوا القراءة
كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته
واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا
ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسول
يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كاد المشركون
لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة
وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى
اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر
وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان
ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرا وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه

لقومهم

لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في
ائتمامهم به قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر
انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على
مقتي وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي
الله ورفضي الاشراك بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل
له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي وتدل قراءة ابي
غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله
او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل
والا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله قل اني لن يجيرني من الله
احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته قل اني لن يجيرني
جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه
على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره
منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجا واصله المدخل
من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله
للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل
من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل
الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته
عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان
ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني
بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا يقال بلغ عنه ومنه قوله
عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ انما
هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه
ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين
حملا على معنى الجمع في من فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له
قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون
انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار
الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون من هو اضعف ناصرا واقل عددا
قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فسيعلمون حينئذ
ايهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه
الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه لا يزالون على
ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود
انكارا له فقيل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك
وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما
راى في اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله ام يجعل
له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب
الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت
له غاية عالم الغيب اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول من رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع

علي الغيب لا المرتضي الذي هو مصطفي للنبوة خاصة لا كل مرتضي وفي هذا
ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اوليا مرتضين فليسوا
برسل وقد خص الله من بين المرتضين بالاطلاع علي الغيب وابطال الكهانة
والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا فانه يسلك من بين يدي من ارتضي للرسالة ومن
خلفه رصدا حفظة من الملايكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه
من وساوسهم وتخاليطهم حتي يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي
الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم
الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء عليهم السلام وحدا ولا علي
اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع علي المعني كقوله فان له نار جهنم خالدين
والمعني ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره
في قوله حتي نعلم المجاهدين وقري ليعلم علي البناء للمفعول واحاط بما لديهم
بما عند الرسل من الحكم والشرايع لا يفوته منها شي ولا ينسي منها حرفا فهو مهيمن
عليها حافظ لها واحصي كل شي عددا من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي
وضبط كل شي معدودا محصورا او مصدر في معني احصاء عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء
في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقري المتزمل علي الاصل والمزمل بتخفيف
الزاي وفتح الميم وكسرها علي انه اسم فاعل ومفعول من زمله وهو الذي زمله
غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم نايما بالليل متزملا
في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة
واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان
الا تري الي قول ذي الرمة

وكاين تخطت ناقتي من مفازة ... ومن نايم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب
ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

... وفي امثالهم ... سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

اوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الابل

فذمه بالاشتمال بكسايه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار
علي الهجود التهجد وعلي التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا
علي احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتي انتفخت
اقدامهم واصفرت الوانهم فظهرت السيما في وجوههم وترامي امرهم الي حد
رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعايشة يصلي
فهو علي هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر
بان يدوم علي ذلك ويواظب عليه وعن عايشة رضي الله عنها انها سيلت
ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نايمة
ونصفه عليه وهو يصلي فسيلت ما كان فقالت والله ما كان خزا ولا قزا

ولا

ولا مرعزي ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل
علي خديجة وقد جثث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني
وحسب انه عرض له فبينا هو علي ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة
ان المعني يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله قم
الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وقري قم الليل بضم الميم
وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين
فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
من النصف كانه قال اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعني
التخيير بين الامرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل علي البت وبين ان يختار
احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شيت جعلت
نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين
قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة
الي الكل وان شيت قلت لما كان معني قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت
النصف من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الي الاقل من
النصف وكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد
منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا
ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعني نصف النصف
وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد علي هذا القليل
اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل
الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث
والربع فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عايشة
رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان
فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن
الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا علي ذلك سنة وقيل كان
واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان
يقوم الرجل حتي يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين
ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالي فتهجد
به نافلة لك ورتل القران ترتيلا ترتيل القران قراءته علي ترسل وتوءدة بتبيين
الحروف واشباع الحركات حتي يجي المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج
المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر شر
السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتي يشبه المتلو في تتابعه الثغر
الالص وسيلت عايشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا
تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقاري انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا هذه الاية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القران وما فيه من
الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة علي المكلفين خاصة
علي رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له
واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة
الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدو
فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس
رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن

عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل
كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ان ناشئة الليل ناشئة الليل النفس
الناشئة التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشادت
السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض قال
نشانا الجحوص يربي بينها السري والصق منها مشرفات القماحد
او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية
ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل اتقولين
له قام ناشئة الليل قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة
بالقيام عن المضجع والعبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وترتفع وقيل
هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات
الاول منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول
اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي اشد وطاء
هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان اردت
النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او
الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد
موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد وطاء
بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ
على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على
مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراة لهدو الاصوات وعن انس
رضي الله عنه انه قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال
ان اقوم واصوب واهيا واحد وروي ابو زيد الانصاري عن ابي سرار
الغنوي انه كان يقرا فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم
فقال جاسوا وحاسوا واحد ان لك في النهار سبحا طويلا سبحا تصرفا
وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجات الله
التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراة بالخاء فاستعارة
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب
بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون
على المواطاة واسد للقراة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب
واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب
في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك
وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه
واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر يتناول
كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة
وتلاوة قران ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه تبتيلا وتبتل اليه
وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت
لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب
المشرق والمغرب رب المشرق قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل
من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن
وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرا ابن عباس

رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده
هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان يوكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه
ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن
ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا
لتقليهم وقيل هي منسوخة باية السيف وذرني والمكذبين اولي النعمة
ومهلهم قليلا اذا عرف الرجل من صاحبه انه مهتم بخطب يريد ان يكفاه او
بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه
اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره
الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه
ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه
منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن
من الوفاء باقصى ما تدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه والنعمة بالفتح
التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عيني وهم صناديد قريش
وكانوا اهل تنعم وترفه ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما
ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا
استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن
طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم
ومن عذاب اليم من ساير العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موزورا بينه وبينهم
ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال
ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة
الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى
شرب شربة من سويق يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا
يوم ترجف منصوب بما في الدنيا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب
الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كان فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة
من اللبن قالت الضائنية اجرجف الا واجلب كثبا محالا اي كانت مثل رمل
مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل انا ارسلنا اليكم رسولا الخطاب لاهل
مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فان قلت
لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل
فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه
كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا غليظا من قولهم كلاء وبيل ووخيم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخمة
ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا
يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم
على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى
في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم
اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى
الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد
يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وقدمر بي في بعض الكتب ان رجلا امسي فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو
ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام واريت
الناس يقادون في السلاسل الي النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز
ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب
السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها
تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلايق قري منفطر ومتفطر والمعني ذات
انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شي منفطر والباء في به مثلها
في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم
وهوله كما ينفطر الشي بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يودي
الي انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات
والارض كان وعده وعده من اضافة المصدر الي المفعول والضمير لليوم ويجوز
ان يكون مضافا الي الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه
الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الي ربه سبيلا
فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الي الله بالتقوي والخشية ومعني اتخاذ
السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادني من
ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادني وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين
الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا ابعدت كثر ذلك ونصفه
وثلثه وقري نصفه وثلثه بالنصب علي انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف
والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزايد عليه وهو الادني من
الثلثين وقري نصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين والثلث وهو
ادني من النصف والربع وهو ادني من الثلث وهو الوجه الاخير وطايفة من
الذين معك وتقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا
يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده
وتقديم اسمه عز وجل مبتداء مبنيا عليه يقدر هو الدال على معني الاختصاص
بالتقدير والمعني انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه والضمير في لن تحصوه
لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتي حسابها بالتعديل
والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب
عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم
فالان باشروهن والمعني انه رفع التبعة في تركه عنكم كما ترفع التبعة عن التايب
فاقروا ما تيسر من القران وعبر عن الصلوة بالقراة لانها بعض اركانها
كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر
من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل
هي قراة القران بعينها قيل يقراء ماية اية ومن قرا ماية اية في ليلة لم يحاجه
القران وقيل من يقرا ماية اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية
وقد بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضي والضاربين في الارض
للتجارة والمجاهدين في سبيل الله علم ان سيكون منكم مرضي واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا
ما تيسر منه وقيل سوي الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال
وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيا الي مدينة من مداين المسلمين

صابرا

مطابق للتخيير بين النصف وهو ادني من الثلثين وهو

واقل من النصف
صح

صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن
عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين
شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استينافا على تقدير السوال
عن وجه النسخ واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني المفروضة والزكوة الواجبة
وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها
بالزكوة الواجبة جعل اخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز
ان يريد ساير الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب
المال واعوده على الفقراء ومراعات النية وابتغاء وجه الله والصرف الي المستحق
وان يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا خيرا ثاني مفعولي وجد
وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من
حرف التعريف المعرفة وقرا ابو السماك هو خير واعظم اجر بالرفع على الابتدا
والخبر واستغفروا الله ان الله غفور رحيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي
الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة
نزلت روي جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل
حراء فنوديت يا محمد انك لرسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيا
فنظرت فوقي فرايت شيا وفي رواية عايشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على
عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الي خديجة
فقلت دثروني فنزل جبريل فقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزلت
سورة اقرا باسم ربك الي قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الي خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطي بثوبه مفكرا كما
يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرا على
لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل
قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله
ان لم يومنوا والصحيح ان المعني فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك
فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر وروي
انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت
وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعني الشرط كانه
قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة
من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولي
والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر
بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما
لا يومن معه اصابة النجاسات وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر
الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان

ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني
زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب
ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث
وايثار الطهر في كل شيء والرجز فاهجر والرجز قرئ بالضم والكسر وهو العذاب
ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى
الثبات على هجره لانه كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر وقرا الحسن ولا تمن وتستكثر
مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا
للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب
له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه
وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله
اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه
لا تحريم له ولامته وقرا الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة اوجه الابدال
من تمنن كانه قيل لا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا
ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان تعتبر حال الوقف
وقرا الاعمش بالنصب على اضمار ان كقوله ؎ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان تحذف
ان وتبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله
فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض
وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء غير استكثار
والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه
ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام
فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير والفاء
في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير
يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء
فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير
قلت انتصب بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر
الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك
وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور
واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع
المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان
قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت
لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون
عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة
غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني ومن
خلقت وحيدا وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني
وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته
وحدي لم يشركني فيه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد
فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه

بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية وان كان ملقبا به قبل فهو
تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء
عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب
وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك
به واستهزا بدينه وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء
من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس
هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان
بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل
اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج
غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل
او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب
المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب
السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم
رجال يشهدون معه المجامع والمحافل وتسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن
مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم
رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس
وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي المال والجاه
واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك
وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش
وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد استبعاد
واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل
انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع
لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستيناف
كان قائلا قال لم لا يزداد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته
والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان
من ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد
وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها
يده ذابت واذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا
ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة
باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناية غايته واقصاه في تفكيره وتسميته
القرآن سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا
ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا
ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا
عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه
ما يقوله وهيأه له فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر تعجيب من تقديره
واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش او ثناء
عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف

قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القايل
قاتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي
هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه
يعلو وما يعلى فقال قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال
ابو جهل لعند الله انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال
اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط
يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب
فهل جربتم عليه شيا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر
فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
وما الذي يقوله الا سحر يوثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي
فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه **ثم نظر** في وجوه القوم ثم قطب
وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء
وهم بان يرمي بها وصف الله اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط استهزاء
به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه **ثم عبس وبسر** لما ضاقت عليه
الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ادبر عن الحق **واستكبر** عنه فقال لما قال **فقال ان هذا الا سحر يوثر**
ان هذا الا قول البشر وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما
فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء **قلت**
الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي
ثم تسلمي **فان قلت** فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها **قلت**
الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ
وتباعد **فان قلت** فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف
ما قبله بثم **قلت** لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب
لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث **فان قلت** فلم لم يتوسط حرف
العطف بين الجملتين **قلت** لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد
من المؤكد **ساصليه سقر** بدل من سارهقه صعودا **وما ادراك ما سقر**
لا تبقي ولا تذر لا تبقي شيا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لا تذره هالكا
حتى يعاد اي لا تبقي على شي ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك
محالة **لواحة للبشر** لواحة من لوح الهجير قال
تقول ما لاحك يا مسافر   يا بنت عمي لاحني الهواجر
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل البشر اعالي الجلود
وعن الحسن البشر يلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة
نصب على الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي يلي امرها ويتسلط
على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملايكة وقيل نقيب
وقيل تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم
واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن **وما جعلنا اصحاب**
النار الا ملايكة جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس
فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم
ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتومن هوادتهم ولانهم

اشد الخلق باسا واقواهم بطشا عن عمرو ابن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم
البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين
يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم
وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع
ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم
ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد
البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله تعالى وما جعلنا
اصحاب النار الا ملايكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **وما جعلنا**
عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا **فان قلت** قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المومنين واستهزاء الكافرين
والمنافقين فما وجه صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة
سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع
فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا
من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يومن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ
ولا يذعن اذعان المومنين وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا
عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المومنين وحيرة الكافرين
واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا
بمثلها في القران ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المومنين ايمانا لتصديقهم
بذلك كما صدقوا ساير ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم
انه كذلك **ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون** **فان قلت**
لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون والاستيقان وزيادة
الايمان دلا على انتفاء الارتياب **قلت** لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين
ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه
تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين
من اهل النفاق والكفر **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا**
اراد الله بهذا مثلا **فان قلت** كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون
والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة **قلت** معناه
وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة
والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا الاخبار بما سيكون
كساير الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان
يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم
قاطعين بالكذب **فان قلت** قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان
وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان
وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف يصح ان يكون قول المنافقين
والكافرين غرضا **قلت** افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب
في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر
فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال
منه كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية **فان قلت** لم سموه مثلا

قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام
واستبداعا له والمعني اي شي اراد الله
وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعني اي شي اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملايكة تسعة عشر لاعشرين
سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله
لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء الكاف
في كذلك نصب وذلك اشارة الي ما قبله من معني الاضلال والهدي اي مثل
ذلك المذكور من الاضلال والهدي يضل الكافرين ويهدي المومنين
يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا علي الحكمة والصواب فيراه المومنون حكمة
ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا
وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك
الا هو وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها
علي عقد كامل وبعضها علي عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده
من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الي معرفة ذلك كما لا تعرف الحكمة في اعداد
السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد
النصب والحدود والصلوات والكفارات في الشريعة او وما يعلم جنود
ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا
الخاص حكمة لا يعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل
اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الي قوله الا هو
اعتراض وقوله وما هي الا ذكري للبشر متصل بوصف سقر وهي ضميرها
اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الايات التي ذكرت فيها
كلا انكار بعد ان جعلها ذكري كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر
ان تكون لهم ذكري لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدي الكبر
نذيرا ودبر بمعني ادبر كقبل بمعني اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل
هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقري اذا دبر انها لاحدي الكبر نذيرا للبشر
انها لاحدي الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبري جعلت الف التانيث كتايها فكما جمعت فعلة علي فعل جمعت
فعلي عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء
كانها جمع فاعلة اي لاحدي البلايا او الدواهي الكبر ومعني كونها احداهن
انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي
احدي النساء ونذيرا تمييز من احدي علي معني انها لاحدي الدواهي انذارا
كما تقول هي احدي النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل
باول السورة بمعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراة ابي نذير
بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتداء لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر متقدم عليه كقوله كقولك
لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او
يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الي الخير والتخلف عنه وهو كقوله
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من البشر
علي انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاوا تقدموا ففازوا وان
شاوا تاخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة ليست بتانيث رهين
لان فعيلا بمعني مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم
بمعني الرهن كالشتيمة بمعني الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين

ومنه

ومنه بيت الحماسة ∴ ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ∴ رهينة رمس ذي تراب وجندل ∴
كانه قيل رهن رمس والمعني كل نفس رهين بكسبها عند الله غير مفكوك الا
اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن
رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال
لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس هم الملايكة في جنات اي هم
في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم
او يتساءلون غيرهم عنهم كقوله دعوته وتداعيناه ما سلككم في سقر فان
قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سوال للمجرمين قوله يتساءلون
عن المجرمين وهو سوال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون
المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم وانما هو
حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين يلقون الي السائلين ما جري بينهم
وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين
الا ان الكلام جي به علي الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه
الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يتساءلون وهم
عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك
في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال
انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت
اتريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم
بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت
لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت اراد وانهم بعد ذلك كله كانوا
مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا
حتي اتانا اليقين واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملايكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم
شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل
علي ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين فما لهم عن
التذكرة معرضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القران او غيره
من المواعظ ومعرضين نصب علي الحال كقولك ما لك قائما كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها
في جمعها له وحملها عليه وقري بالفتح وهي المنفرة المحمولة علي النفار والقسورة
جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور
وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء
الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل
شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه
بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة
وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم
بالبله وقلة العقل ولا تري مثل نفار حمار الوحش واطرادها
في العدو اذا رابها رايب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف
الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه
بقانص بل يريد كل امري منهم ان يوتي صحفا منشرة قراطيس تنشر
وتقرا كالكتب التي يكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملايكة

ساعة كتبت منشرة على يديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نومن فيها باتباعك ونحوه
قوله لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقال ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس فلمسوه بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح
عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته
فاتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة
الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرا سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما
على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله **كلا** عن تلك الارادة
وزجرهم عن اقتراح الايات ثم قال **بل لا يخافون الاخرة** فلذلك اعرضوا عن
التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال
كلا انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية **فمن شاء** ان
يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه **ذكره** فعل فان نفع ذلك راجع اليه
والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر
لانها في معنى الذكر والقران **وما يذكرون الا ان يشاء الله** يعني الا ان
يقسرهم على الذكر ويلجيهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يومنون
اختيارا **هو اهل التقوى واهل المغفرة** هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا
عقابه فيومنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا امنوا واطاعوا وروي
انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر
لمن اتقاه وقري يذكرون بالتاء والياء مخففا ومشددا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق
بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم
واشعارهم قال امرؤ القيس ∴ لا وابيك ابنة العامري ∴
وقال غوية بن سلمى ∴ لا يدعي القوم اني افر ∴
الا نادت امامة باحتمالي ∴ لتحزنني فلا بك ما ابالي ∴
وفايدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب في قوله
في بير لا حور سرى وما شعر ∴ واعترضوا عليه بانها انما
تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة
متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط
الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل
قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشي
الا اعظاما له يدلك عليه قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو
تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي ان اعظامي له باقسامي به كلا
اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد
له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم
قيل اقسم بيوم القيمة **فان قلت** قوله فلا وربك لا يومنون
والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي
قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه

المحذوف ها هنا منفيا كقوله لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى **قلت**
لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه
لم يقصر الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان
في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقري لاقسم
على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده
انه في الامام بغير الف **ولا اقسم بالنفس اللوامة** بالنفس المتقية التي تلوم
النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المومن لا تراه الا
لايما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي
تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت
مسيئة وقيل هي نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت
به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله **ايحسب الانسان ان لن
نجمع عظامه** وهو لتبعثن وقرا قتادة ان لن يجمع على البناء للمفعول
والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد
ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي
ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني
عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام
فنزلت **بلى قادرين على ان نسوي بنانه** بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع
فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين
على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه
التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته
على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان
ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون
على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيا واحدا كخف
البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيا مما يعمل باصابعه
المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتاتي
لما يريد من الحوايج وقري قادرون على نحن قادرون **بل يريد الانسان** بل
يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا
على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب
ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله
من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر
التوبة يقول سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله
يسئل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله **ايان يوم
القيمة** ونحوه ويقولون متى هذا الوعد **فاذا برق البصر** تحير فزعا
واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقري برق
من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقري ابو السمال بلق اذا انفتح
وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته **وخسف القمر** وذهب
ضوءه او ذهب بنفسه وقري وخسف على البناء للمفعول **وجمع
الشمس والقمر** حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب

الضو، وقيل بجمعان اسودين مكودين كانهما ثوران عقيران في النار
وقيل بجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان
يومئذ اين المفر المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا
كالمرجع وقري بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا، وكلما التجات
اليه من جبل وغيره وتخلصت به فهو وزرك الي ربك يومئذ المستقر الي
ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون
ان يستقروا الي غيره وينصبوا اليه او الي حكمه ترجع امور العباد لا يحكم
فيها غيره كقوله تعالى لمن الملك اليوم او الي ربك مستقرهم اي موضع
قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الي مشيئته من شا ادخله الجنة
ومن شاء ادخله النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل
عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدمه من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه
او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها
بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم الله بما عملوا احصاه الله
ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة
على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة
او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن
الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى
ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية
المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس
المعذرة ان تجمع معاذر لا المعاذير قلت المعاذير ليس بجمع
معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر لا تحرك به لسانك
الضمير في به للقران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن
الوحي نازع جبريل القراة ولم يصبر الي ان يتمها مسارعة الي الحفظ وخوفا
من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى
يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الي ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك
لسانك لقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا
يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك وقرانه
واثبات قراته في لسانك فاذا قراناه جعل قراة جبريل قراته والقران القراة
فاتبع قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى
غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك
شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى
بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
كلا ردع لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها وحث على الاناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني
ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون
العاجلة وتذرون الاخرة وقري بالياء وهو ابلغ فان قلت
كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الي اخره بذكر القيمة قلت
اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الي التوبيخ بحب العاجلة وترك
الاهتمام بالاخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة

من نضرة النعيم الي ربها ناظرة تنظر الي ربها خاصة لا تنظر الي غيره وهذا
معنى تقديم المفعول الا ترى الي قوله الي ربك يومئذ المستقر الي ربك
يومئذ المساق الي الله تصير الامور واليه ترجعون والي الله المصير عليه
توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم
انهم ينظرون الي اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت التعدد في محشر
يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا
اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه
ان يكون من قول الناس انا الي فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع
والرجاء ومنه قول القائل ⁂ واذا نظرت اليك من ملك ⁂ والبحر دونك زدتني نعما ⁂
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حتى يغلق الناس ابوابهم
وياوون الي مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الي الله واليكم والمعنى انهم
لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا
يرجون الا اياه ووجوه يومئذ باسرة والباسر الشديد العبوس والباسل
اشد منه ولكونه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل
بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت
الوجوه الناظرة الي ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة
كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت
الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلوا الي الاجلة التي تبقون فيها
مخلدين اذا بلغت التراقي والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر
لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم ⁂
⁂ اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ⁂ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ⁂
وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء
والتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة
الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها
وقيل من راق قال حاضر واصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض
ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي
نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتفت
ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت
رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا
بشدة اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب
هما ساقاه حين يلفان في اكفانه الي ربك يومئذ المساق المساق ان
يساق الي الله والي حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الي قوله ايحسب الانسان ان يترك
سدى وهو معطوف على قوله يسال ايان يوم القيمة اي لا يومن بالبعث
فلا صدق بالرسول والقران ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله
بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب
الي اهله يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه
وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت
امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل باسهم بينهم يعني

كذب برسول الله وتولي عنه واعرض ثم ذهب الي قومه يتبختر افتخارا
بذلك اولي لك فاولي ثم اولي لك فاولي اولي لك بمعني ويل لك وهو دعاء
عليه بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدي الم يك نطفة من
مني يمني ثم كان علقة فخلق فخلق فقدر فسوي فعدل فجعل منه
من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثي اليس ذلك الذي انشاء
هذا الانشاء بقادر علي ان يحيي الموتي بقادر علي الاعادة وروي ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلي عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا
بيوم القيمة ⁂ سورة هل اتي مدنية وهي احدي وثلثون اية ⁂

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا هل بمعني قد في الاستفهام
خاصة والاصل اهل بدليل قوله ⁂ اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم ⁂
فالمعني هل اتي علي التقدير والتقريب جميعا اي اتي علي الانسان قبل
زمان قريب حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا اي كان شيا منسيا غير
مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله
انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد
فان قلت ما محل لم يكن شيا مذكورا قلت محله النصب
علي الحال من الانسان كانه قيل هل اتي عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع
علي الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها
تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحال تمت وهي كونه شيا غير مذكور
ولم يخلق ولم يكلف انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نطفة امشاج
كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت
صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ ⁂
طوت احشاء مرتجة لوقت ⁂ علي مشج سلالته مهين ⁂
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما
ومشجه ومزجه بمعني والمعني من نطفة قد امتزج فيها الماان وعن
ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد
انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه
مبتلين له بمعني مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صايدا
به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الي حال
فسمي ذلك ابتلاء علي طريق الاستعارة فجعلناه سميعا بصيرا وعن
ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير
التاخير يعني فخلقناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا شاكرا وكفورا حالان من الها في هديناه
اي مكناه وقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الي الاسلام بادلة العقل
والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرئ
ابو السماك بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعني اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعد والوعيد
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا وقرئ سلاسل غير

منون

منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا
عن حرف الاطلاق ويجري الوصل مجري الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة
ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه علي صرف المنصرف ان الابرار
يشربون من كاس الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد
وعن الحسن هم الذين لا يوذون الذر والكاس الزجاجة اذا كانت فيها
خمر وتسمي الخمر نفسها كاسا كان مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهي اسم
عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورايحته وبرده وعينا بدل منه
وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها
رايحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا علي هذين
القولين بدل من محل من كاس علي تقدير حذف مضاف وكانه قيل
يشربون خمرا خمر عين او نصب علي الاختصاص يشرب بها عباد الله
فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبفعل
الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدا شربهم واول غايته
واما العين فيها يمزجون شرابهم فكان المعني يشرب عباد الله بها الخمر
كما تقول شربت الماء بالعسل ويفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا
من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسي
يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر
علي اداء الواجبات لان من وفي بما اوجبه هو علي نفسه لوجه الله كان
بما اوجبه الله عليه اوفي ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا
بالغا اقصي المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة
استنفر من نفر ويطعمون الطعام علي حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه
والحاجة اليه ونحوه واتي المال علي حبه لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما
تحبون وعن الفضيل بن عياض علي حب الله مسكينا ويتيما واسيرا
عن الحسن كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتي بالاسير فيدفعه
الي بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيوثره
علي نفسه وعن عامة العلماء يجوز الاحسان الي الكفار في دار الاسلام
ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك
واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير
من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمي
رسول الله صلي الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك
فاحسن الي اسيرك انما نطعمكم لوجه الله علي ارادة القول ويجوز ان
يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم
مفعول لوجه الله فلا معني لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا
وتفقيها وتنبيها علي ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عايشة
رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الي اهل بيت ثم تسال
الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقي ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم
وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن
علمه الله منهم فاثني عليهم لا نريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور
والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا يحتمل ان احساننا اليكم من شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم

وانا لانريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة
ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء
كقولهم نهارك صائم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين
عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس
او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه
قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطوبها وذمت
بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعقة
واصطليت الحروب في كل يوم ❊ باسل الشر قمطرير الصباح
فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم
بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب
وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله وجزاهم بما صبروا جنة
وحريرا بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه
فقال يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية
لهما ان برآ مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض
علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة
صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف
عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما
اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد
ما يسوؤني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها
يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقراه السورة فان قلت ما معنى
ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم لصبرهم على الايثار
وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه ماكل هني وحريرا فيه
ملبس بهي متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث
هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب
انه في لغة طي وانشد
وليلة ظلامها قد اعتكر ❊ قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس ولا قمر ودانية عليهم
ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فان قلت ودانية عليهم
ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال
من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم
الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها
شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة
على ان الامرين يجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها
بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية

بالرفع على ان ظلالها مبتدا ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان يجعل متكئين
ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان تكون ودانية معطوفة على
جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت
علام عطف وذللت قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية
معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو
ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على دانية عليهم ظلالها
ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى
انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان يجعل
ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة
من قولهم حائط قصير ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير
قوارير من فضة قدروها تقديرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين
الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض
الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى
ما معنى كانت قلت هو من تكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير
بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة
بالرفع على هي قوارير قدروها صفة القوارير من فضة ومعنى تقديرهم
لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم
فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف
عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذي للشارب لكونه على
مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا يفيض ولا يغيض
وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من
قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه
جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا سميت
العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى
كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا
وقال المسيب بن علس يصف فم امراة وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته
وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها
يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة
يقال سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت
الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة وقال الزجاج السلسبيل في اللغة
صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع
العلمية والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه
سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة
قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا وذري
حبا وسميت بذلك لانه منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو
مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه

ابدع في شعر بعض المحدثين
سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل
وعينا بدل زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل نفسه او يخلق الله طعمه
فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا
كاس عين او منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا
رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران
بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء
دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر
قال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول
كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب
وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا رايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر
ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي
اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب
على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة
لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهينا يروى
ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما
يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل
يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقرئ عاليهم بالسكون
على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس
وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم
اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا
لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم
ثياب بالرفع والنصب على ذلك وقرئ عليهم وخضر واستبرق بالرفع
حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع
الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف
تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل
من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله
استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكرها هنا
ان اساورهم من فضة وفي موضع اخر انها من ذهب قلت هب
انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال
فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء
الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران
سوار من فضة وسوار من ذهب شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان
كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر
فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان
والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح
عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم

مشكورا

مشكورا اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء
الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا
عليك القران تنزيلا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد
لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله عليه السلام انه اذا
كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل
ما نزل عليك القران تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني
حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان
انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام
بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح
وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم اثما او كفورا
ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع
افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره
ويبذلون له اموالهم وتزوج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت
كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا قلت
معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر
داعيا لك اليه لانهم اما ان دعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر وغير اثم
ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم
عتبة[2] كان راكبا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر
شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا
جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا
تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن
طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لوالديه اف علم
انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له او معنى صلوة المغرب والعشا وادخل من على الظرف للتبعيض كما
دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد
له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة
يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا
ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤون به يوما ثقيلا
استعير الثقيل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه
ثقلت في السموات والارض نحن خلقناهم وشددنا اسرهم الاسر
الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس
ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم
بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية
معصوبة الخلق ومجدولته واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا
شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى
وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم ان هذه تذكرة هذه
اشارة الى السورة او الى الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله
عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما يشاؤون الطاعة

[2] والكفور الوليد لان عتبة
صح

الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون
منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء فان قلت
ما محل الا ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت
مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل
كان معه يدخل من يشاء في رحمته هم المومنون والظالمين اعد لهم عذابا
اليما ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه
ذلك وقرا ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرا ابن الزبير
والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة
والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن
باوامره فعصفن في مضيهن كما يعصف الرياح تخففا في امتثال اوامره وبطوائف
منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن
النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا
الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن
وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحائب
نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم
اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر وينسبون
ذلك للانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة
فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر
العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى
العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان
والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان
قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم
معروفا قلت لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمومنين
الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا
قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف
على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى
الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين
الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين
او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين انما توعدون لواقع ان الذي توعدونه
من مجيء يوم القيمة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم
ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست محيت ومحقت وقيل
ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان
يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا
قال الفارجي باب الامير المبهم واذا الجبال نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف
ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة

من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئت طمست وفرجت ونسفت
مشددة واذا الرسل اقتت وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما
والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة
على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم
لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان تكون
معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت
اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتداء في قوله ويل يومئذ
للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله
ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه
ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به يقال له ويلا كيلا
الم نهلك الاولين وقرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه
قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع
على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة الاخرين يريد ثم نفعل بامثالهم من
الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم
ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه
انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب
ولوط وموسى كذلك نفعل بالمجرمين مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم
ويل يومئذ للمكذبين انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره فجعلناه
في قرار مكين الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله
وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا
ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على
ذلك فنعم القادرون فنعم المقدرون له او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون
عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرا فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة
خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين
الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام
والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء
وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو يكفت
والمعنى يكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب
الشافعي رحمه الله على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا
للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت
لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا
قلت هو من تنكير التفخيم كانه قال تكفت احياء لا يعدون
وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء
والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال
من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فما التنكير
في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان
في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا
ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا

الثاني تكرير وقري انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم
بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الي ظل يعني دخان
جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب
وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار
فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلهم حتي
يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان
ظلهم غير ظل المومنين ولا يغني من اللهب ولا يغني في محل الجرا وغير مغن
من حر اللهب شيا انها ترمي بشرر وقرا بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر
من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو
جمرة وجمر وقري كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل
نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود كالقصر بمعني القصور كرهن ورهن
وقرا سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج كانه جمالات صفر
ويل يومئذ للمكذبين جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور
ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقري جمالات
بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقري
جمالة بالكسر بمعني جمال وجمالة بالضم وهو القلس وقيل صفر لارادة
الجنس وقيل صفر سود تضرب الي الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي
دعتهم باعلي صوتها ورمتهم ❊ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوي ❊ وقال ابو العلا
حمرا ساطعة الذوائب في الدجي ❊ ترمي بكل شرارة كطراف ❊
فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد ان يزيد بخبثه
علي تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جا في صدر بيته
بقوله حمرا توطئة لها ومنادات عليها وتنبيها للسامعين علي مكانها ولقد
عمي جمع الله له عمي الدارين عن قوله عز وجل كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله
كبيت احمر وعلي ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من
جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس
تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله
اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطراقه هذا يوم لا ينطقون
ولا يوذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين وقري بنصب اليوم
ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل
ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك
ورد الامران في القران او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع
فيعتذرون عطف علي يوذن منخرط في سلك النفي والمعني ولا يكون لهم
اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عنه ولا محالة
هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل
لانه اذا كان يوم الفصل بين السعدا والاشقيا وبين الانبيا واممهم
فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتي يقع ذلك الفصل بينهم فان كان
فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم علي كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل
عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي
المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون
ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين

في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك كلوا
وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا
وان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الاخرة قلت يقال لهم
ذلك في الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقا بان يقال لهم وكانوا من
اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا علي انفسهم من ايثار المتاع القليل
علي النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله ❊
اخوتي لا تبعدوا ابدا ❊ وبلي والله قد بعدوا ❊
يريد كنتم احقا في حياتكم بان يدعي لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين
دلالة علي ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقا في الهلاك
ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا
واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع
دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون
ذلك ويصرون علي استكبارهم وقيل ما كان علي العرب اشد من الركوع
والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم بالصلوة فقالوا لا نحني لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلي الله
عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين
فباي حديث بعده يومنون تعجب بعد القران يعني ان القران
من الكتب المنزلة اية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يومنوا به فباي
كتاب بعده يومنون وقري تومنون بالتاء عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين
❊ سورة عم مكية وهي احدي واربعين اية ❊
بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون عم اصله عما علي انه حرف جر دخل علي ما الاستفهامية وهو
عما في قراة عكرمة وعيسي بن عمر وقال حسان رضي الله عنه
علي ما قام يشتمني لئيم ❊ كخنزير تمرغ في رماد ❊
والاستعمال الكثير علي الحذف والاصل قليل ومعني هذا الاستفهام
تفخيم الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد
ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه خفي عليك جنسه
فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء
تريد اي شي هو من الاشيا هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتي
وقع في الكلام من لا تخفي عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا
او يتساءلون غيرهم من رسول الله والمومنين يتداعونهم ويتراونهم
والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون
غيرهم عنه علي طريق الاستهزاء عن النبا العظيم بيان للشان المفخم
وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجري الوقف
واما ان يقف ويبتدي يتساءلون عن النبا العظيم علي ان يضمر يتساءلون
لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر الذي فيه مختلفون فان قلت
قد زعمت ان الضمير في يتساءلون الكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون
قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك
وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه
اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء

وقيل المتسأل عنه القران وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يسّاؤن
بالادغام وستعلمون بالتاء كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون كلا ردع للمتسائلين
هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون
منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك
ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد الم نجعل الارض
مهادا فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا
قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث
هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته
على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل
هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث
مؤدي الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها
لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر
كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا
اي ارسيناها بالجبال كما يرسى بالاوتاد وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم
سباتا وجعلنا الليل لباسا سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع
لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل
النوم موتا جعل اليقظة حيوة في قوله وجعل النهار معاشا اي وقت معاش
تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات
الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء
ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور ولابي الطيب

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر ان المانوية تكذب

وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية
الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا
يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بحرها وضوءها وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان ان يجز ومنه اعصرت
الجارية اذا دنت ان تحيض وقرئ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان
يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان تراد السحاب لانها اذا
كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن
مجاهد المعصرات الرياح ذات الاعاصير وعن الحسن وقتادة رحمهما
الله هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات
يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن فيه فان قلت فما وجه من
قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل
من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه
فصح ان تجعل مبتدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل
الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت
ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث
لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن
اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرا الاعرج

ثجاجا



ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي لنخرج به حبا ونباتا يريد
ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا
وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا
واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد
انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ... وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر
واختضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان
قولا وجيها ان يوم الفصل كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا يوقت
به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور يوم
ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى الموقف
امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه
سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم
ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما وبكما وبعضهم يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم
اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين
على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكوسون على وجوههم فاكلة
الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم
واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون
على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا
من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم
واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء
فكانت ابوابا قرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة
لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا
كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح
مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال فكانت سرابا
كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها
وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا المرصاد الحد الذي يكون
فيه الرصد للطاغين مآبا والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين
يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وعن الحسن وقتادة نحوه والا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرا ابن يعمر ان
جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين
كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء لابثين فيها قرئ لابثين ولبثين
واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن
شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا تجد

حقب كلما مضى حقب تبعه اخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة
الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى
حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة
ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذايقين بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس اخر من
العذاب وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره
وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا
عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا
ولا شرابا تفسير له الا حميما وغساقا والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون
فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد
فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد
وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم جزاء وفاقا وصف بالمصدر او ذا
وفاقا وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون
حسابا وكذبوا باياتنا كذابا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش
في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد
فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله
وصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض
نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى
كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا
باياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة اولانهم يتكلمون
بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ
كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد
البليغ في الكذب يقال رجل كذاب وحسان وبخال فيجعل صفة لمصدر
كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ ابو السماك
وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع احصاء او
احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل
او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء
معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات
وهي اية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة
كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريق الالتفات شاهدا
على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشد
ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع
فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده
حدايق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا
كذابا والحدايق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب
اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللذات والدهاق المترعة
وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف

اي

اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه
انه قرا بتخفيف الاثنين جزاء من ربك عطاء حسابا جزاء مصدر مؤكد
منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز جزاء
وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء حسابا صفة بمعنى
كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
وقرا ابن قطيب حسّابا بالتشديد على ان الحسّاب بمعنى المحسب كالدراك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا
قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات
مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك
وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون
والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب
به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه
تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه ولا يملكون ان يخاطبوه
بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن
لهم فيه يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا يوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين
هم افضل الخلايق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهو الروح والملايكة
لا يتكلمون لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات
والارض والروح اعظم خلقا من الملايكة واشرف منهم واقرب من رب
العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم
منه وقيل ليسوا بالملايكة وهم ياكلون وقيل جبريل هما شرطان
ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ذلك اليوم الحق فمن شاء
اتخذ الى ربه مابا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع
الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق وذلك بما
قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ومايجوز ان تكون
استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة
منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة
محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر
الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود
الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى ادم وولده وثوابهم فيتمنى
ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب
يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا اقسم سبحانه بطوايف الملايكة التي تنزع الارواح من الاجسا

وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها
وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الي ما امروا به فتدبر
امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا
في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل
الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب
والتي تخرج من دار الاسلام الي دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من
بلد الي بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الي الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر
واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق
الي المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتي تنحط في اقصي الغرب
والتي تخرج من برج الي برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا
من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع
القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف
وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة **ويوم ترجف** منصوب
بهذا المضمر **والراجفة** الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي
النفخة الاولي وصفت بما يحدث بحدوثها **تتبعها الرادفة** اي الواقعة
التي تردف الاولي وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون الرادفة من قوله تعالي
عسي ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها
الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض
والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
لانها تنشق وتنتثر كواكبها علي اثر ذلك **فان قلت** ما محل تتبعها
قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة **فان قلت**
كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند
النفخة الاولي **قلت** المعني لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع
فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت
النفخة الاخري ودل علي ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة
ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه **قلوب يومئذ واجفة** اي
يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب
والوجيف اخوان **ابصارها خاشعة** ذليلة **فان قلت** كيف جاز
الابتداء بالنكرة **قلت** قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة
صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو قوله ولعبد مؤمن خير من مشرك
فان قلت كيف صح اضافة الابصار الي القلوب **قلت**
معناه ابصار اصحابها بدليل قوله **يقولون اينا لمردودون في الحافرة**
في الحالة الاولي يعنون الحياة بعد الموت **فان قلت** ما حقيقة
هذه الكلمة **قلت** يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء
فيها فحفرها اي فاثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما يقال
حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسنانها والخط المحفور في الصخر
وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الي الحفر والرضا وكقولك
نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الي
حافرته اي الي طريقته وحالته الاولي قال
احافرة علي صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار
يريد ارجوعا الي حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند

الحالة الاولي وهي الصفقة وقري ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعني
المحفور يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراة دليل
علي ان الحافرة في اصل الكلمة بمعني المحفورة **ايذا كنا عظاما نخرة** يقال
نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل
وقري بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب
بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث **كرة خاسرة** منسوبة الي
الخسران او خاسر اصحابها والمعني انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا
بها وهذا استهزاء منهم **فان قلت** بم تعلق قوله **فانما هي زجرة
واحدة قلت** بمحذوف معناه لا يستصعبوها فانما هي زجرة
واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة علي الله عز وجل فانها سهلة
هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية **فاذا هم
بالساهرة** فاذا هم احياء علي وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها
من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء
وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا ... لاقطارها قد جبتها متلثما
او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم **هل
اتاك حديث موسي اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي اذهب الي
فرعون انه طغي** اذهب علي ارادة القول وفي قراة عبد الله ان اذهب لان
في النداء معني القول **فقل هل لك** هل لك في كذا وهل لك الي كذا كما تقول هل
ترغب فيه وهل ترغب اليه **الي ان تزكي** الي ان تتطهر من الشرك وقرا اهل
المدينة تزكي بالادغام **واهديك الي ربك** وارشدك الي معرفة الله وانبهك
عليه فتعرفه **فتخشي** لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالي
انما يخشي الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك
الامر من خشي الله اتي منه كل خير ومن امن اجترا علي كل شر ومنه
قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام
الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه
الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من
عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا **فاراه الاية الكبري** الاية
الكبري قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخري كالتبع
لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا
الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولي لكونها تابعة لها
فكذب بموسي والاية الكبري سماهما ساحرا وسحرا **وعصي** الله تعالي
بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه **ثم ادبر** اي لما
راي الثعبان ادبر مرعوبا **يسعي** يسرع في مشيته قال الحسن كان
رجلا طياشا خفيفا او تولي عن موسي يسعي ويجتهد في مكايدته
او اريد ثم اقبل يسعي كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعني انشا يفعل
فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال **فحشر** فجمع السحرة كقوله
تعالي فارسل فرعون في المدائن حاشرين **فنادي** في المقام الذي اجتمعوا
فيه معا وامر مناديا فنادي في الناس بذلك **فقال انا ربكم الاعلي**
وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة **فاخذه الله نكال الاخرة**

والاولي وعن ابن عباس كلمتة الاولي ما علمت لكم من اله غيري والاخرة
انا ربكم الاعلى وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل
الله به نكال الاخرة والاولي والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمتة الاخرة
وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولي وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري
وقيـل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيـل عشرون ان في ذلك
لعبرة لمن يخشي ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها الخطاب لمنكري البعث
يعني ءانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها
ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدارها في سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسماية عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها
تفاوت ولا فطورا وتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوي
فلان امر فلان واغطش ليلها غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم
واظلمه ويقال اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء
شمسها ويدل عليه قوله والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت
الضحي للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقيم سلطانها واضيف الليل
والشمس الي السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها عيونها المتفجرة ومرعيها
ورعيها وهي في الاصل موضع الرعي والجبال ارساها ونصب الارض
والجبال باضمار دحي وارسي وهو الاضمار علي شريطة التفسير وقراهما الحسن
مرفوعين علي الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف علي
اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معني دحاها
بسطها ومهدها للسكني ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من
تسوية امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء
والمرعي وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتي تستقر عليها والثاني
ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد
بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع
في قوله نرتع ونلعب وقري نرتع من الرعي ولهذا قيـل دل الله سبحانه
وتعالي بذكر الماء والمرعي علي عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من
الارض حتي الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
لان منفعة ذلك واصلة اليهم والي انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى
الطامة الداهية التي تطم علي الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جري
الوادي فطم علي القري وهي القيمة لطومها علي كل هائلة وقيـل هي النفخة
الثانية وقيـل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الي الجنة واهل النار الي النار
يوم يتذكر الانسان ما سعي بدل من اذا جاءت يعني اذا راي اعماله مدونة
في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في سعي
موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت الجحيم وقرا ابو نهيك وبرزت
لمن يري للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا
يراها اهل الساهرة كلهم كقوله
قد بين الصبح الذي عينين يريدون لكل من له
بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفي علي احد وقرا ابن
مسعود لمن راي وقرا عكرمة لمن تري والضمير للجحيم كقوله اذا

التمهيد

راتهم من مكان بعيد وقيـل لمن تري يا محمد فاما من طغي واثر الحيوة الدنيا
فان الجحيم هي الماوي فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر
كذلك والمعني فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك
وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب
الماوي وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف
في الماوي والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل ومبتدا واما من
خاف مقام ربه ونهي النفس الامارة بالسوء عن الهوي المراد وهو اتباع
الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين علي ايثار الخير فان
الجنة هي الماوي وقيـل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب
بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقي رسول الله بنفسه
حتي نفذت المشاقص في جوفه يسالونك عن الساعة ايان مرسيها
متي ارساؤها اي اقامتها اراد ومتي يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل
ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسي السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه
فيم انت من ذكراها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني
ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها
لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتي نزلت
فهو علي هذا المتعجب من كثرة ذكره لها كانه قيـل في اي شغل واهتمام
انت من ذكرها والسؤال عنها والمعني انهم يسالونك عنها فلحرصك علي
جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الي ربك منتهاها اي منتهي
علمها لم يوت علمها احدا من خلقه وقيـل فيم انكار لسؤالهم اي فيم
هذا السؤال ثم قيـل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء
واخر الرسل المبعوث من نسم الساعة من ذكراها وعلامة من علاماتها
وكفاهم بذلك دليلا علي دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا
معني لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشيها لم تبعث لتعلمهم بوقت
الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون
انذارك لطفا له في الخشية منها وقري منذر بالتنوين وهو الاصل
والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي
فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيـل في القبور الا عشية او ضحاها
فان قلت كيف صحت اضافة الضحي الي العشية قلت
لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت فهلا
قيـل الا عشية او ضحي وما فائدة الاضافة قلت الدلالة
علي ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته
او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الي عشيته فهو كقوله كان لم يلبثوا الا ساعة
من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النازعات كان
ممن حبسه الله في القبر والقيمة حتي يدخل الجنة قدر الصلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدي واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولي ان جاءه الاعمي اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام
مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة
الفهري من بني عامر بن لوي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة

ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال
يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله
بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض
عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا
بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين
وقال انس رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس
بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس
على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ
ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى
الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه
فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه
بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم
يقبل على الجاني اذا حمي على الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى
نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى
وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد
تادب الناس بادب الله في هذا تادبا حسنا فقد روي عن سفيان
الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي
شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن
من الشرايع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه الذكرى
ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك
لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك
منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان
يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان
ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب
جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى
تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى
بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرئ ابو جعفر تصدى بضم التاء
اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك
على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام
ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى
يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك
وقيل جاء وليس معه قايد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهى
عنه وتلهى وقرا طلحة بن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تلهي اي
يلهيك شان الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت
عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي
والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن
الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي
موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا
له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف
صفة للتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة

عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي
الشياطين لا تمسها الا ايدي ملايكة مطهرين بايدي سفرة كتبة ينتسخون
الكتب من اللوح كرام بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان
هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم
لان القتل قصارى شدايد الدنيا وفظايعها ما اكفره تعجب من افراطه
في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن متنا ولا ادل
على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للايمة
على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان ينتهي
وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه
من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب
عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه
ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح
له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره نصب
السبيل باضمار ويسر وفسر بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه
من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر ثم اماته
فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه
الارض جزرا للسباع والطير كساير الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه
واقبره الميت اذا امر ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج
اقبرنا صالحا ثم اذا شاء انشره انشاءه النشاة الاخرى وقرئ نشره
كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد مع تطاول
الزمان وامتداده من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج
عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم
في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان
الى طعامه الى مطعمه الذي يعيش فيه كيف دبرنا امره انا صببنا الماء
صبا يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستيناف وبالفتح على البدل من
الطعام وقرئ الحسن بن علي رضي الله عنهما انى صببنا بالامالة
على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء ثم شققنا الارض شقا
شققناها من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب
على البقر فاسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا
فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة
وابا متاعا لكم ولانعامكم والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير
وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه
اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد اخرى وحدايق غلبا يحتمل ان
يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها
كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا
والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي
كرب ∴ يمشي بها غلب الرقاب كانهم ∴ بزل كسين من الكحيل جلالا ∴
والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر
رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي

ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله
عنه انه قراء هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا
كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا بن ام عمران
لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا
فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القران
والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الي ذلك ولكن القوم
كانت اكبر همتهم عاكفة علي العمل وكان التشاغل بشي من العلم
لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان علي الانسان
بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوي الاية ان الاب بعض ما انبته
الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر
لله علي ما تبين لك ولم يشكل ما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب
معني الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة
الجلية الي ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصي الناس بان يجروا
علي هذا السنن فيما اشتبه ذلك من مشكلات القران فاذا جاءت
الصاخة يقال صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا
لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه يفر منهم لاشتغاله بما هو مرفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون
عنه شيا وبداء بالاخ ثم الابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين
لانهم اقرب واحب كانه قيل تفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته
وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ
لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني
الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل
اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح
ولوط ومن ابنه نوح عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
يكفيه في الاهتمام به وقري يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة
مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس
من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرة صلوته بالليل حسن
وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول
ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة غبار يعلوها ترهقها قترة سواد كالدخان ولا تري اوحش
من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما تري في وجوه الزنوج اذا
اغبرت وكان الله عز وعلا يجمع الي سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا
الفجور الي الكفر اولئك هم الكفرة الفجرة عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت في التكوير وجهان ان يكون
من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه
وانتشاره في الافاق وهي عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها
ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها
عبارة عن رفعها وسترها لان النور اذا اريد رفعه لف وطوي

ونحوه

ونحوه قوله يوم نطوي السماء كطي السجل وان يكون من طعنه فجوره وكوره اي
القاه اي تلقي وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت
ارتفاع الشمس علي الابتداء او علي الفاعلية قلت بل علي الفاعلية رافعها
فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معني الشرط انكدرت انقضت
قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروي في الشمس والنجوم
انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض وابعدت او سيرت
في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب واذا العشار والعشار
في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتي علي حملها عشرة اشهر
ثم هو اسمها الي ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها
عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب
والصر لاشتغالهم بانفسهم وقري عطلت بالتخفيف واذا الوحوش
حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شي حتي الذباب
للقصاص وقيل اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقي منها الا ما فيه
سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس
حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة
وقري حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت قري بالتخفيف والتشديد
من سجر التنور اذا ملاءه بالحطب اي مليت وفجر بعضها الي بعض حتي تعود
بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن
الحسن يذهب ماؤها فلا تبقي فيها قطرة واذا النفوس زوجت قرنت
كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها
واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل نفوس
المومنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة سئلت
باي ذنب قتلت واد يئد مقلوب من اد يؤد اذا اثقل قال الله تعالي
ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت
فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعي له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتي اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها
وزينيها حتي اذهب بها الي احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحراء فيبلغ بها البير
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتي تستوي
البير في الارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت
علي راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته
فان قلت ما حملهم علي واد البنات قلت الخوف
من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالي ولا
تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملايكة بنات الله
فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الواد وبه
افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم توءد
فان قلت فما معني سوال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت
به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سوالها وجوابها
تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالي لعيسي ءانت قلت للناس
الي قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقري سالت

اي خاصمت عن نفسها وسالت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان
الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها
حين سالت لقيل قتلت وقرا ابن عباس قتلت على الحكاية وقري قتلت بالتشديد
وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق
الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما اقبح به وهو
الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى
عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج
بهذه الاية **واذا الصحف نشرت** قري بالتخفيف والتشديد يريد صحف
الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة
صحيفتك يا ابن ادم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملي
في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يساق
الامر يا ابن ادم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة
عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما
شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد
نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم
القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده
في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال **واذا السماء كشطت** كشفت
وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشي وقرا ابن
مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد
ولبقته والكافور والقافور **واذا الجحيم سعرت** اوقدت ايقادا شديدا
وقرا سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني
ادم **واذا الجنة ازلفت** ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين
غير بعيد **علمت نفس ما احضرت** وقيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها في الدنيا وست منها في الاخرة وعلمت هو عامل النصب
في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فان قلت** كل نفس
تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس
واحدة فما معنى قوله علمت نفس **قلت** هو من عكس كلامهم
الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول القايل

قد اترك القرن مصفرا انامله

وتقول لبعض
قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم
عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا
ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قاريا قراها عنده فلما بلغ علمت
نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه **فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس**
الخنس الرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجواري
السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وقيل
هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري
مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفي تحت ضوء الشمس فخنوسها

رجوعها

رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب
تخنس في الليل فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش
في كنسها **والليل اذا عسعس** عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه **والصبح اذا تنفس** **فان قلت**
ما معنى تنفس الصبح **قلت** اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل
ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح **انه** الضمير للقران **لقول رسول كريم**
هو جبريل صلوات الله عليه **ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين**
ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كان حال المكانة على حسب حال الممكن
قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشارة الى الظرف
المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وقري ثم تعظيما للامانة وبيانا
لانها افضل صفاته المعدودة **وما صاحبكم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله
على الملايكة ومباينة منزلته بمنزلة افضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم
اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم
بمجنون **ولقد راه** اي ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل
عليه السلام **بالافق المبين** بمطلع الشمس الاعلى **وما هو على الغيب** وما محمد
على ما يخبر به من الغيب من روية جبريل والوحي اليه **بضنين** بمتهم من الظنة
وهي التهمة وقري بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي
بعضه غير مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله
بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا
بد منه للقاري فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا
غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه
وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف
اللسان واصول الثنايا العلى وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال
والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراتان اثنتان
واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى
والاشتقاق والتركيب **فان قلت** فان وضع المصلي احد
الحرفين مكان صاحبه **قلت** هو كواضع الذال مكان
الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت
بين اخواتها **وما هو** وما القران **بقول شيطان رجيم** اي بقول بعض
المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة **فاين تذهبون**
استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات
الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه
الى الباطل **ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم** لمن شاء
منكم بدل من العالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة

حسب

بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم
وان كانوا موعظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا
ان يشاء الله رب العالمين الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم
يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين ينشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت واذا
البحار فجرت فتح بعضها الى بعض واختلط العذب بالمالح وزال البرزخ
الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء
بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رحمه الله
وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف
بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله لا يبغيان لان البغي والفجور
اخوان واذا القبور بعثرت بعثر وبحثر وهما مركبان من البعث والبحث
مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة
لانها بعثرت اسرار المنافقين علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم فان قلت ما معنى قوله ما غرك
بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار وانما يغتر
بالكريم كما يروى على رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه
فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء
ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه
حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله بذلك عليه حتى يطمع بعد ما مكنه
وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح
العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي
الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث
اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل
للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك
الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل
الاعتراف بالخطا في الاعتراف بالستر باعتذار كما يظنه الطماع ويظن
به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون ساير
صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد
بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل
فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله
غارا الذي خلقك فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك
فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى
اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر وجعلك معتدل
الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان

وليس

احدها

احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض
حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني
فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لساير الخلق
او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات في اي صورة ما شاء ركبك ما في
ما شاء مزيد اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من
الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة
والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا عطفت
هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان
قلت بم تعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك
على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك
حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز
ان يتعلق بعدلك ويكون في اي صورة معنى التعجب اي فعدلك
في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب
يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو
موجب الشكر والطاعة الى عكسها الذي هو الكفر والمعصية ثم قال
بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا
ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون
عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه
عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه
ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة
ولطف للمومنين وعن الفضيل انه كان اذا قراها قال ما اشدها من اية
على الغافلين ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون
النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل
اخبر الله في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث حالات حال الحيوة التي
يحفظ فيها عمله وحال الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله
وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية
دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه
وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين والتكرير لزيادة
التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي
لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه والامر يومئذ لله والامر لله
وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن
نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان
يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة
وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او
وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس
شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة

وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها
وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر
وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت متاعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها
عليهم فقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم
العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم
الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا
منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر
وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم
الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين
بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون
الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل
المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف
الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم
وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان
فقال اشهد انه في النار وعن ابي بكر رضي الله عنه لا تلتمس الحوايج ممن رزقه
في رؤس المكيال والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس يضرهم ويتحامل
فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون
وتقديم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس
خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفرا من وعلى يعتقبان
في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت
ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في
كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد
كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ٭ ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
والحريص يصيدك لا الجواد ٭ بمعنى جنيت لك ويصيد لك
وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل
او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج
به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا
اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك
اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على
الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر
والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو
الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد
المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الايمة
المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى
جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف
تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم
يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما
كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان

عند

عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا
قيل او اتزنوهم كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين
كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملاء واذا
اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون
يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم
في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا
انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة
اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك
وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك
بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك
ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك
بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار
والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله
خاضعين ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم في التطفيف وفي ما كان في مثل حاله في الحيف وترك القيام بالقسط
والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل
الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم بمبعوثون
وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما
بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده
كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب
ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار
على العموم ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم
وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن
كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان
الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم
من راه انه لا خير فيه والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك
الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب
الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما يروى تحت الارض
السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة
ورذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة
المقربون فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت
بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه
الا سبب واحد وهو التعريف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل
ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ركبها كما يركب الصداء وغلب

عليها وهو ان يصر علي الكبائر ويسوف التوبة حتي يطبع علي قلبه و لا
يقبل الخير ويميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتي يسود القلب
يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران
فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت وقري بادغام اللام في الراء وبالاظهار
والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن علي
قلوبهم انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يوذن علي الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب
عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين محجوب ومرجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم
وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين
منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه
سبب الارتفاع الي اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل
العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الي ما شاء الله من سلطانه اوحي اليهم انكم
الحفظة علي عبدي وانا الرقيب علي ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين
فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الي ما شاء
الله اوحي اليهم انتم الحفظة علي عبدي وانا الرقيب علي قلبه وانه لم يخلص لي
عمله فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي نعيم علي الارائك الارائك الاسرة
في الحجال ينظرون الي ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والي ما اولاهم
الله من النعمة والكرامة والي اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب
الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم
بهجة التنعم وماءه ورونقه كما تري في وجوه الاغنياء واهل الترفه
وقري تعرف علي البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من
رحيق الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم ختامه مسك
تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه
مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم
مزاجه بالمسك وقري خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من
تسنيم عينا يشرب بها المقربون تسنيم علم لعين بعينها سميت
بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه واما لانها ارفع شراب
في الجنة لانها تاتيهم من فوق علي ما روي انها تجري في الهوا متسنمة فتنصب
في اوانيهم وعينا نصب علي المدح وقال الزجاج نصب علي الحال وقيل
هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون هم مشركوا مكة ابوجهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب
وبلال وغيرهم من فقراء المومنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون

وضحكوا

وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الي اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع
فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا مروا
بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا
الي اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم واذا راوهم قالوا ان
هؤلاء لضالون اي ينسبون المسلمين الي الضلال وما ارسلوا عليهم حافظين وما
ارسلوا علي المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون
علي اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او من جملة قول الكفار
وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين
انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الي الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون علي الارائك ينظرون علي الارائك ينظرون
حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والي ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم علي الارائك
امنون وقيل يفتح للكفار باب الي الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا
وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المومنون منهم هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه واثابه بمعني اذا جازاه قال اوس

سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثني عليك وتحمدي

وقري بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين
سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت حذف جواب اذا ليذهب المقدر
كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار وقيل
جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقي الانسان كدحه ومعناه
اذا انشقت بالغمام كقوله تعالي ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي
رضي الله عنه تنشق من المجرة اذنت له استمعت له ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغني بالقران وقول جحاف بن حكيم
اذنت لكم لما سمعت هريركم والمعني انها فعلت في انقيادها لله حين
اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت
له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقولها اتينا طائعين وحقت من قولك
هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه
الايذان بان القادر بالذات يجب ان يتأتي له كل مقدور ويحق ذلك
واذا الارض مدت من مد الشيء وامتد وهو ان تزال جبالها واكامها
وكل امت فيها حتي تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا
لا تري فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي
لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوي او من مده بمعني
امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها ورمت بما في جوفها
مما دفن فيها من الموتي والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتي
لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصي جهدها في الخلو كما يقال تكرم
الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق
ما في طبعهما واذنت لربها في القاء ما في بطنها وتخليها وحقت يا ايها
الانسان انك كادح الي ربك كدحا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه

حتي يوثر فيهامن كدح جلده اذا اخدشه ومعني كادح الي ربك جاهدا الي
لقاء ربك وهوالموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق
له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فاما من
اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا يناقش
فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن
عايشة رضي الله عنها هوان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف
يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب
وينقلب الي اهله الي عشيرته مسرورا ان كانوا مومنين اوالي
فريق المومنين اوالي اهله في الجنة من الحور العين واما من اوتي كتابه
وراء ظهره قيل تغل يمناه الي عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيوتي
كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسري من وراء ظهره
فسوف يدعوا ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلي سعيرا
وقري ويصلي سعيرا كقوله ونصليه جهنم ويصلي بضم الياء والتخفيف
كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم
مسرورا علي انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا
بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الاخرة ولا يتفكرون
في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية
الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور اي يرجع الي
الله تعالي تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد
يعود رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت
ادري ما معني يحور حتي سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي
بلي ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلي ليحورن ان ربه كان به بصيرا
وباعماله لا ينساها ولا تخفي عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل
نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاشد واخيه الاسود بن عبد الاشد
فلا اقسم بالشفق الشفق الحمرة التي تري في المغرب بعد سقوط الشمس
وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء
الا ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله في احدي الروايتين انه البياض
وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة علي الانسان
رقة القلب عليه والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق
واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سايقا
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه
وما جمعه وستره واوي اليه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق
اذا اجتمع واستوي ليلة اربع عشر لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يومنون
وقري لتركبن علي خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم
علي خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر علي خطاب النفس
وليركبن بالياء علي ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال
ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
واطباق الثري ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها
طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة
مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي

المرتبة من قولهم هو علي طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة علي
معني لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض
وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها فان قلت ما محل
عن طبق قلت النصب علي انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا الطبق
اوحال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة
علي حسب اللطيف القراة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه
واذا قري عليهم القران لا يسجدون لا يستكينون لا يخضعون وقيل
قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه
من المومنين وقريش تصفق فوق روسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو
حنيفة رحمه الله علي وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن
ابي هريرة انه سجد فيها وقال الله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله
صلي الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي
الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون
اشارة الي المذكورين والله اعلم بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون
من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون الا الذين استثناء منقطع عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء علي التشبيه
وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت
بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد
ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من
يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق
تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت
كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل
الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسي وامته لقوله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وساير الامم وقيل
يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل
الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنوا ادم وعن الحسن ما من
يوم الا ينادي اني يوم جديد واني علي ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو
غابت شمسي لم تدركني الي يوم القيمة وقيل الحفظة وبنوا ادم
وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله عليهم فان قلت اين جواب
القسم قلت محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه
قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب
الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المومنين وتصبيرهم
علي اذي اهل مكة وتذكيرهم بما جري علي من تقدمهم من التعذيب
علي الايمان والحاق انواع الاذي وصبرهم وثباتهم حتي ياتسوا بهم
ويصبروا علي ما كانوا يلقون من قومهم ويعلمون ان كفارهم عند

الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال
فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله
قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض
وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قايمته
في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم
ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ
الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك
فساله فقال من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا
ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني
على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني
به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب
الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها
صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت
وعن علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب
وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم
فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب
الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد
ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم
يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد
النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم بقوله قتل اصحاب الاخدود
وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين
النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنا عشر الفا في الاخاديد وقيل
سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد
البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار
عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود
بالضم اذ هم عليها قعود اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين
حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله
وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه
تريد مستعليا لمكان يدنو منه وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود
ومعنى شهادتهم على احراق المومنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا
يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض
اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمومنين

يؤدون شهادتهم يوم القيمة تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد وما عابوا
منهم وما انكروا الا الايمان كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وقال ابن الرقيات
ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا
وقرئ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق
بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما
يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه الذي له ملك السموات والارض
فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق
الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم
بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه
علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم
لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يجوز ان يريد بالذين
فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى
فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم
ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المومنين
ويجوز ان يريد الذين فتنوا المومنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمومنين
المفتونين وان للفاتنين عذابين في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد
تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام
انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا
وفي الاخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد
الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا
بالاعادة وقرئ يبدا وهو الغفور الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله
الودود من اعطائهم ما ارادوا ذو العرش المجيد وقرئ ذي العرش صفة لربك
وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه
فعال لما يريد فعال خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل
في غاية الكثرة هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود فرعون وثمود
بدل من الجنود واراد بفرعون اياه واله كما قال من فرعون وملائهم والمعنى
قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين
كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله من
ورائهم محيط والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة
بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به
ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم
وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم
بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قران مجيد شريف عالي الطبقة
في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران
رب مجيد في لوح وقرئ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهوا يعني اللوح فوق
السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ
محفوظ بالرفع صفة للقران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا
عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب النجم الثاقب
المضي كانه يثقب الظلام بضوءه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه
اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال الاتي ليلا طارق
او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي ترجم
بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
الا ترجمة كلمة باخري فبين لي اي فايدة تحته قلت اراد
الله عز وجل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب
القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه علي ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة
بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره
بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار الفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول
الله صلي الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب
وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو اية من ايات
الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت
ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرا لما مشددة بمعني
الا ان تكون نافية وفيمن قراها مخففة علي ان ما صلة ان تكون مخففة
من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقي به القسم حافظ مهيمن عليها
رقيب وهو الله عز وجل وكان الله علي كل شيء رقيبا وكان الله علي
كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير
وشر وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا
يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الي
نفسه لاختطفته الشياطين فلينظر الانسان مم خلق فان قلت
ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه
لما ذكر ان علي كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره
ونشاته الاولي حتي يعلم ان من انشاه قادر علي اعادته وجزائه فيعمل
ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي علي حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق
استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعني دافق
النسبة الي الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد
المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم
واتحادهما حين ابتدي في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من
بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة
وقري الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب
وصلب وصلب وصالب قري العجاج في صلب مثل العنان المودم
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه علي رجعه لقادر
انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان
ابتداء من نطفة علي رجعه علي اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث
عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلي السراير منصوب برجعه ومن
جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الي مخرجه من الصلب والترائب

اوالاحليل والي الحالة الاولي نصب الظرف بمضمر السراير ما اسر في القلوب
من العقايد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها
والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد
سيبقي لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلي السرائر
فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة
في نفسه يمنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع سمي المطر
رجعا كما سمي اوبا قال
ربا شماء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل
تسمية بمصدر رجع واب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب
تحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه الي الارض او ارادوا التفاول فسموه
رجعا واوبا ليرجع ويؤب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت
الخنساء كالرجع في المدجنة السارية والارض ذات الصدع والصدع
ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقران لقول فصل
فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه
جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا
في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل
او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الي ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه
ويعده ويوعده حتي ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادني
امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعي الله علي المشركين ذلك في قوله و
تضحكون ولا تبكون والغوا فيه انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا
واكيد كيدا يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم
بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار
منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا
اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل
نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلي تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من
المعاني التي هي الحاد في اسمايه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر
الاعلي بمعني العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعني العلو في المكان
والاستواء علي العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا علي
وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلي صفة للرب والاسم
وقرا علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلي وفي الحديث لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلي قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون
في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق
فسوي اي خلق كل شيء فسوي خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا
غير ملتيم ولكن علي احكام واتساق ودلالة علي انه صادر عن عالم
وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدي قدر لكل حيوان ما يصلحه
فهداه وعرفه وجه الانتفاع به يحكي ان الافعي اذا اتت

عليها الفسنة عميت و قد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج
الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة
ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض
البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن
الله وهذا ايات الله للانسان الى ما تحدمن مصالحه وما لا تحصر من حوايجه
في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهايم والطيور
وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان
ربي الاعلى وقدر قدر بالتخفيف والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى
احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه
غثاء احوى دريا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه
احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا
تنسى بشره الله باعطاء اية بينة وهو ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من
الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب
به عن حفظه برفع حكمه فتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل
بالقراة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان
يقراه عليك قراة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره
بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه
اسقط اية في قراته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال
نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل
لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء
وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي
والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره
فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر
وما يخفى يعني انك تجهر بالقراة مع قراة جبريل مخافة التفلت والله يعلم
جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل وانا اكفيك مما تخافه
او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من
احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء
ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله
انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر
واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرايع
واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل اهل الجنة فان قلت او لم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم
تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا
يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليهم
فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد واعرض
عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير
التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن
حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم
كما يقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط

استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء
العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هولاء فغير خاشعين
ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتنحاها الاشقى
الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
الذي يصلى النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم
والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقيل ثم لان الترجح
بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى
لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي
او تطهر للصلوة او يكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق
من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة
واتى الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرا تصدق وصلى
وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في
كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى
فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى
ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسمايه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه
بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة
العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون
على الغيبة ويعضد الاولى قراة ابن مسعود بل انتم تؤثرون والاخرة خير
وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عثمان رضي الله عنه ما الدنيا
في الاخرة الا كنفخة ارنب ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك
الصحف وقيل الى ما في السورة كلها روي عن ابي ذر رضي الله عنه
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مايه
واربعة كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى
اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف والتورية
والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل
ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله
الله على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى وكان
علي وابن عباس رضي الله عنهما يقولان ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يحبها
وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها
وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشيهم العذاب وقيل
النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وجوه يومئذ
يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب
فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل
وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدورها وقيل

عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الاخرة
وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله وقدمنا
الي ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اوليك الذين حبطت
اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت
ونصبت في اعمالها من الصوم الدايب والتهجد الواصب وقري عاملة
ناصبة علي الشتم تصلي نارا حامية قري تصلي بفتح التا وتصلي بضمها وتصلي
بالتشديد وقيل المصلي عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا جمرا كثيرا
ثم يعمدوا الي شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوي فوق الجمر او علي المقلي او في
التنور فلا يسمي مصليا تسقي من عين انية متناهية في الحر كقوله بين حميم آن
ليس لهم طعام الا من ضريع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه
الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب ٭٭
رعي الشبرق الريان حتي اذا ذوي ٭٭ وعاد ضريعا بان منه النحايص ٭٭
وقال يذكر ابلا وسوء مرعاها ٭٭ وحبسن في هزم الضريع فكلها ٭٭
حدباء دامية اليدين حرود ٭٭ فان قلت كيف قيل
ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت
العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين
ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن ولا يغني من جوع لا يسمن
مرفوع المحل او مجرور علي وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شي
ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به
وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذا منفيتان عنه وهما
اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا
لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع
او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي
الظل علي التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه
ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر
فيرد قولهم بنفي السمن والشبع وان ان يصدقوا فيكون المعني ان
طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن
ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف
في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بما عملها
لما رات ما اداهم اليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو المكان
او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية اي لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو لا تتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله
علي ما رزقهم من النعيم الدايم وقري لا يسمع علي البناء للمفعول بالتاء
والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها
سرر مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليري المومن بجلوسه عليه
جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوة لهم من رفع
الشي اذا خباه واكواب موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة
بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الي ان يدعو بها او موضوعة
علي حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد
الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا ونمارق
مصفوفة بعضها الي جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان

يجلس جلس علي مسورة واستند الي اخري وزرابي وبسط عراض فاخرة
وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة
او متفرقة في المجالس افلا ينظرون الي الابل نظر اعتبار كيف خلقت
خلقا عجيبا دالا علي تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الي البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتي تحمل عن
قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعاز ولا تمانع صغيرا وبراءها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض
الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها ففكر
ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين
البر صبرها علي احتمال العطش حتي ان اظماءها لترتفع الي العشر فصاعدا
وجعلها ترعي كل شي نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه ساير البهايم
وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد
الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الي الابل كيف خلقت والي السماء
كيف رفعت والي الجبال كيف نصبت والي الارض كيف سطحت فان
قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة
قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبوادهم
فانتظمها الذكر علي حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب
الي قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام
والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وربما راي السحاب مشبها
بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب علي طريق التشبيه
والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدي بلا امساك وبغير عمد وكيف
نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا
بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمتقلب عليها وقري علي رضي الله عنه خلقت
ورفعت ونصبت وسطحت علي البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير
فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد
والمعني افلا ينظرون الي هذه المخلوقات الشاهدة علي قدرة الخالق
حتي لا ينكروا اقتداره علي البعث فيسمعوا انذار الرسول ويومنوا به
ويستعدوا للقايه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم
لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست
عليهم بمسيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هي لغة
تميم مفتوح الطاء علي ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه
الا من تولي استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولي منهم
وكفر فان لله الولاية والقهر فيعذبه الله فهو يعذبه العذاب الاكبر
الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر
الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولي فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
وقري الا من تولي علي التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ان الينا ايابهم
ثم ان علينا حسابهم وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان
يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب وان يكون اصله اوابا فعالا
من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل
سيد فان قلت ما معني تقديم الظرف قلت معناه
التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الي الجبار المقتدر علي الانتقام

وان حسابهم ليس بواجب لا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير
ومعنى الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح
في قوله والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي
الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت
لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد
لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى
الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان يكون الامات متجانسة
ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها
شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها
يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير
بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا
يسري اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر
بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده
وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر
والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق
وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري
تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من
هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم
بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم
عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا
ينبغي كما يسمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء
وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا
لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله
فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد قيل لعقب عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال
لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم
باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما

فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى
القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل
عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة فتقديره بعاد اهل ارم
كقوله وسل القرية ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف
والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرا بعاد ارم بسكون

الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم
الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم
المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من
فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين
اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد
وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة
فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا
وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن وثلثماية
سنة وكان عمره تسعماية سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناؤها سار اليهم باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي
لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعماية
ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق
مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق
الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر بالواد جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال
واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال
والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة كلها من الحجارة وفرعون
ذي الاوتاد قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا ولتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وباسية الذين
طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان
يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا
او مجرورا على وصف المذكور من عاد وثمود وفرعون فصب عليهم ربك سوط
عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله
بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس
الى ساير ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال
ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد المرصاد
المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا
مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل
له اين ربك فقال لبالمرصاد وعن عمرو بن عبيد الله انه قرا هذه السورة عند
المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا
النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان
بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه
فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فان قلت بم اتصل قوله فاما
الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد

من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما
الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت
فكيف يوازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق
التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما
الملك فشكور واما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو
مسيء قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه
وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء
لما في اما معنى الشرط والشرط المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه
قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول
الثاني خبر المبتداء واجب تقديمه فان قلت كيف سمي كلي الامرين
من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار
للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد
اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم
بالخير والشر فتنة فان قلت هلا قال فاهانه فقدر عليه رزقه
كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه
عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال
بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده
ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية
ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه
فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر اهانن وذمه عليه
قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه
قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه
ما اعطاه اكراما مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم
عليه كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من
غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون
الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة
من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا
تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه
سمي ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام
في قوله فاكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن
بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسر
كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين كلا ردع للانسان
عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا
يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام
المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يحاضون اي
يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من
المحاضة وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وتاكلون التراث اكلا لما
ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ۞ فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل
كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم وقيل

ياكلون

ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله
وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق
فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا واسعا جامعا ويحبون المال
حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا اذا دكت الارض
دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم
ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل
من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا بعد دك كقولك حسبته
بابا بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منثورا فان قلت ما معنى
اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة قلت
هو تمثيل لظهور ايات اقتداره وتبين اثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك
بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل الملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي
الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله
بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الاية
فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين
الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاهلكت اهل الجمع يومئذ يتذكر الانسان
اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى
لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين انى له الذكرى
تناف وتناقض يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حيوة الاخرة
او وقت حيوتي في الدنيا كقولك جئت لعشر ليال خلون من رجب وهذا
ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم
لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبورين على المعاصي كمذهب اهل
الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا
يوثق وثاقه احد قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره والضمير للانسان
الموصوف وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه
ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده
او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ
بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده
في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمومن يا ايتها النفس
اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه وسلم او على لسان
ملك والمطمئنة الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي
النفس المومنة المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها
شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة
المطمئنة فان قلت متى يقال لها ذلك قلت اما عند الموت
واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد
ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي

في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل
النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقري ابن عباس فادخلي
في عبدي وقري ابن مسعود في جسد عبدي وقرا ابي ايتي ربك راضية
مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل
في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الي المدينة فقال
اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها
فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا
يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده علي ان الانسان خلق
مغمورا في مكابدة المشاق والشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله
وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك علي عظم حرمتك يستحل
بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا
بهذا صيدا ويعضد وابها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبت
من رسول الله وبعث علي احتماله ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب
من حالهم في عداوته او سلي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالقسم ببلده علي
ان الانسان لا يخلو من مقاسات الشدايد واعترض بان وعده فتح مكة
تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل
به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه
مكة واحلها له وما فتحت علي احد قبله ولا احلت له فاحل ما شا وحرم
ما شا قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة
وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الي ان تقوم الساعة ثم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلي خلاها ولا ينفر
صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر
فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلي الله عليه وسلم الا الاذخر فان
قلت اين نظير قوله وانت حل في معني الاستقبال قلت
قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول
لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان
الاحوال المستقبلة عنده كالحاضر المشاهد وكفاك دليلا قاطعا
علي انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية
واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ووالد وما ولد فان قلت
ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلي الله عليه وسلم
ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم
ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر
قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت
هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت
اي باي شي وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما ادم
وولده وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان في كبد والكبد
اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع

فيه

فيه حتي استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كتبه بمعني
اهلكه واصله كبده اذا اصاب قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد
اي في شدة الامر وصعوبة الخطب ايحسب ان لن يقدر عليه احد والضمير
في ايحسب لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم الله
يكابد منهم ما يكابد والمعني ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف
للمومنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر علي الانتقام منه وعلي مكافاته بما هو
عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة
ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر
ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم
يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان
علي ان يكون المعني اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه
اهله من الماثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان
في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم
حين خلقهم انهم لا يومنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن
يقدر عليه هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه
من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقي موضع قدميه وقيل
الوليد بن المغيرة لبدا قري بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة
وقري لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم عن ضمايره وشفتين يطبقهما علي فيه ويستعين
بهما علي النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي
الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك
رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة
فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك
الرقاب واطعام اليتامي والمساكين ثم بالايمان الذي هو الاصل كل طاعة
واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالنعم والمعني ان الانفاق علي هذا الوجه
هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك ما لا لبدا في الرياء والفخار
فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية فان قلت
قلما يقع لا الداخلة علي الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيي لا فعله
لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي متكررة في المعني
لان معني فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا تري انه
فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين امنوا يدل
علي معني فلا اقتحم العقبة ولا امن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة
والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من
معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة
الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان فك رقبة تخليصها من رق او غيره
وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم دلني علي عمل يدخلني
الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة فقال اوليسا سواء قال لا اعتاقها
ان تتفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة
من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة رحمه الله ان العتق افضل من الصدقة
وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل علي قول ابي حنيفة لتقدم العتق

على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي
قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرى فك رقبة او اطعام
على هي فك رقبة او اطعام وقرى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة
وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على
النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب
اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر
ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب
في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة
الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم
هم ناصب ذو نصب وقرا الحسن رحمه الله ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه
اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة جاء بثم لتراخي الايمان
وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان
الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة
اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر على
المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلي بها المومن وبان يكونوا متراحمين
متعاطفين او بما يودي الى رحمة الله والذين كفروا باياتنا هم اصحاب
المشئمة الميمنة والمشامة اليمين والشمال او اليمن والشوم اي الميامين
على انفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار موصدة وقرى موصدة بالواو والهمزة
من اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن
عياش لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان
من غضبه يوم القيمة سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك
قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع
النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب
ان ينتصف والقمر اذا تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك
في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور
والنهار اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي
في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا
او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة
وارسلت يريدون السماء والليل اذا يغشيها فتغيب وتظلم الافاق
فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان
تجعل الواوات عاطفة وتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين
وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم
فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب
فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا وكان لها شان خلاف
شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر وكانت الواو قائمة مقام الفعل
والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو

فحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمروا
وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها جعلت ما مصدرية
في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها
وما يودي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت
على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي
بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن
لنا فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما
ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس ادم كانه قال وواحدة
من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وتنكر للتكثير على الطريقة المذكورة
في قوله علمت نفس فالهمها فجورها وتقواها ومعنى الهام الفجور والتقوى
افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء
منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص
والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل
ابن عباس عنه فقال اتقرا قد افلح من تزكى وقد خاب من حملا ظلما واما قول
من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع الى
من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله
قدرا وهو بري منه ومتعال عنه علوا كبيرا ويحيون لياليهم في تمحل
فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت
هو محذوف وتقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول
الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع
لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب
القسم في شي كذبت ثمود بطغواها الباء في بطغويها مثلها في كتبت بالقلم
والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات
الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امراة
خزيا وصديا بمعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراته
على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فاهلكوا بالطاغية وقرا الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى
في المصادر اذ انبعث اشقاها اذ منصوب بكذبت او بالطغوى
واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك
في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمونث وكان
يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم فقال لهم رسول الله ناقة
الله وسقياها والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل
في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة
الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا
واحذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستاثروا بها عليها
فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم
عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة
اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب
فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسويها الضمير للدمدمة اي فسويها

بينهم لم يفلت منها صغيرهم وكبيرهم ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها
كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود
علي معني فسواها بالارض او بالهلاك ولا يخاف عقبي هلاكها وفي مصاحف
اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشمس فكانما تصدق بكل شي طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وهي احدي وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشي المغشي اما الشمس من قولك والليل اذا يغشيها واما النهار من
قولك يغشي الليل النهار واما كل شي يواريه بظلامه من قوله اذا وقب والنهار
اذا تجلي ظهر والظلمة الليل وتبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق
الذكر والانثي والقادر العظيم القدرة الذي قدر علي خلق الذكر والانثي
من ماء واحد وقيل هما ادم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر
والانثي بالجر وقرا ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثي وعن الكسائي
وما خلق الذكر والانثي بالجر علي انه بدل من محل ما خلق بمعني وما خلقه الله
اي ومخلوق الله الذكر والانثي وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده
بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح
ليس بذكر ولا انثي وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم
بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثي وقد لقي
خنثي مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثي وان كان مشكلا عندنا
وان سعيكم لشتي شتي جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان
اختلافهما فيما فصل علي اثره فاما من اعطي يعني حقوق ماله واتقي الله فلم يعصه
وصدق بالحسني بالخصلة الحسني وهي الايمان او بالملة الحسني وهي ملة الاسلام او
بالمثوبة الحسني وهي الجنة فسنيسره لليسري فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب
اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعني فسنلطف به
ونوفقه حتي تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام واما من بخل واستغني وكذب بالحسني واستغني وزهد
فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغني بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة
لانه في مقابلة قوله واتقي فسنيسره للعسري فسنخذله ونمنعه الالطاف حتي
تكون الطاعة اعسر شي عليه واشده من قوله ومن يرد الله ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمي طريقة الخير باليسري لان
عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسري لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة
والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين وقيل نزلت في ابو بكر رضي
الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه ماله استفهام في معني
الانكار او نفي اذا تردي تفعل من الردي وهو الهلاك يريد الموت او تردي
في الحفرة اذا قبر او تردي في قعر جهنم ان علينا للهدي ان الارشاد الي الحق
واجب علينا بنصب الدلايل وبيان الشرايع وان لنا للاخرة والاولي اي
ثواب الدارين للمهتدي كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن
الصالحين فانذرتكم نارا تلظي لا يصليها الا الاشقي الذي كذب وتولي
وقري ابو الزبير تتلظي فان قلت كيف لا يصليها الا الاشقي وسيجنبها
الاتقي وقد علم ان كل شقي يصليها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقي
الاشقيا ولا بالنجاة اتقي الاتقيا وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها

مخصوصة بالاشقي فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقي فقد علم ان افسق المسلمين
يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقي منهم خاصة قلت الاية واردة
في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ
في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقي وجعل مختصا بالصلي كان النار
لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه
وسيجنبها الاتقي الذي يوتي ماله يتزكي يتزكي من الزكاء اي يطلب ان يكون
عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت
ما محل يتزكي قلت هو علي وجهين ان جعلته بدلا من يوتي فلا محل
له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير
في يوتي فمحله النصب وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه
الاعلي ابتغاء وجه ربه مستثني من غير جنسه وهي النعمة اي ما لاحد عنده
نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقري يحيي بن وثاب
الا ابتغاء وجه ربه بالرفع علي لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد
في اللغتين قول بشر بن ابي حازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها ... الا الجاذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له علي المعني لان معني الكلام لا يوتي
ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضي موعد بالثواب
الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
والليل اعطاه الله حتي يرضي وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحي مكية وهي احدي عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحي المراد بالضحي وقت الضحي وهو صدر النهار حتي ترتفع الشمس وتلقي
شعاعها وقيل انما خص وقت الضحي بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسي
والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحي وقيل اريد بالضحي النهار
وبيانه قوله ان ياتيهم باسنا ضحي في مقابلة قوله بياتا والليل اذا سجي سكن وركد ظلامه
وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات
فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك ربك وما
قلي ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقري بالتخفيف
يعني ما تركك قال

وثم ودعنا ال عمرو وعامر ... فرايس اطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي
ان الوحي قد تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا
ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما اري
شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلي كحذفه من الذاكرات
في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوي
فهدي فاغني وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت
كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولي بما قبله قلت لما كان في ضمن
نفي التوديع والقلي ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا تري
كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من
ذلك واجل وهو السبق والتقدم علي جميع انبياء الله ورسله وشهادة
امته علي ساير الامم ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير

ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضي موعد شامل
لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول
الناس في دين الله افواجا والغلبة علي قريظة والنضير واجلايهم وبث عساكره
وسراياه في بلاد العرب وما فتح علي خلفايه الراشدين في اقطار الارض من
المداين وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف
في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء
المسلمين وما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة
الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة
علي سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا
محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعني لانا
اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل
علي المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل
الا علي الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله
ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معني الجمع بين حرفي التوكيد
والتاخير قلت معناه ان العطاء كاين لا محالة وان تاخر لما في
التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته
وابتداء نشئته ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله علي ما سلف
منه لئلا يتوقع الا الحسني وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل
صبره فقال الم يجدك يتيما فاوي الم يجدك من الوجود الذي بمعني العلم
والمنصوبان مفعولا وجد والمعني الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو
جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه
ابو طالب فعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من
قولهم درة يتيمة وان المعني الم يجدك واحدا في قريش عديم النظر فاواك
وقري فاوي وهو علي معنيين اما من اواه بمعني اواه سمع بعض الرعاة
يقول اين اوي هذه الموقسة واما من اوي له اذا رحمه ووجدك ضالا
معناه الضلال عن علم الشرايع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري
ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل
الي عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته
وجاءت به لترده علي عبد المطلب وقيل ضل به في طريق الشام حين
خرج به ابو طالب فهدي فهداك فعرفك القران والشرايع او فازال ضلالك
عن جدك وعمك ومن قال كان علي امر قومه اربعين سنة فان اراد انه
كان علي خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان علي دينهم
وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة
وبعدها من الكباير والصغاير الشايفة الشاينة فما بالك بالكفر والجهل
بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفي بالنبي نقيصة عند الكفار
ان يسبق له كفر ووجدك عايلا فقيرا وقري عيلا كما قيل سيحات
وعدما فاغني فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنايم قال صلي
الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغني قلبك
فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه علي ماله وحقه لضعفه وفي قراة ابن
مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس وجهه وفلان ذو كهورة عابس
الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني واما السايل فلا تنهر

واما

واما بنعمة ربك فحدث النهر والنهم الزجر وعن النبي صلي الله عليه وسلم
اذا رددت السايل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسايل
المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره التحدث بنعمة الله شكرها
واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك
وعن مجاهد بالقران فحدث اقرانه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن
غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت
كذا فاذا قيل له يا ابا فراس مثلك يقول مثل هذا قال ما يقول الله تعالي
واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل
هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن علي نفسه الفتنة
والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفي به وفي
قراة علي رضي الله عنه فخبر والمعني انك كنت يتيما وضالا وعايلا فاواك
الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلي ما خيلت فلا تنس نعمة الله
عليك في هذه الثلاثة واقتد بالله فتعطف علي اليتيم واوه فقد ذقت
اليتم وهوانه كيف فعل الله بك وترحم علي السايل وتفقده بمعروف
ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله
كلها وتدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله
في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة
الضحي جعله الله فيمن يرضي لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد
كل يتيم وسايل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا
لك ذكرك استفهم عن انتفاء الشرح علي وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه
فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعني
ومعني شرحنا صدرك فسحناه حتي وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين
جميعا او حتي احتمل المكاره التي تتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه
بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع
العمي والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرا
الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع
انه فتحها والوزر الذي انقض ظهره اي حمله علي النقيض وهو صوت الانتقاض
والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرايع او من تهالكه
علي اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علمه
الشرايع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرا انس وحللنا وحططنا وقرا
ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة
الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القران
والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله
واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب
الاولين والاخذ علي الانبياء واممهم ان يومنوا به فان قلت اي
فايدة في زيادة لك والمعني مستقل بدونه قلت في زيادة لك
ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم
مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك

فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فان قلت كيف تعلق قوله
فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله
والمومنين والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار
اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلايل النعم ثم قال ان مع العسر
يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر
الذي انتم فيه يسرا فان قلت ان مع الصحبة فما معنى اصطحاب
اليسر العسر قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا
فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقادن للعسر زيادة
في التسلية وتقوية للقلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج
ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا
عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله
اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر
قوله ويل يوميذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب
وكما يكرر المفرد في قولك جاني زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف
بيسر لا محالة والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير
الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو
العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع
زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل واحد فهو هو ايضا واما اليسر
فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد
تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد باليسرين
قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يريد يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله
تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى
الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم
كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وفي مصحف ابن مسعود مرة واحدة
فان قلت فاذا ثبت في قراته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو
كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت
كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين
وذلك يسران في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت
فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة
بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها
وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة
ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن
الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت
من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي انه راي رجلا يشيل حجرا
فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله
بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الراي وسخافة العقل واستيلاء
الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا
لا في عمل دنيا ولا في عمل اخرة وقرا ابو السماك فرغت بكسر الراء وليست
بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب

بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان
يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته
فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه والى ربك
فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اقسم بهما لانهما
عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ
منها قضيبا فاستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة
وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس هو تينكم
هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية
طور تينا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان
وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين
والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون
بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون
بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو
امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته ان يحفظ من دخله
كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه
لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما امنا بمعنى ذي امن
ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها
من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر
ابراهيم ومولد عيسى ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى
ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ومبعثه
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته
وتسوية لاعضايه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا
يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل
من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين
اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس
ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان
بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه
دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف فقد اعبد الله
اسفل السافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون
فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت
هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين
كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم

ثم ما يكذبك بعد بالدين

علي ابتلاء الله تعالي بالشيخوخة والهرم وعلي مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة علي تخاذل نهوضهم **فان قلت** ثم ما يكذبك من المخاطب به
قلت هو الخطاب للانسان علي طريقة الالتفات اي ثم ما يجعلك
كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت
بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الي ان تكون كاذبا
بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله عز وجل الذين يتولونه والذين هم
به مشركون والمعني ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه
في مراتب الزيادة الي ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الي ان يبلغ ارذل العمر لا تري
دليلا اوضح منه علي قدرة الخالق وان من قدر علي الانسان علي هذا كله لم يعجز عن
اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل
الخطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم **اليس الله باحكم الحاكمين** وعيد للكفار
وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال
بلي وانا علي ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا
سورة التين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا
واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق عن ابن عباس ومجاهد هي اول
سورة نزلت واكثر المفسرين علي ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل
باسم ربك النصب علي الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرا
فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان
قلت هو علي وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه
الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق
كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولي بتقديره
من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله
الخلق لان التنزيل اليه او هو اشرف ما علي الارض ويجوز ان يراد الذي خلق
الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره
بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة علي عجيب فطرته **فان
قلت** لم قال من علق علي الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة
ثم من علقة **قلت** لان الانسان في معني الجمع كقوله ان الانسان
لفي خسر **اقرا وربك الاكرم** الذي له الكمال في زيادة كرمه علي كل كريم ينعم
علي عباده بالنعم التي لا تحصي ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم
وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز
عنهم بعد اقتراف العظايم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم
بافادة الفوايد العلمية تكرم حيث قال الاكرم **الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم** فدل علي كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة
الجهل الي نور العلم ونبه علي فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت
اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي
لما استقامت امور الدنيا والدين ولو لم يكن علي دقيق حكمة الله ولطيف
تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفي به ولبعضهم في صفة القلم

ورواتم

ورواتم رقش كمثل اراقم ... قطف الخطي نيالة اقصي المدي
سود القوايم ما يجد مسيرها ... الا اذا لعبت بها بيض المدي

وقرا ابن الزبير علم الخط بالقلم **كلا ان الانسان ليطغي** كلا ردع لمن كفر بنعمة
الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه **ان راه استغني** ان راي
نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصايصها ومعني
الرؤية العلم ولو كانت بمعني الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين
واستغني هو المفعول الثاني **ان الي ربك الرجعي** واقع علي طريقة الالتفات
الي الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعي مصدر كالبشري
بمعني الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهي وروي
انه قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم اتزعم ان من استغني طغي فاجعل لنا
جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغي فندع ديننا ونتبع دينك
فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يومنوا فعلنا بهم ما فعلنا
باصحاب المايدة فكف رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم
وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال
فوالذي يحلف به لين رايته لاوطان عنقه فجاءه ثم نكص علي عقبيه فقالوا
له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
**ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلي ارايت ان كان علي الهدي او امر بالتقوي
ارايت ان كذب وتولي الم يعلم بان الله يري** ومعناه اخبرني عمن ينهي بعض
عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي علي طريقة سديدة فيما ينهي عنه
من عبادة الله او كان امرا بالمعروف والتقوي فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقد وكذلك ان كان علي التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح
كما نقول نحن الم يعلم بان الله يري فيطلع علي احواله من هداه وضلاله
فيجازيه علي حسب ذلك وهذا وعيد **فان قلت** ما متعلق
ارايت **قلت** الذي ينهي مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين
فان قلت فاين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره
ان كان علي الهدي او امر بالتقوي الم يعلم بان الله يري وانما حذف لدلالة
ذكره في جواب الشرط الثاني **فان قلت** فكيف صح ان يكون
الم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني
وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه **فان قلت** فما ارايت
الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت **قلت** هي زايدة مكررة
للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهي سلمان عن الصلوة **كلا**
ردع لابي جهل وخسو له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات
ثم قال **لين لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة**
لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الي النار والسفع القبض علي الشيء
وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب

قوم اذا نفع الصريخ رايتهم ... من بين ملجم مهره او سافع

وقري لنسفعن بالنون المشددة وقرا ابن مسعود لاسفعن وكتبتها
في المصحف بالالف علي حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفي
بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة
وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفايدة وهي قوله ناصية
وناصية بالنصب وكلاهما علي الشتم ووصفها بالكذب والخطاء علي

الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس
في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه سندع الزبانية والنادي
المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير
لهم مجلس صهب السبال اذلة • وقال زهير • وفيهم مقامات حسان وجوههم
والمقامة المجلس روي ان ابا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله عليه السلام فقال اتهددني
وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرا ابن ابي عبلة ستدعى الزبانية
على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية
من الزبن وهو الدفع وقيل زبني فكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب
كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة
العذاب وعن النبي عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا
ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله ولا تطع
المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك
وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر عظم القران من ثلاثة اوجه احدها ان اسند
انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون
اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث
الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة
القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان
ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاثة وعشرين سنة
وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها
واكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها
السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا
لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها
على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير
الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك
لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ
درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف
شهر فقال ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية
ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل
كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون
من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي
وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف
الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من
اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل
وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل

امر

امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ
اي من اجل كل انسان وقيل لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه في تلك الليلة
سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها
بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المومنين وقرئ مطلع الفجر
بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من
الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول
من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب
وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن
عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي مكتوب في التورية
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني انهم كانوا يعدون
اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن
يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الغنى فيزداد فسقا
فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق
الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء ان يزايله
بعد التحامه كالعظم اذا انفك من فصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم
لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة
وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها
كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم
عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس
به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين
اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت
لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب
له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء اي الا بالدين الحنيفي ويقيموا الصلوة ويوتوا
الزكوة ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ
وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجد
قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا
بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن مسعود
الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية قرا نافع البريئة بالهمز والقراء
على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض
الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب
في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لم يكن كان
يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها زلزالها قرئ بفتح الزاي وكسرها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي يستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن فيه واخرجت الارض اثقالها الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حتى تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يومن بالبعث فاما المومن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديثها ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان يقول له كن فيكون قال

اوحى لها القرار فاستقرت

وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرا ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له لم قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والذرة النملة

الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المومن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله عز وجل يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح ... في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع اي وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه فقال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثغر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان لربه لكنود الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان

من مثل نعمة ابويه ثم ان عظاها في جنب ادني نعمة الله قليلة ضئيلة
وانه وان الانسان علي ذلك علي كنوده لشهيد يشهد علي نفسه و لا
يقدر ان يجحده لظهور امره و قيل وان الله علي كنوده لشاهد علي
سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد الخير المال من قوله تعالي ان ترك خيرا
والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة ؞
؞ اري الموت يعتام الكرام ويصطفي ؞ عقيلة مال الفاحش المتشدد ؞
يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد
القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة
الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر و قوي له
اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه
شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
ان ربهم بهم يومئذ لخبير بعثر بعث و قري بحثر وبحث وبحثر وحصل
علي بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعني حصل جمع في المصحف اي
اظهر محصلا مجموعا و قيل ميز بين خيره و شره ومنه قيل للمنخل
المحصل ومعني علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم علي مقادير اعمالهم لان ذلك
اثر خبره بهم وقرا ابو السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
بات بالمزدلفة وشهد جمعا ؞ سورة القارعة مكية وهي عشر ايات ؞
؞ بسم الله الرحمن الرحيم ؞
القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الي الداعي
من كل جانب كما يتطاير الفراش الي النار قال جرير ؞
؞ ان الفرزدق ما علمت وقومه ؞ مثل الفراش غشين نار المصطلي ؞
وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ
الوانا لانها الوان وبالمنفوش لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف
فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية الموازين جمع موزون وهو
العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه
حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت
موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق لميزان لا يوضع
فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم
الباطل وخفتها في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان
يخف واما من خفت موازينه فامه هاوية من قولهم اذا دعوا علي
الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوي اي سقط وهلك فقد هوت
امه ثكلا وحزنا قال ؞
؞ هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ؞ وماذا يرد الليل حين يؤوب ؞
فكانه قيل فاما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار
فكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوي بعيدا كما روي يهوي
فيها سبعين خريفا اي فماواه النار وقيل للماوي ام علي التشبيه
لان الام ماوي الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه

هاوية

٢١٠

هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وما ادراك ما هيه نار حامية هي ضمير
الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء
للسكت فاذا وصل القاري حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج
لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة ؞
؞ سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات ؞
؞ بسم الله الرحمن الرحيم ؞
الهاكم التكاثر حتي زرتم المقابر الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله والتكاثر
التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هولاء نحن اكثر وهولاء نحن اكثر
روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد
مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم والمعني انكم تكاثرتم بالاحياء حتي اذا استوعبتم عددهم
صرتم الي المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتي بزيارة المقابر
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر
فلان عند تفاخرهم والمعني الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم
واخرتكم من امر الدين الذي هو اهم واعني من كل مهم واراد الهاكم التكاثر بالاموال
والاولاد الي ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها
والتهالك عليها الي ان اتيكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولي بكم من السعي لعاقبتكم
والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال ؞
؞ لن يخلص العام خليل عشرا ؞ ذاق الضماد او يزور القبرا ؞
وقرا ابن عباس أالهاكم علي الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه
علي انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير
تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة علي ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد
كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعني سوف تعلمون الخطا فيما انتم
عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة
عليكم كلا لو تعلمون علم اليقين ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف
الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه
من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال
جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد
مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم
محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب
وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقري لترؤن
بالهمز وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة
قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة
وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقري لترون ولترونها علي البناء للمفعول
ثم لترونها عين اليقين اي عين الروية التي هي نفس اليقين وخالصته
ويجوز ان يراد بالروية العلم والابصار ثم لتسالن يومئذ عن النعيم
عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان
قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من
احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته علي استيفاء

اللذات ولم يعش لا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب
لا يعباء بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه
التي لم يخلقها الا لعباده وتقوي بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا
بالشكر فهو من ذاك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي
انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا
وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية مدنية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى
والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادايها اشق لتهافت
الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي
كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلايل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من
اصناف العجايب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران
والمعني ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم
تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر
الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع
كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة وتواصوا بالصبر عن
المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصي بالحق
وتواصي بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهز واللمز الطعن يقال لمزه وهزه طعنه
والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة
يدل على ان ذلك عادة منه وقد ضري بها ونحوه اللعنة والضحكة قال
وان اغيب فانت الهامز اللمزة وقري ويل للهمزة اللمزة
وقري ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك
فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريف وكانت عادته
الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة
واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب
خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض
بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي جمع مالا وعدده الذي بدل
من كل او نصب على الذم وقري جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل
عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقري وعدده اي جمع المال وضبط عدده
واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد
اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده
على فك الادغام نحو ضببوا يحسب ان ماله اخلده اخلده وخلده بمعنى طول
المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان
المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعلم من تشديد البنيان الموثق بالصخر

والاجر

والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض
بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه
وروي انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن
انه عاد موسرا فقال له ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم
قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوايب الدهر ومخافة
الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه
لينبذن وقري لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره
ولننبذنه في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقي فيها ويقال للرجل
الاكول انه لحطمة وقري الحاطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على
افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شي في بدن الانسان الطف من الفواد ولا
اشد تالما منه بادني اذى يمسه فكيف اذا طلعت عليه نار جهنم واستولت
عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقايد الفاسدة والنيات
الخبيثة ومعني اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع
على سبيل المجاز معادن موجبها انها عليهم مؤصدة موصدة مطبقة قال
تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد
ممددة وقري في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعني
انه يوكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد
على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعني انها عليهم
موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم
ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بني كنيسة بصنعاء وسماها القليس
واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه
ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثني عشر
فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده
فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابي
وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا
وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل
خضرا وقيل بيضا مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من
العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راي منها عند ام هاني نحو
قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج
من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل
ودوي ابرهة فتساقطت اناملة واارابه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوق راسه حتى بلغ
النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل
كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عايشة رايت قايد الفيل
وسايسته اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير
فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني جيت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابايك وعصمتكم
وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت
رب سيمنعه ثم رجع واتي باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله ✽ وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ✽ عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا ✽ فامر ما بدا لك
يا رب لا ارجو لهم سواكا ✽ يا رب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي
بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا علي اموالهم وجمع عبد المطلب من
جواهرهم وذهبهم الجوز وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سيل
عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من
اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر قرا الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر
الجازم والمعني انك رايت اثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة
فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف معني
الاستفهام **الم يجعل كيدهم في تضليل** في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضايعا ونحوه قوله وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامري القيس الملك
الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس واراد وا
ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا
بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم **وارسل عليهم طيرا ابابيل** حزايق الواحدة
ابالة وفي امثالهم ضغث علي ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها
بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرا ابو حنيفة رحمه الله
يرميهم اي الطير او الله لانه اسم جمع مذكر وانما يونث علي المعني **ترميهم بحجارة من
سجيل فجعلهم كعصف ماكول** وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب
المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك ولذلك
قال وارسل عليهم طيرا وارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ
الاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت
ابن مقبل   ضربا تواصت به الابطال سجيلا   وانما هو سجينا والقصيدة
نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال
وهو ان ياكله الدود او تبين اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء علي ما عليه اداب
القران كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف لايلاف قريش متعلق بقوله
فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين **فان قلت** فلم
دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معني الشرط لان المعني اما لا فليعبدوه

لايلافهم

لايلافهم علي معني ان نعم الله عليهم لا تحصي فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه
الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعني اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق
بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان ١٢
يتعلق معني البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة
بلا فصل وعن عمر انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب وقرا في الاولي والتين والمعني
انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب
ويحترموهم فضل احترام حتي ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجتري احد
عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الي اليمن وفي الصيف الي الشام
فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته
فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك الفت
المكان اولفته ايلافا اذا الفته فانا مولف قال • من المولفات الزهو غير الاوارك •
وقري لالاف قريش اي لموالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا • وقرا
ابو جعفر الف قريش وقد جمعهما من قال • زعمتم ان اخوتكم قريش • لهم الف وليس
لهم الاف • وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد
النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن
ولا تطاق الا بالنار وعن معوية انه سال ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت
قريش قريشا قال بدابة البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلي وانشد

وقريش هي التي تسكن البحر ✽ بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين
بتجاراتهم وضربهم في البلاد واطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين
تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا
به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس
كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقري رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل
اليها **فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع** والتنكير في جوع وخوف
لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما **وامنهم من خوف**
عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل
كانوا قد اصابتهم شدة حتي اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم من خوف الجذام
فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه
ومن بدع التفاسير وامنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقري من
خوف باخفاء النون عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف
قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين قري اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار
لان حذفها يختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من
امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه

صاح هل ريت اوسمعت براع ✽ رد في الضرع ما قري في العلاب

وقرا ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت
علي والمعني هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه **فذلك الذي**
يكذب بالجزاء هو الذي **يدع اليتيم** اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذي ويرده
ردا قبيحا بزجر وخشونة وقري يدع اي يترك ويجفو **ولا يحض** ولا يبعث

اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام
على ايذاء الضعيف يعني انه لو امن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم
على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه
في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد
اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون كانه قال
فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى
تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها
من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاوب والالتفات لا يدري الواحد منهم
عن كم انصرف ولا ما قرا من السور وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم
الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هولاء احق بان يكون سهوهم عن
الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة
من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون
بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة
فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف
ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده
عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يوذي اليتيم ولا
يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين
على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب
وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت
كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت
معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم
وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك
لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين
ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد
يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا
عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس رضي الله عنه
الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقرا ابن مسعود لاهون الذين هم يراون
ويمنعون الماعون فان قلت ما معنى المراآة قلت هي
مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب
به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان
بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر
ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهم بالاظهار وان كان تطوعا
فحقه ان يخفى لانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان
حميدا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن
بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا
لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء
صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود . الماعون
الزكوة قال الراعي ❊ اخليفة الرحمن انا معشر ❊ حنفاء نسجد بكرة واصيلا ❊
❊ ❊ ❊ قوم على الاسلام لما يمنعوا ❊ ماعونهم ويضيعوا التهليلا ❊ ❊

وعن ابن مسعود

وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها
وعن عايشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة
اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان مؤديا للزكوة ❊

❊ ❊ سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات ❊ ❊ ❊

❊ ❊ ❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊ ❊

انا اعطيناك الكوثر في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالنون وفي
حديثه صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط
الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال
❊ وانت كثير يا ابن مروان طيب ❊ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ❊
وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها حين انزلت
عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي
في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظما من شرب
منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الروس الذين
لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في
صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال
له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير
فصل لربك وانحر والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى
وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين
على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك
ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة
اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه
وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر
لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان شانئك هو الابتر
ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم
القيمة من المومنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى
لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل
تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة
وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور واذا مات مات ذكره وقيل
نزلت في العاص بن وايل وقد سماه بالابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار
الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه
الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر ويقربونه

❊ ❊ سورة الكافرون مكية وهي ست ايات ❊ ❊ ❊

❊ ❊ ❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊ ❊

قل يا ايها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يومنون
روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره فقالوا
فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام
وفيه الملا من قريش فقام على روسهم فقراها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون
اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال

الا تري ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعني لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انتم
فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي ما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجي مني
في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا علي عبادته
فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت
لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالي في ذلك
الوقت فان قلت فلم جا علي ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه
قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شركم ولي توحيدي والمعني اني
نبي مبعوث اليكم لادعوكم الي الحق والنجاة فاذ لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني
كفافا ولا تدعوني الي الشرك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين
فكانما قرا ربع القران وتباعدت منه مردة الشياطين وبري من الشرك ويعافي من
الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل
كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان
قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتي عطف عليه قلت النصر
الاغاثة والاظهار علي العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد
والمعني نصر رسول الله صلي الله عليه وسلم علي العرب او علي قريش وفتح مكة وقيل
جنس نصر الله للمومنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة العشر مضين
من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلي الله عليه وسلم عشرة الاف من
المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الي هوازن
وحين دخلها وقف علي باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم وقد كان الله تعالي امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له
فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه علي الاسلام ورايت الناس يدخلون
في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف الله غيرها ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها
بعد ما كانوا يدخلون فيها واحدا واحدا واثنين واثنين وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه انه بكي ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل
اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان
يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن
لما فتح رسول الله صلي الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها علي بعض فقالوا
اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم شرا وكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرا
ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون علي البناء للمفعول فان قلت
ما محل يدخلون قلت النصب اما علي الحال علي ان رايت بمعني ابصرت

اوعرفت او هو مفعول ثان علي انه بمعني علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله
حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد علي
اهل الحرم واحمده علي صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه
لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هاني انه لما فتح باب الكعبة صلي
صلوة الضحي ثماني ركعات وعن عايشة كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك واستغفره انه كان توابا والامر بالاستغفار
مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية
وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع وهضم
النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلي الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم
والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله علي اصحابه استبشروا وبكي
العباس فقال صلي الله عليه وسلم وما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال
انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن
عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا
وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره
الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال
فديناك بانفسنا واموالنا واباينا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر كان يدنيه
وياذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتي معنا وفي ابنائنا من
هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم
فسالهم عن قول الله تعالي اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال
بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس
كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف
تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي
الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول
اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمي سورة التوديع كان
توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا
فعلي كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب وتب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي
هالكة من الهرم والتعجيز والمعني هلكت يداه لانه فيما يروي اخذ حجرا ليرمي
به رسول الله وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته
كقوله بما قدمت يداك ومعني وتب وكان ذلك وحصل كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك
الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال
يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا
دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت
فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مستهزءا بالكنية دون الاسم فقد يكون
الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية علي الاسم او الاسم علي الكنية

عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقي سمة له ذكر الاشهر
من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرا يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية
ابن ابو سفيان لئلا يغير منه شي فيشكل علي السامع ولفليتة بن قاسم امير
مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان
اسمه عبد العزي فعدل عنه الي كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار
وما له الي نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها
ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كني رسول الله
صلي الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك
لتلهب وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك
وقري ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم
ما اغني عنه ماله استفهام في معني الانكار ومحله النصب او نفي **وما كسب**
مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعني ومكسوبه او وكسبه والمعني لم ينفعه
ماله وما كسب بماله يعني راس المال والارباح او ماشيته وما كسب من
نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه
بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان
بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب
فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله صلي الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني
كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه علي شي كقوله
تعالي وقدمنا الي ما عملوا وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا
افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلي نارا ذات لهب** قري بفتح اليا وبضمها
مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كاين لا محالة وان تراخي وقته
وامراته حمالة الحطب وامراته اي هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت
تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله
صلي الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمايم المفسد
بين الناس يحمل الحطب بينهم اي توقد بينهم النائرة وتورث الشر قال
من البيض لم تصطد علي ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب
جعله رطبا ليدل علي التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت امراته عطفا
علي الضمير في سيصلي اي سيصلي هو وامراته و**في جيدها** في موضع
الحال او علي الابتداء وفي جيدها الخبر وقري حمالة الحطب بالنصب علي الشتم
وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الي رسول الله بجميل من احب شتم
ام جميل وقري حمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقري ومريته بالتصغير
حبل من مسد المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد
او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعني
في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها
في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها
بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها
وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض
الناس الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال
ماذا اردت الي شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعني ان حالها تكون في نار جهنم علي الصورة التي كانت عليه
حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال علي ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة
الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب
كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا
سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق
كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له **فان قلت** ما محل
هو **قلت** الرفع علي الابتداء والخبر الجملة **فان قلت** فالجملة
الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الي المبتدا فاين الراجع **قلت** حكم
هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعني وذلك ان
قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق
فان زيدا والجملة يدلان علي معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن
ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني
الذي سالتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او علي هو احد وهو
بمعني واحد واصله وحد وقرا عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي
صلي الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرا الله احد كان بعدل القران
وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقري احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته
لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء
الساكنين **الله الصمد** والصمد فعل بمعني مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو
السيد المصمود اليه في الحوايج والمعني هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق
السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو
الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم **لم يلد** لانه لا يجانس
حتي تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا **ولم يولد** لان كل مولود محدث وجسم
وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم **ولم يكن له كفوا احد** ولم يكافئه احد اي
لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سالوه
ان يصفه لهم فاوحي اليه ما يحتوي علي صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الي من
هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي
القدرة والعلم لكونه واقعا علي غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه
بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد
وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه
غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبايح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه
عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للتشبيه
والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به **فان قلت**
الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم
وقد نص سيبويه علي ذلك في كتابه فما باله ورد مقدما في افصح كلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه
وهذا المعني مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شي واعناه
واحقه بالتقديم واحراه وقري كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها
مع سكون الفاء **فان قلت** لم كانت هذه السورة عدل القران

كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود
وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا على ان
من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان
علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف
بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز
عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل
علم واستيلائه على قصب دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه
وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم
احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك
الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين
وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع
والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على
توحيد الله ومعرفته صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت
فقيل يا رسول الله وما جبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق
فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه
قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض
عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والاجسام عن الاولاد
والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم
لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام
فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم
فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا
فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر ما خلقه وشرهم
ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والماثم ومضارة بعضهم بعضا
من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين
منه من الاكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه
الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم ومن
شر غاسق اذا وقب والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى
الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة
امتلات دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شي ويقال وقبت الشمس اذا
غابت وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني
صلوة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلا وعن عايشة رضي الله عنها
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده
ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه
والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه
فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر
الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من

حدوثه

حدوثه فيه ومن شر النفاثات في العقد النفاثات النساء او النفوس
او الجماعات السواحر اللاتي تعقدن الاشر عقدا في خيوط وينفثن عليها
ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام
شي ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن
الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت
على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسب الحشو والرعاع اليهن والى
نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبون به فان قلت
فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدهما ان يستعاذ
من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من
فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما
يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات
من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي
يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك ومن
شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود
لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه
لاغتمامه بسروره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من
حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهار
اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى
الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص
شر هولاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال
به وقالوا شر العداة المداجي لانه يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت
فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون
في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد
في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام
وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس قرى قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه
فخذ اربعة فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت
لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم
كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي
امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس
قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين
بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس
واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت
فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت
لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار من شر

الوسواس الخناس الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه
وسوسة في نفسه لانها صنيعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان
يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والنبات لما روي عن سعيد
بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولي واذا غفل وسوس اليه
الذي يوسوس في صدور الناس الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث
فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القاري على الخناس
ويبتدي الذي يوسوس على احد هذين الوجهين **من الجنة والناس** بيان
للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين
الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من
شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة
والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال
في سورة الجن واما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم
من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين
وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود
منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداعي وكما قرا من قرا من حيث
افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت
علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند
الله منهما ؞ وهذا اخر التفسير ؞ والحمد لله على التيسير ؞ **قال**
المصنف وانا اعوذ بالله وبجميع كلمات الله الكاملة التامة ؞ والوذ بكنف
رحمته الشاملة العامة ؞ من كل ما يكلم الدين ؞ ويثلم اليقين ؞ او يعود في العاقبة
بالندم ؞ او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم • واساله بخضوع العنق وخشوع
البصر • ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر • متشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة
في الاسلام • متوسلا بالتوبة الممحصة للاثام • وبما عنيت به من مهاجرتي
اليه ومجاورتي • ومرابطتي بمكة • ومصابرتي على تواكل من العوي • وتخاذل
من الخطي • ثم اساله بحق صراطه المستقيم • وقرانه المجيد الكريم • وبما لقيت
من كدح اليمين • وعرق الجبين • في عمل الكشاف عن حقائقه • المخلص عن مضايقه •
المطلع على غوامضه • المثبت في مداحضه • الملخص لنكته ولطائف نظمه •
المنقر عن فقره وجواهر علمه • المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد الا فيه •
المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول •
وتجنب المستكره المملول • ولو لم يكن في مضمونه • الا ايراد كل شي على قانونه •
لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار • وجوهرة تتمنى العثور عليها
غاصة البحار • وبما شرفني ومجدني • واختصني بكرامته وتوحدني • من
ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره • ومتنزل اياته وسوره
من البلد الامين بين ظهراني الحرم • وبين يدي البيت المحرم • حتى وقع
التاويل حيث وجد التنزيل • ان يهب لي خاتمة الخير • ويقيني مصارع
السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد • ولا يفضحني بها على رووس الاشهاد
ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله • وسابغ نوله • انه هو الجواد

الكريم

الكريم الرووف الرحيم ثم فرغت منه يد المصنف تجاه الكعبة في جناح
دار السليمانية التي على باب جياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم
الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاخر في عام ثمان وعشرين وخمسماية حامدا
لله ومصليا على نبيه محمد واله وسلم تسليما اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى ال
سيدنا محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
عدد خلقك ورضى نفسك ومداد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل
عن ذكرك الغافلون ورضي الله تعالى عن اصحاب رسول الله اجمعين وعن
التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم الدين سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين امين

؞ قد تم هذا الكتاب المبارك على يد ؞
الفقير الحقير المعترف بالذنب ؞
والتقصير راجي لطف ربه ؞
القدير ابراهيم الزبدي ؞
من مدينة حماه غفر ؞
الله له ولوالديه ؞
ولمن قرا به ؞
امين ؞
تم ؞

